كتاب الاكتفاء

مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء

للامام ابى الربيع سليمان بن سالم
المشهور بالكلاعى

خزانة الكتب العربية

اعتنى بتصحيحه

هنرى ماسه الأستاذ بكلية الآداب بالجزائر

كلمة المصحح

لا يخفى ان أول من ألف في السيرة النبوية الامام ابو عبد الله محمد بن اسحاق احد علماء القرن الثاني للهجرة ولكن لم يبلغنا الا ما دوّنه الامام ابو محمد عبد الملك بن هشام احد علماء القرن الثالث وقد أحسن وأجاد وأبحر او كاد

وألّف فيها ايضا ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي كتابا لم يصل الينا منه الا فصل في المغازي وقد طبع في كلكته سنة ١٨٥٥ وجمع كاتب الواقدي ابو عبد الله محمد بن سعد في كتاب الطبقات اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وكبار المهاجرين والانصار والتابعين وقد طبع في ليدن بين سنة ١٣٢٢ وسنة ١٣٣١

وقد أجمع العلماء على ان الاخبار الموجودة في هذه الكتب عمدة في معرفة تاريخ ابتداء الاسلام الا ان الامام الكلاعي رحمه الله

نقل سواكنه من هذه الكتب ومن كتب اخرى قديمة لم تطبع
مثل كتاب الواقدي وكتاب الردة لابن ابي بكر القاضي وتاريخ ابي
بكر بن ابي خيثمة وغير رحمه الله بين الغث والسمين وبين
الحشو والحسن معتمدا على الاحاديث الصحيحة المروية عن فحول
الصحابة والتابعين فأصبح بألسنة طلبة الطالب وبغية الراغب واسماه
كتاب المكتفى في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ويقال انه اسماه
كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة
الخلفاء وقد اسماه بعضهم السيرة الكلاعية طبقا للاسم

هذا وقد اعتمدنا في طبع هذا الكتاب على النسخ الآتية

١ ــ نسخة في المكتبة الاهلية بالجزائر مقيدة تحت عدد ١٥٩١
بخط مغربي عدد اوراقها ١٩٦ ورقة وفي كل صفحة ٢١ سطرا

٢ ــ نسخة ثانية من المكتبة المذكورة تحت عدد ١٩٢ ناقصة
في اولها ووسطها وتتخلل في بعض الاماكن وهي بخط ... ورقة
ورقة في كل صفحة ٢١ سطرا

والظاهر ان اصل هاتين النسختين واحد ...

وزيادة على ذلك راجعنا نحن بنفسنا لبعض المكاتب الخصوصية بالكرادر كاديا في بعض المواضع العديدة الوحيدة والظاهر ان احداهما منقولة عن الاخرى

وقد تعذرت علينا الاستفادة بالنسخ الموجودة في باريس ولندن وبرلين واكتفينا بما ابديناه الى هنا من هذا الكتاب المستطاب ونرجو من الله تعالى ان ينفع به على كل حال مطالعيه وراجعيه من الطلّاب

واما المؤلف فهو الامام ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي ولد في بلنسية بالاندلس في رمضان سنة ٥٦٥ (١٩ مايو - ١١ يونيو ١١٧٠) وقرأ ببلده وبقرطبة وأجيز بإجازات عديدة وولي الخطابة ببلنسية واستشهد بكائنة انيشة في ٢٠ ذي الحجة سنة ٦٣٤ (٢ ديسمبر ١٢٣٧)

وممن أخذ عنه ابن الابار وابن الموّاق وابو العباس احمد بن الغمّاز القاضي وابن مسدي

وله نحو ٢٥ تأليفاً اكثرها في الحديث ومتعلقاته وديوان شعر ومجموع رسائل

﴿ ترجمة الكلاعي ﴾

وقد رأينا من المفيد أن نأتي هنا بما ذكره العلماء من حياته

* * * *

قال ذو الوزارتين أبو عبد الله ابن الخطيب السلماني

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبد السلام الحميري ، بلنسي الأصل يكنى أبا الربيع ويعرف بابن سالم

حاله ، كان بقية الأكابر من أهل العلم بصقع الأندلس الشرقي حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لأحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الأدب كاتبا بليغا خطيبا بجامع بلنسية ، واستقضى ويروى بالعدل والجلالة وكان من أولي العزم والبسالة والإقدام والجلالة والشهامة يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال ويبلي البلاء الحسن وآخر غزوة ، هذا التي قتل فيها

مسحمه * دساص

من روى عمه * دساص

دصاسعه * مىا دصماح الطلام فى الحدىث * والاربعون عن الاربعس شىحا من الصحابه * والاربعون السباعد * والسباعىات من حدىث الصدوى * وحىلة الامالى فى المرافىات العوالى * وىحىه الوراد وىحىه الوراد * والمسلسلات * والاسارات * وكىاب الاكىاء فى معارى رسول الله ومعارى الحلفاء * ومىدان الساىعىن * وحامد الصادمىن المصدمىن فى عرص كىاب الاسىعاب ولم ىكمله * والمعجم * من واىعىت كىىه روحىه من الصحابه * والاعلام ىأحبار البحارى الامام * والمعجم فى م محىه * وىرنامح رواده * وحىّى الرطب فى سىّى احطب * وىكمىه * وىعه ىه * والسحر الحلال * وحود الصمىح فى معارضه المعرى فى حطىه الفصىح * والمل والام ىال المىىح فى ادىداع احكام واحىراع الامال * ومىاوصىه الماب العال ل ومسادده الاىل الطوىل على طرىه ابى العلاء المعرى فى دلىى السمل * ومحار وما االحن االاحن الاىحن دىمل على ماده مساله ملعوه * وىحب الحرب الىم وركاه

المنثور المنظوم * والمصحف المشهور في المطبع المعمور * وديوان رسائله نثر منوّط * وديوان شعره شعر .

شعره * وقال في الاستعانة بالله والتوكل عليه وعدم الالتفات الى سواه

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى * وما أحد يا رب منك بذا أولى
تباركت وجه نحوه المسعى كلها * فأوسعتها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذي * أقل .. .. يحرس القبولا
تبرأت من حولي اليك وقوتي * فكان قوتي في مطلبي ترك الحولا
وهب لي الرضى ما لي ميراث دمعتي * واولست نفسي على دار الهولا

وفاته * كان ابدا يتمنى ان يموت شهيدا بين سيوف ... اروى رآها في شعره فكان كذلك واستشهد بقابسه في الكرّ على الفلاحين بظاهر ابيد على مسافة من الحرب ولم يزل مقيما اقدام الصفوف رجعا الى الكرار ومحملا على العدو ويشفي باليهودين ... ستزون حتى قُتل صابرا محتسبا عند الله يوم الخميس لست بقين من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة ورثاه ابو عبد الله بن الابار بقوله

ألما بأشلاء العلا والمكارم * تقدّ بأطراف القنا والصوارم

الاحاطة في اخبار غرناطة للوزير ابن الخطيب السلماني من الجزء ١٥ من نسخة الشريف البادري صاحب نشر المثاني .

*
**

قال بدر الدين ابو الثناء محمود بن ابراهيم بن محمد الاشكي المصري في مركز الاحاطة بأدباء غرناطة وهو مختصر الاحاطة للوزير ابن الخطيب السلماني عن نسخة باريس

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن احمد بن عبد السلام الحميري الكلاعي بلنسي الاصل ابو الربيع عرف بابن سالم نسيه الاكابر حافظ للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب خطيب بليغ واستقصي وكان مع ذلك من اولي الحزم والبسالة والاقدام وحضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا .

وروى عن ابي القاسم بن حبيش وطبقته

وصنف كتبا منها مصباح الظلام في الحديث * والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة * والاربعون السباعية * والسباعيات من حديث (الصوفي) الصدفي * وحلية الامالي في الموافقات والعوالي * وتحفة الوراد ونجعة الرواد * والمسلسلات والانشادات * وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء * وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله * والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة * والاعلام باخبار البخاري الامام * والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش * وبرنامج رواياته * وجنى الرطب في سني الخطب * ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح * والامتثال لامثال المنهج في ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن اللاحن الممتحن بمائة مسألة ملغزة * ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم … السحب … في المطع المعمورة * وديوان رسائله سفر

ومن شعره ما كتب به الى أبي بحر صفوان بن ادريس عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحنّ الى نجد ومن حل في نجد * وماذا الذي يغني حنيني أو يُجدي
وقد أوطنوها وادعين وخلّفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبيّن بالبين اشتياقي اليهمُ * ووجدي فساوى ما أجنّ الذي أبدي
وضاقت عليّ الارض حتى كأنها * وشاح بخصر او سوار على زندي
الى الله اشكو ما ألاقي من الجوى * وبعض الذي لاقيته من جوى يردي
فراق أخلاء وصدّ احبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
فيا سَرحتي نجد نداء متيم * له ابدا شوق الى سرحتي نجد
ظمئت فهل طل ببرد لوعتي * ضحيت فهل ظل يسكن من وجد
ويا زمنا قد بان غير مذمم * لعل لأنس قد تصرّم من بد
ليالي نجني الانس من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان بأكناف حائل * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لي بنجد من سريّ ممجد * ولا كابن ادريس أخي السرو والمجد
اخو همة كالزهر في بُعد بابها * وذو خلق كالزهر غب الحيا العد

تجمعت الاضداد فيه حميدة * فمن خلق سهل ومن حسب جعد

اما راحلا أودى بصبري رحيله * وقلّل من عزمي وثلّم من حدّتي

أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * ألا فيه نار لا تبيد ولا تبدي

فيا ليت شعري هل تعود لنا المنى * ونمسي كما كنا جميعا على الود

عسى الله أن يدني السرور بقربكم * وينظم بالشمل منتظم العقد

وقال

بدا بالبال للغراب حنينُ * ونادى صياح الرحيل فبينُ

وكان سهام أرهقت غمك رحاله * وحلّ بي من ذنب هجر فنون

ولا أكذب الرحمن فيما أحبه * وكيف وإني بعد ذاك حزين

ومن لم يحاول أن الرداء يشينه * فمن ينهني أن الرداء يشين

لقد ردّ قلبي للشباب وحبه * كما ردّ العلوق الفتى حنين

وآلة وحيط الثياب دليتي * فحظي بما بي للمحبين بين

والى سادي كان اقربه طرا * وأبقى به الا حظ بعده سرن

وآها على من كنت حقيره * وأين حلا بعده ما وحزين

وبا ويح قودي افوادي كلما * يردد سمعي كيف بعد يكون

حرام على قلبي سكون بغيره * وكيف مع الشيب المحض سكون

وقال شباب المرء سعيه حيه * فمالي غرابي للمشيب حرون

وقالوا شجاك الشيب حتى ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقـــــال

أقول الموالي ابن لي عزك مولى * وما أحد دا رب مدرك دا اولى

شاركت وجهه وجهت نحوه الهدى * فأورثها شكرا وأوسعها طولا

وما هو الا وجهك الدائم الذي * أقل حيائي عاداته يحرس العسولا

تبرأت من حولي الكئيب وقوتي * وكل قوتي في مطامع وكل احولا

وصلي الرجي مالي سوى ذاك مطمعي * ولو اسب مسي سلي بلدا الهولا

وقـــــال

عصب لي سمع بعد عشرين حجة * ولي حركات بعدها وسكون

فالبث شعري كيف أو اين أومنى * يكون الذي لابد أن سيكون

وله جارح ترمه غشي يوم الثلاثاء منه بل رمضان سنة ٤٦٤ رحمه الله)

وفاته ؛ كان أبدا يقول منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك واستشهد في الكائنة بظاهر أنيشة على نحو سبعة أميال منها لم يزل متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادي بالمنهزمين « أمن الجنة تفرّون » حتى قتل صابرا محتسبا برّد الله مضجعه غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة ٦٣٤

ورثاه أبو عبد الله بن الأبار بقوله

ألمّا بأشلاء العلا والمكارم * تُقدّ بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفازة * مصارع غصّت بالطلى والجماجم
نحيّي وجوها في الجنان وجيهة * محاسنها من نسج الظبا واللهاذم
مكرّمة حتى عن الدفن في الثرى * وما يكرم الرحمن غير الأكارم
هم القوم راحوا للشهادة فاغتدوا * وما لهم في فوزهم من مقاوم
تساقوا كؤوس الموت في حومة الوغى * فمالت بهم ميل الغصون النواعم
مضوا في سبيل الله قدما كأنما * يطيرون من أقدامهم بقوادم
يرون جوار الله أكرم مغنم * كذاك جوار الله أسنى المغانم

عظائم راموها فخاضوا لنيلها * ولا روّع منهم صدور العظائم

وهان عليهم ان تكون لحودهم * متون الروابي أو بطون البهائم

ألا بأبي تلك الوجوه سواهماً * وإن كنّ عند الله غير سواهم

عفا حُسْنها إلا بقايا مباسم * يعزّ علينا وطؤها بالمناسم

وتُوّر أسارير تبين طلاقة * فتكسف انوار النجوم العواتم

لئن وكفت فيها الدموع سحائباً * فعن بارقات اخفى فيها ابتسائم

ويا بأبي تلك الجسوم نواحلا * بأجرامها نحو الأجور الجسائم

تغلغل فيها كل اسمر ذابل * فخرّ تل منها كل ابيض ناعم

ولا يبعد الله الذين تبرّؤوا * الى الله بانضاء العيس الكرائم

مواقف ابرار قضوا من جهادهم * حقوقاً عليها كالفروض اللوازم

أصيبوا وكانوا في العبادة اسوة * فماتوا ونيلوا بالعواصي العواصم

فعامل رمح دقّ في صدر عامل * وقائم سيف قدّ في رأس قائم

ويا رب صوّام الهواجر واصل * هنالك مصروم الحياة بصارم

ومعتد عانٍ في الاداهم راسف * وقد يرتمى راسف في الاداهم

أصابهم يوم احد بين حفاظهم * وكرّهم في المأزق المتلاحم

سقى الله أشلاء بسفح ثنية * سوافح يزجيها ثقال الغمائم

وصلى عليها أنفسا طاب ذكرها * فطبّق أنفاس الرياح النواسم

لقد صبروا فيها كراما وصابروا * ولا عزو إن فازوا بصفو المكارم

وما بذلوا إلا نفوسا نفيسة * تحنّ الى الأخرى حنين الروائم

ولا فارقوا والموت يلمع حدّه * بحيث التقى الجمعان صدق العزائم

فعد بكت طارحتني الحزن شاكيا * ازاحم فيها بالدموع السواجم

وما هي إلا نادبات سواجع * تعشّر عنها وانتحبت مآتم

حلائل دقّ الصبر فيها فلم تطق * سوى عضّ أجفال وعضّ أداهم

أدرت لها تحت الظلام كأسي * رحيق نصال أو لداغ أراقم

أغازل من برح الأسى غير بارح * وأزجر من سام البكى غير سائم

وأعقد بالنجم المشرّق ناظري * ويعزب عني ساهرا غير نائم

وأشكو الى الأنام سوء صنيعها * وأشكو لها شكوى الى غير راحم

وهيهات هوّنت العزاء ودونه * فواصم شتى أردفت بقواصم

ولو ذرّ للسلوان حبّ حوانحي * لأثمر من طبعي مبارّ المواسم

ومن أي سلوان يحلّ بمقفرا * بحال من الأدواء حولي حاسم

وبين المبادئ والمحادم ربعه * سرى في البانيا طبّها والمحادم
بكتها المعالي والمعالم جودها * فمن للمعالي بعدها والمعالم
بعهدٌ صعدٌ لم يرمه فراره * رأعظمْ بها وسط العظام الرمائم
كأن دما أذكى أديم ترابها * وقد مازجته الريح مسك اللطائم
يشق على الاسلام إسلام ملها * الى جامعات بالهلا وقساعم
كأن لم يهب حشى السراة فيادها * و يرعى حماها الصيد رغى السوائم
سفحت عليها الدمع أحمر وارسا * كما نثر الياقوت ايدي النواظم
وساهرت الباكات بوادنا * يررّقن تحت الليل زرق الحمائم
وقاسمت في حمل الرزء أهلها * واين قسيم البرّ غير المُقاسم
فواأسفا للدين اعضل داؤه * وأناس من آسي امسراه حاسم
ويا أسفا للعلم أقوت ربوعه * واصبح مهدود الذرى والدعائم
فصبي حامل الاسار من آل يعرب * وحامي هدى المختار من آل هاشم
خبا الكوكب الوقاد إذ سطع الضحى * لتحبط في ليل من الجهل فاحم
وحارت مساعي السامعين حدسه * كما ساء يوم الحادث المتفاقم
فأيّ بهاء غار لسن بطالع * وأيّ سماء غاب لسن بقادم

سلام على الدنيا اذا لم يلح بها * محيّا سليمان بن موسى بن سالم
وهل في حياتي متعة بعد موته * وقد أسلمتني للدواهي الدواهم
فها أنا ذا في حرب دهر محارب * وكنت به في أمن دهر مسالم
أخو العترة الغرّاء كهلا ويافعا * وأكفاؤه ما بين راض وراغم
تفرّد بالعلياء علما وسؤددا * وحسبك من دال على الشهب عالم
معرّسه فوق السهى وبساطه * ومورده فوق النسور الحوائم
سمى صارم الخطب الملمّ بخطبه * كفى صارما منه بأكبر صارم
له منطق سهل النواحي وربما * فأى روضه العشب صوب الغمائم
وسحر بيان فات كل مموّه * فتاب عليه فارس انى نادم
وما الروض حلّاه بجوهره الندى * بلا الأثر و ثمه أكتب الرواقم
بأبدع حسنا من صحائفه التي * به تهدا اقلامه في الأقالم
سحاب كالأتى بداه الى العلا * بدام جوادا بل عمد الغمائم
بروق رواق المالكات في كل بهجة * ويحدين ويبدا في وجوه المواسم
وبكى سوا اسلام الشاطه يحدده * كمثال سال او جدال مساوم
اما الرسائل في الارض جلالته * بواق من احلّى أمه بت بوادم

مســادٍ الى دار السلام مســادم * بها الحور واهاً للمبادى المســادم
أنــاه رواه معــلا عــر مدبــر * ليحظى بإقبال من الله دائــم
إماما ادد ن أو قواما لدولــة * بولّى ولم يلححه لومة لائــم
فإن عاد مُشّاده سرفــا بــه * فلن يعدم الحسناء دأما ددائــم
فيا أيها المحبوم سام مجلسه * وذي اكّ من ساداه اكل حادم
ويا أيها المحبوم بالسور بعده * ألا انما الاعمال حسن الخواتــم
هنيئا لك الحسنى من الله إنها * لكل تقيّ جمة غير حائــم
سوأب حساب النعيم ولم تــزل * تزيل الدنيا فاتها والنعائــم
ولم تنل عيسا راضيا وسهاده * ترى ما ءداها فى عداد المآتــم
لعمرك ما ذلى بلاؤك فى العدى * وقد جرّب الا طال ددل الهزائــم
ووالله لا دمى مهابك فى الوغى * سوى جاحد نور الغزالة كاتــم
لقيت الردى فى الروع جذلان باسما * فمونك من جذلان فى الروع باسم
وجئت الى الفردوس حتى وردته * فقرت بأسباب المنى فوز غانــم
أجدّك لا دمى ... ولا دسه * أداوى دما برّح العلــل المداوم

ولا أنت بعد اليوم واجد همّة * من اليوم يحدوني الى حال حازم
لشُرْعان ما قوّضت رحلك ظاعنا * وقرّبت على ـ ر النواجي الرواسم
وحلّقت من بردود فاتك بائسا * من المصر أنباء الخطوب الصرائم
كأني الأشجان تسرق هواجر * بها ـادني من عاديات هواجم
ودمعك مفقودا بغير ّبطـرة * وـا ـر معدوم ودا هون عـادم
ورُشْدك مطلوبـا فأعيـا منالـه * وكـف بدا أنـا مـه الا ارابـم
وإني لمحزون الفؤاد صديعه * جلاوا اسال فلم تفك بالـم
وعندي الى انبائك شوق مبرّح * طواني من حامي الجوى فوق جاحم
وفي جاني والله بكاك جالـد * الـنـه ـرّ لا ألـنـه آسـم
ولو أن في دا ي لوابـا لسلـوه * مطوب ولكن لا لقوا ابـاسم
طلبتك اذ لم أقض نعمات حمد ا * وبيلي في اذ اليـا عـرط لـم
بطالني فيك الوفـاء بعابـه * ببدو ابا حفظا ابالك الدوا ـم
فـأبكي لسلو بالعزاء كـا تكي * بـاد ا مرد من حرق وحادم
وأعـد أن بمسـار دوني سـه * بعلما في بلاد من و ن دن عاصم

وهذي المرابي وقد وهبت بريسمها ❊ مستهيم جهد الوفي المساهم
فمد اليها رافعا يد فاسل ❊ أكبت عليها حافظا فم لاثم

⁂

وقال ابن الابار في كتاب التكملة لكتاب الصلة (ط مجريط سنة ١٨٨٩ ص ١٠١ عدد ١٩١ والزرداب ط مجريط سنة ١٩١٥ ص ٥٤٠)

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن احمد الحميري الكلاعي من اهل بلنسية وأصله من ثغورها الشرقية يكنى أبا الربيع سمع ببلده ابا العطاء بن نذير وابا الحجاج بن ايوب وأبا عبد الله بن نوح وأبا الخطاب بن واجب وغيرهم وتجول في بلاد الاندلس والعدوة فسمع أبا القاسم بن حبيش وابا بكر بن الجد وابا عبد الله بن زرقون وابا عبد الله بن الفخار وابا محمد بن عبد الله وابا محمد بن بونه وابا الوليد بن رشد وابا محمد بن الفرس وابا عبد الله بن عروس وابا محمد بن حوط وابا الحسن نجبة وجماعة وأجاز معاورا وابا العباس المجريطي وابا بكر بن ابي حمزة وابا الحجاج بن الشيخ وابا جعفر بن حكم وابا بكر بن منصور وابا القاسم بن سمجون وابا

زكرياء الدمشقي وابا بكر بن زهير وجماعة سواهم وأجاز له ابو العباس بن مضاء وابو محمد البادلي وابو الحسن بن كوثر وابو خالد بن رفاعة وابو محمد عبد الحق الاشبيلي وآخرون ومن اهل المشرق ابو الطاهر بن عوف وابو عبد الله بن الحضرمي وابو القاسم بن حارة وآخرون عن هؤلاء وفي شيوخه كثرة وعني أتم عناية بالتقييد والرواية وكان إماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا حافلا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمولد والوفيات يتقدم اهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال خصوصا من تأخر زمانه وعاصره * وكتب الكثير وكان حسن الخط لا يكاد يشارك في الاتقان والضبط مع الاستبحار في الادب والاشتهار بالبلاغة والفصاحة فردا له نهاية في إنشاء الرسائل مجيدا في النظم خطيبا فصيحا مفوها مدركا حسن السرد والمساق لما يقوله مع الشارة الأنيقة والزي الحسن وهو كان المتكلم عن الملوك في مجالسهم والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل وولي خطبة بالمسجد الجامع ببلنسية في أوقات وكان رئيسا في الحديث بالاندلس وله تصانيف وتواليف مفيدة في فنون شتى منها

كتاب الاكتفا مما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه
وسلم والثلاثة الخلفا في اربعة مجلدات * وكتاب حافل السابقين
وحلية الصادقين المصدقين في ذكر الصحابة الاكرمين ومن في عدادهم
بإدراك العهد الكريم من أكابر التابعين لم تكمله ولو فرغ منه لكان
ضعف الاستيعاب لابي عمر بن عبد البر * وكتاب مصباح الظلم من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاذي به منحى الشهاب
للقضاعي * وكتاب الاعلام باخبار البخاري الامام ومن تابعه روايته
عنه من الاعمال والاعلام * وكتاب المعجم في ذكر من وافقت كنيته
كنية زوجه من الصحابة رضي الله عنهم جزء كبير * وكتاب
السباعيات المخرجة من حديث ابي علي الصدفي ثلاثة أجزاء *
واحاديث المصافحة جزء * وجزء آخر في مثل ذلك من حديث ابي
بكر بن العربي * وكتاب الاربعين حديثا عن اربعين شيخا لأربعين
من الصحابة في اربعين معنى جزء متقن * وكتاب جالية الامالي في
المرافقات من العوالي خرجها من حديثه في اربعة اجزاء * وكتاب
تحفة الرواد ونجعة الوراد في العوالي الدالة على الاسناد في اربعة اجزاء *

وكتاب منتخبه أبي القاسم بن حبيش من تخريجه في ثلاثة أجزاء
كبار * والمسلسلات من الأحاديث والآثار والإنشادات جزء كبير *
وكتاب تكملة الأمثال وبغية السحر الحلال بني فيه الكلام على التوشيح
مما تضمنه كتاب أبي عبيد من أمثال العرب وأخبار العرب التي
في شعر وتركه ثم * وكتاب جهد النصيح وحظ المنيح من معارضة المعري
في خطبة الفصيح سفر * وكتاب الأمثال لمثال المنهج في ابتداع الحكم
واختراع الأمثال جزء كبير * وكتاب منه أوصه القلب العال ل بانشاده
الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل جزء *
وكتاب مجاراة اللحن للاحن الممتحن على طريقة ...
العرب وملاحن ابن دريد جزء * وكتاب الصحف المنشورة في القطع
المنثورة جزء * ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم جزء *
وكتاب جنى الرطب في سني الخطب جزء جمع فيه خطبه في الجمع
والأعياد وغير ذلك وهي نحو من ثمانين خطبة * وله ديوان شعر في
روائعه حافل * ورسائله مدونة * وله تصانيف غير ذلك كثيرة
في الحديث والأدب والخطب

واليه كانت الرحلة في عصره للأخذ عنه والسماع منه صحبته
طويلا وأخذت عنه كثيرا وأجاز لي غير مرة جميع ما رواه وجمعه وأنشأه
خطا ولفظا وسمعت منه جل رواياته من قراءة وسماع بلفظه وانتفعت
به في صناعة الحديث كل الانتفاع وأفادني ما لم يفد أحدا مما
كان عنده من الغرائب وأسندني منظومة لا أوليه ولما تعرف عرضي
على هذا التأليف حضني عليه وندبني اليه وأمدني من تقييداته
الصحاح وحكاياته المستطرفة بما تضمنه فوائد وكنت قد أفهمته في
أول اشتغالي به تحيري فيه وسألته إعفائي منه ورغبت اليه في أن
يتولاه لكونه رائق حلاه فأبى من إعفائي وأنكر أن لا أتحلى به
دون أكفائي فعندها شرعت فيه ولم نمض الا مدة يسيرة حتى أطلعته
منه على حروف وأبواب فأطال العجب من اجتهادي فيها واستهدائي
بمعونة الله من ذلك الى تحصيل من رامه قبلي وهو كان السبب في
جمعه والداعي الى تصنيفه والمنهض اليه والمحض عليه بما حوته خزانته
كتبه من الأصول العتيقة والدواوين النفيسة التي تعذر فيها
أسمعه الأئمة الأعلام الى غير ذلك من الفهارس والبرنامجات الجمة

كالافادة والتي صار بعد وفاته معظم ما كان عنده من ذلك بمساوسي
فيه وقد نسب اليه ما لم يقله عنه ونسب ذلك في بعض كتب
الكتاب واثق بما له بالحق فيه ومما قرأت بخطه

وما دعيت مكسورة فن رفعها * الى مرتقى شكر بما بعد الى اخرا
سأبني على لا ما استطعت فإنني * اذا لم اقل شكرا أبت بعد دهرا

وأنشدنا لنفسه رحمه الله

اذا بسمت نفسي بحال أحلها * على أمل داع معترب به النفس
وانزل أرجاء الرجاء ركائبي * اذا شام البادر مثل البأس
وان اوحشتني من أماني نبوة * فلي دائماً بالله والله الانس

مولده بخارج مرسية أول ليلة الاثنين منتصف رمضان سنة خمس
وستين وخمسمائة وتوفي الى بالمسجد وهو ابن ثمانين سنة وستة اشهر
الى أن استشهد بكائنة الصدر التي نالت مرسية من دمشق سنة ثلاث
مدبر ضحى يوم الجمعة من الموفى عشرين الى جمعة ذي الحجة سنة اربع واربعين
وستمائة وهو ابن سبعين سنة الا أشهرا كان ابن نيف أو أربعين

مسهي عمرة اروبا رآها في صغره وكان كذلك وهو آخر احفاظ المحدثين والعلماء الموسلين بالاندلس

قلت أكثر عنه ابن مسدي وقال لم ألق مثله كان صدرا في فنون

*
**

وقال شمس الدين الذهبي في كتاب تذكرة الحفاظ (ط حيدرآباد بغير ذكر تاريخ ج ٤ ص ٢٩ عدد ١٤)

الكلاعي الامام العالم الحافظ البارع محدث الاندلس وبليغها

ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي البلنسي ولد سنة خمس وستين وخمسمائة . قال ابو عبد الله وسمع بمالقة ابا العطاء بن نذير (بخ نذير) وابا الحجاج بن ايوب وارتحل فسمع ابا القاسم بن حبيش وابا بكر بن الجد (بخ الحداد) وابا عبد الله بن زرقون وابا عبد الله بن الفخار وابا محمد عبد الله وابا محمد بن بونه (بخ بوبه) وابا الوليد بن رشد وابا محمد العرس وابا عبد الله بن عروس وابا محمد بن جمهور ومحمد بن يحيى وخلقا سواهم

وأجاز له ابو العباس بن مضا وابو محمد عبد الحق الازدى صاحب الاحكام وآخرون.

وعنى أتم عناية بالتقييد والرواية وكان إماما فى صناعة الحديث بصيرا به حافظا حافلا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات يتقدم اهل زمانه فى ذلك وفى حفظ اسماء الرجال خصوصا من تأخر زمانه وعاصره

كتب الكثير وكان خطه لا نظير له فى الاتقان والضبط مع استبحاره فى الادب و(الاشتهار =) الاشتهار بالبلاغة فردا فى انشاء الرسائل (مجيدا =) مجيدا فى النظم خطيبا فصيحا مفوها مدركا حسن السرد والمساق لما يقوله من البراعة الادبية والارتجال وهو كان المتكلم عن الملوك فى زمانه فى المجالس المشهورة ثم لما يريدونه فى المحافل على المنابر * وله خطابة سماها (كذا) فى اوقات * وله تصانيف مفيدة فى فنون عديدة * ألف المكتفى فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء فى اربع مجلدات * وله مؤلف حافل فى معرفة الصحابة والتابعين * وكتاب مصباح الظلم يشبه الشهاب * وكتاب

أخبار البخاري * وكتاب الأربعين * وغير ذلك * والثانية كانت
الرحلة للأخذ عنه إذ سمعت به في الحديث كل الأسماع أحدث
عنه كثيرا

قلت حدث عنه أبو العباس أحمد بن الغماز (كذا) قاضي تونس
وطائفة. قال ابن مسدي لم ألق مثله جلالة ونبلا ورياسة وفضلا وكان
إماما متبحرا في فنون من منقول ومعقول ومنثور ومنظوم جامعا للفضائل
برع في علوم القرآن والحديث وأما الأدب فكان ابن بجدته وهو
ختام الحفاظ ذهب له ديوان الإنشاء واستعفى * أخذ القراءات عن
أصحاب ابن هذيل وارتحل واختص بأبي القاسم بن حبيش
بمرسية (أكثر عنه)

قال ابن الأبار كان رحمه الله تعالى أبدا يحدثنا أن السبعين منتهى
عمره أريها رآها وهو آخر الحفاظ والبلغاء بالأندلس * استشهد بكائنة
أنيشة على ثلاثة فراسخ من مرسية مقبلا غير مدبر في العشرين من ذي
الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة * قال الحافظ المنذري توفي شهيدا
بيد العدو وكان مولده بظاهر مرسية في مستهل رمضان سنة خمس

وسسس * سمع سسسه (كذا) ومرسه واشبيلة وغرناطه وساطسه ومالقه وسسه وداسه * وجمع المجامع يدل على غزارة علمه وكثرة حفظه ومعرفته بهذا الشأن * كتب اليها بالاجازة سنه اربع عشرة *

***

وقال السيوطي في كتاب طبقات الحفاظ (ط فودسفس سنه ١٨٣٣ ج ٣ ص ٥٦ عـــدد ١٥).

ابو الربيع الامـــام الحافظ البارع محدث الاندلس وبليغها سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري البلنسي ولد سنه ٥٦٥ وسمع ابا القاسم بن حبيش وجماعة وأجاز له ابن عبد الله وابو محمد عبد الحق صاحب الاحكام وانتهى بهذا الشان اليه عنايه وكان اماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات متقدما اهل زمانه في ذلك وفي حفظ اسماء الرجال مع الاستبحار في الادب والاشتهار بالبلاغة في (الانشاء) والانشاء له الاكتفاء في المغازي وكتاب في معرفة الصحابة والتابعين حافل وغير

ذلك وان سنة ٥٦٥ مستهل رمضان ومات سنة ثلاث العدو في عسرى بن احمد سنة ٦١٢ أخبار الـدري

***

وقال القاضي ابراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمري في كتاب الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب (ط فاس سنة ١٣١٦ ص ١٢٥)

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن ... يكنى ابا الربيع ويعرف بابن سالم الكلاعي الحميري كان بقية الاكابر من اهل العلم ... الرتبي حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ... ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب كاتبا ... خطيبا بجامع بلنسية واستقضي ... العدل واجلاله وكان من اولى العزم والبسالة والاقدام يحضر الغزوات ... السلطان ... من آخرها الغزاة التي ...

روى عن ابي القاسم بن ... وابي ... الله بن ... وابي ... الله بن ... وابي ... بن احمد وابي محمد بن ...

وأبي محمد عبد المنعم بن الفرس وأبي بكر بن أبي جمرة وأبي الحسن بن كوثر وأبي خالد بن رفاعة وأبي عبد الله بن الفخار وأبي محمد الصدفي وأبي العباس بن مضى وأبي القاسم بن سمجون وأبي محمد عبد الحق الازدي وأبي الطاهر عوف الاسكندري وغيرهم من اهل المشرق والمغرب

روى عنه ابو عبد الله بن حريث الله وابو الحسن بن عبد الملك بن منصور وابن الابار وابن المواق وابن الغماز وابو محمد بن برطله وأبو جعفر الطنجالي وابو اسحاق بن حكم وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

وله تواليف نافعة منها مصباح الظلام في الحديث ، والاربعون عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة ، والاربعون السباعية ، والسباعيات من حديث الصدفي ، وحلية الامالي في الموافقات العوالي ، وتحفة الوارد ونجعة الرائد ، والمسلسلات والانشادات ، وكتاب الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا ، وفي ذلك ميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب لم يكمله ، والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة رضي الله عنهم ،

والاعلام بأخبار البخاري ❊ والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش ❊ وبرنامج في رواياته ❊ وحديقة الزهر في مستحسن الخطب ❊ وبكنة الامثال ونغبة السحر الحلال ❊ وجهود النصح في معارضة المعري في خطبة الفصيح ❊ وانشاد الضال في ابداع الحكم واختراع الامثال ❊ ومعارضة المقامات العالية ومشابهة الامل الطويل بطريقة أبي على القرى في ماهية الامثال ❊ ومجاراة اللحن اللاحن الممتحن مشتمل على مائة مسألة ملغزة ❊ ومشجرة الكتب المنظوم ❊ وركاد المنظوم والمنثور ❊ والصحف المنشرة في القطع المعشرة ❊ وديوان رسائل ❊ وديوان شعره

ومن نظمه رحمه الله تعالى

أحنّ الى نجد ومن حلّ في نجد ❊ وماذا الذي يغني حنيني أو نجدي
وقد أوطنوها وادعين وخلّفوا ❊ محبهم رهن الصبابة والوجد
وضاقت علي الارض حتى كأنها ❊ وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقي من الجوى ❊ وبعض الذي لاقيته من جوى يردي
فراق أخلاء وصدّ أحبّة ❊ كأنّ صروف الدهر كانت على وعد
ليالي نجني الامر من شجر المنى ❊ ونقطف زهر الوصل من شجر الصدّ

ومنهـــا

أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * إذا مد يأسٌ لا يعيد ولا يبدي

عسى الله أن يدني السرور بقربكم * فيدنو منا الشمل منتظم العقد

وله أيضـــا

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى *
* وما أحد يا رب منك بذا أولى

تبرأت من حولي إليك وقوتي *
* فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا

وهب لي الرضى ما لي سوى ذاك مبتغى *
* ولو لم تهب نفسي على ذلك البيلا

استشهد رحمه الله تعالى في غزاة سنة أربع وثلاثين وستمائة بيادة بخارج مرسية سنة خمس وستين وخمسمائة .

* *

وقال المقري في كتاب نفح الطيب (ط . ليدن ١٨٥٥ – ١٨٦١) ج ٢ ص ٥٠٢ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٦١ ببعض تقديم وتأخير .)

كان رحمه الله حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب خطيب بلنسية واستقضي وكان مع ذلك من اولي الحزم والبسالة ٭ والاقدام والجزالة ٭ حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وابلى بلاء حسنا.

وروى عن ابي القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها: مصابيح الظلام في الحديث ٭ والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة ٭ والاربعون السباعية ٭ والسباعيات من حديث الصدفي ٭ وحلية الامالي في الموافقات والعوالي ٭ وتحفة الوراد ونجعة الرواد ٭ والمسلسلات والانشادات ٭ وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء ٭ وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله ٭ والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة ٭ والاعلام بأخبار البخاري الامام ٭ والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش ٭ وبرنامج رواياته ٭ وجنى الرطب في سنى الخطب ٭ ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال ٭ وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة

ومنهــا

أنعام ما يلقى الفؤاد لبعدكم * [illegible]

عسى الله أن يدني السرور بقربكم * فيبدو منا الشمل منتظم العقد

وله أيضــا

أصولي الموالي [illegible] لي [illegible] *

* [illegible] أحد [illegible]

تبرأت من حول [illegible] *

* [illegible]

[illegible] لي [illegible] *

* [illegible]

ابن شهيد رحمه الله تعالى في [illegible]

بخارج [illegible]

* * *

وقال المقري في كتاب نفح الطيب طبعة [illegible] ج ٢

ص ٥٠٢ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٦١ [illegible]

كان رحمه الله حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب خطب ببلنسية واستقضي وكان مع ذلك من اولي الحزم والبسالة * والاقدام والجزالة * حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا .

وروى عن ابي القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها : مصباح الظلام في الحديث * والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة * والاربعون السباعية * والسباعيات من حديث الصدفي * وحلية (حلية) الامالي في الموافقات والعوالي * وتحفة الورّاد ونجعة الروّاد * والمسلسلات والانشادات * وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء * وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في عرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله * والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة * والاعلام بأخبار البخاري الامام * والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش * وبرنامج رواياته * وجنى الرطب في سني الخطب * ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة

الفصيح * والامثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن اللاحن الممتحن مائة مسألة ملغزة * وحد حده الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل المنسوبة على لابسها افضل الصلاة والسلام * قال ابن رشيد لو قال وزكاة الذهب والمنظوم لكان أحسن * وله كتاب الصحف المنشورة في القطع المنثورة * وديوان رسائله سفر * وديوان شعره سفر .

وكتب الى الاديب النبيه ابي بحر صفوان بن ادريس المرسي عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥١١

أحن الى نجد ومن حلّ في نجد   وماذا الذي يغني حنيني او يجدي
وقد أوطنوها وادعين وخلّفوا   محبّهم رهن الصبابة والوجد
تبيّتن بالبين استباحوا الجسم   ووجدي فساوى ما أحنّ وما أبدي
وضاقت عليّ الارض حتى كأنها   وشاح بخصر او سوار على زند
الى الله اشكو ما ألاقي من الجوى   وبعض الذي لاقيت من ذاك يردي
فراق أخلاء وصدّ أحبّة   كأن صروف الدهر كانت على وعد

ويا سرحتي نجد نداء متيم ٭ ابدا ابدا شوق الى سرحتي نجد

ظمئت فهل طل يبرّد اوبتي ٭ ضحيت فهل ظل يسكّن من وجدي

ويا دمنتا ود دار غير مقيم ٭ أعلّل لأنس قد تصرّم من ردّ

الى كم نجتني الآن من شجر المنى ٭ ونقطف ثمر الوصل من شجر الصدّ

ومن الاخوان ذاك في حاجر ٭ كرام السجايا لا يحولون عن عهد

وكم لي بنجد من سريّ ممجّد ٭ ولا كابن ادريس اخي السرو والمجد

اخو همة كالمشرفي نُعد ذبابها ٭ وذو خلق كالزهر هبّ اكا العدّ

يجمّع كلا باد و ـ حمـ ـده ٭ فمن خلق سبط ومن حسب جعد

اذا راحلا اودى بصبري رحيله ٭ وفلّل من عزمي وثلّم من حدّي

ايعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم ٭ ألا قد نأيتم ما يعيد ولا يبدي

و ا ات بعزى هل عود لنا الحمى ٭ وعيش كما هبّ ـ حاشي برد

عسى الله أن يدني السرور بقربكم ٭ ويبدو بنا الشمل في نظم العقد

وكانت واقعة انيشة التي قُتل فيها الحافظ ابو الربيع الكلاعي رحمه الله يوم الخميس للعشرين من ذي الحجة سنة ٦٣٤ ولم يزل رحمه الله متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادي المنهزمين

« أين الجنة تفرّون » حتى قُتل صابرا محتسبا برّد الله مضجعه وكان دائما يقول إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك .

ورثاه تلميذه الحافظ ابو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها

ألمّا بأشلاء العلى والمكارم * تُقدّ بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفازة * مصارع غصّت بالطلى والجماجم
نُحيّي وجوها في الجنان وجيهة * مجالسد عن نسج الظبى واللهاذم

وهى طويلة .

ومن شعر الحافظ ابى الربيع المذكور

تولّت ليال للغواية جُون * ووافى صباح للرشاد مبينُ
ركاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهّزته منون
ولا أكذب الرحمن فيما أجنّه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يخَلْ أن الرياء يشينه * فمن مذهبي أن الرياء يشين
لقد ريع قلبي للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الثمين ضنين

وآلمني وخط المشيب بلمّتي ＊ فخطّت بقلبي للشجون فنون
وليل شبابي كان أنضر منظرا ＊ وآنق مهما لاحظته عيون
فإيها على عيش تكدّر صفوه ＊ وانس خلا منه صفا وحجون
ويا ويح فودي او فؤادي كلما ＊ تزيّد شيبي كيف بعدُ يكون
حرام على قلبي سكون بغرّة ＊ وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شُعْبة جنة ＊ فما لي عراني للمشيب جنون
وقالوا شجاك الشيب حدثان ما أتى ＊ ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقوله

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى ＊ وما احد يا ربّ منك بذا أولى
تبارك وجهٌ وجهت نحوه المنى ＊ فأوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذي ＊ أقلّ حلى عليائه يخرس القولا
تبرّأت من حولي اليك وقوتي ＊ فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا
وهَبْ لي الرضى مالي سوى ذاك مبتغى ＊ ولو لقيتْ نفسي على نيله الهولا

وقوله

اذا برمت نفسي بحال احلتها ＊ على أمل ناءٍ فقرّت به النفسُ

وأنزل أرجاء الرجاء ركائبي * اذا رام إلماما بساحتي البأس
وإن أوحشتني من أماني نبوة * فلي في الرضى بالله والقدر الأنس

وقوله

إلهي مضت للعمر سبعون حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فياليت شعري أين أو كيف أو متى * يكون الذي لا بد أن سيكون

قال المقري والصواب انهما لغيره كما ذكرته في غير هذا الموضع وانما هما لأبي بكر بن منخل وفيهما ست بعد سبعين حجة .

وقوله

كأنما ابريقنا عاشق * كل عن الحمل وما اشتكى
غازل من كأسي حبيبا له * فكلما قبّله أضحكه

ولما قرأ ابو محمد عبد الله بن مطروح اليابسي عند أبي الاصبغ شعرا لحن فيه حال القراءة لفظة عن برفع ما كان منصوبا او بالعكس أنشد بديهيا بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

غيّرت غيرا فصرت غيرا * وهكذا من يحب غيرا

فأجابه الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعى وكان الى جانبه بديهة

ما انت ممن يُظن منه ❊ بذاك جهلا فظن خيرا

***

وقال ابو العباس احمد بن خالد الناصرى السلاوى فى كتاب زهر الافنان من حديقة ابن الونان (ط فاس سنة ١٣١٤ ج ١ ص ٣٠٧)

هو الشيخ ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان الكلاعى البلنسى الحافظ المشهور عُرف بابن سالم ينتهى نسبه الى ذى الكلاع الحميرى ...

قد كان من أكابر العلماء بصقع الاندلس الشرقى حافظا للحديث مبرزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب كاتبا خطيبا بليغا خطب بجامع بلنسية واستقضى بها فعُرف بالعدل والجلالة وكان مع ذلك من اولى الحزم والبسالة .

قال تلميذه ابو عبد الله ابن الابار واليه كانت الرحلة فى عصره للاخذ عنه والسماع منه وكان يحضر الغزوات ويباشر القتال بنفسه ويبلى البلاء الحسن .

وكانت ولادته خارج مرسية سنة خمس وستين وخمسمائة .

وأخذ عن ابى القاسم بن حبيش وأكثر عنه وابى عبد الله بن زرقون وابى بكر بن الجد وابى محمد الصدفي وغيرهم .

وأخذ عنه ابو عبد الله بن الابار وابو عبد الله بن حسين الله وابو الحجاج ابن حكم وابن العمار وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

وله تآليف عديدة منها كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء * ومصباح الظلام في الحديث * والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة * والاربعون السباعية * والسباعيات من حديث الصدفي * وحلية الامالي في الموافقات العوالي وتحفة الوراد ونجعة الرواد * والمسلسلات في الاسنادات * وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله * والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة والاعلام باخبار البخاري الامام * والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش * وبرنامج رواياته وجنى الرطب في سني الخطب * ونكتة

الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح * وأمثال المثال في ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة أبي المعري في ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن وللاحن الممتحن مائة مسألة ملغزة * ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل النبوية على لابسها أزكى الصلاة والتسليم قال ابن رشيد لو قال زكاة النثير والنظيم لكان أحسن * وله كتاب الصحف المنشرة في القطع العشرة * وديوان رسائله سفر * وديوان شعره سفر * واشعاره كثيرة جيدة على طريقة اهل الاندلس لا نطيل بجلبها .

واستشهد رحمه الله في وقعة انيجة على ثلاثة فراسخ من بلنسية ضحى يوم الخميس المكمل عشرين من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا عليهم والراية بيده وهو ينادي المنهزمين أمن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برّد الله مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى

عمره سبعون اربعين رأيتها في مصحفه فكان كذلك ورثاه بقصيدة ابو
عبد الله ابن الابار بقصيدته السينية التي يقول في اولها

ألمّا بأشلاء العلى والمكارم * تقدّ بأطراف القنا والصوارم

* * *

قال الشيخ ابو محمد العربي بن علي المسناوي الحسني في كتاب
فتح المنان في شرح قصيدة ابن [illegible] [illegible]

ثم قال الكلاعي صاحب السيرة [illegible] في اربعة اسفار [illegible]
بلا كلفة وشرحها بعض العلماء من شرحه [illegible] [illegible]
الحرم كره العلم على [illegible] [illegible] [illegible] في
الله [illegible] محمد الشريف [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] من [illegible] العربي [illegible] في [illegible]
الكلاعي [illegible] أحق ان [illegible] قول [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] .

* * *

هـذا وقـد ترجمه باللغـة الاسبانيـة المستشرق پونس بوبفس فى كتابه الاجتهاد فى التعريف بعلماء التأريخ والجغرافيـة من عرب الاندلس وبيان تاليفهم (ط مجريط سنـة ١٨٩٨ ص ٢٨٣ وعـــدد ٢٣٩) وترجمه ايضا باللغـة الفرنسيـة الشيخ ابن ابى شنب فى تعليقاتـه على ترجمته لاجازة سيدى عبد القادر الفاسى (ط باريس سنة ١٩٠٧ عدد ٣٣٤) وما ذكرناه من حياة الكلاعى آنفا اختصرناه مما قاله فيه .

عمره سبعون لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه ابو
عبد الله ابن الابار بقصيدته الميمية السهيرة التي يقول في أولها

ألمّا بأشلاء العلى والمكارم * تقدّ بأطراف القنا والصوارم

* * *

قال الشيخ ابو محمد العربي بن علي المسرّي الحسني في كتاب
فتح المنان في شرح قصيدة ابن ودان [illegible]

سليمان الكلاعي صاحب السيرة النبوية في اربعة اسفار سماها
بالاكتفاء وشرحها بعض الفاسيين شرحا عجيبا والفاسيين [illegible]
الحجم كثيرة العلم على الاكتفاء ايضا وقفت عليها وكتبتها لاحد في
الله السيد محمد الشريف البقالي [illegible]
للتدريس جاء بها من خزانة سيدي العربي [illegible] وفي سيرة
الكلاعي هذه أحق أن ينشد قول القائل

بأخبار خير الرسل قد ملا الادنا

* * *

هـذا وقـد ترجمه باللغـة الاسبانيـة المستشرق بونس بويفس في كتابه الاجتهـاد في التعريف بعلمـاء التأريخ والجغرافيـة من عرب الاندلس وبيان تاليفهـم (ط مجريط سنـة ١٨٩٨ ص ٢٨٣ وعــدد ٢٣٩) وترجمه ايضا باللغـة الفرنسيـة الشيخ ابن ابي شنب في تعليقاتـه على ترجمته لاجازة سيدي عبد القادر الفاسي (ط باريس سنة ١٩٠٢ عدد ٢٣٤) وما ذكرناه من حياة الكلاعي آنفا اختصرناه مما قاله فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الامام

ابو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي

رحمه الله

الحمد لله الذي منّ علينا بالاسلام * وأكرمنا بسيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام * وجعل آثاره الكريمة * صلاتنا المسرودة * وآلاءه داعية بهدايته الأهدى * ونوره الأوضح الأبدى * غايتنا المقصودة * وأمنيتنا المودودة * وأنعم على قلوبنا بالارتياح لذكره * والاهتزاز عند سماع خبر غيبه مَصْدَرُه * أو النية بنيهاه * وانه لأسر رجاءٍ في هذه القلوب الطّالبة * وأثاره خير ترجى أن تردها من مسارح اجهاله الصالحة * فان الأرواح لاذُوق سهاده الحبّ واثاره المحبّ * وقد روى عنه صلوات الله عليه

نقلة السنّة ، وان من أحبّه كان معه في الجنّة ، فنسأل الله تعالى ان يكتبنا في مُحبّيه حقيقةً ، ويسلك بنا من الوقوف عند [illegible] أوامره ونواهيه طريقة بالسعادة ملحقة ، فما نزال طالبين ذلك من أكرم مطلوب لديه ، راغبين فيه الى خير مرغوب اليه ، [illegible] املاً للاسعاف [illegible] في الاعمال ، فإنه جلّ جلاله أهل الجود والافضال ، وصلّى [illegible] على هذا النبي المبارك الكريم ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وصحبه [illegible] خير صحب وخير آل .

وهذا كتاب ذهبت فيه الى [illegible] الاختصار ، [illegible] والأسماع ، بإسناف الخبر [illegible] رسول الله [illegible] وصفته [illegible] ومغازيه [illegible] مولده الى ان استأثر الله [illegible] عليه [illegible] وسلامه وبركاته عليه [illegible] ذكر آياته المباركة [illegible] من كتب أئمة هذا الشأن الذين [illegible] كتاب محمد بن اسحاق الذي [illegible]

تهذيبه واختصاره وكتاب موسى بن عقبة الـــذى استحسن الائمة اقتصاده واختصاره وغيرهما من المجموعات التى لا يذأم الانصاف قصدَ جامعها ولا يذمّ الاختبارُ اختيارَه ولاكن عَظُمَ المُعَوّل * بحكم الخاطر الاول * على كتاب ابن اسحاق اياه أردتُ * وتجريده من اللغات وكثير من الأنساب والأشعار قصدتُ * وعلى ترتيبه غالباً جريتُ * ومنزعه فى اكثر مـا يخصّ المغـازى تحرّيتُ * فانّه الذى شرب مـاء هذا الشـان فأنقع * وحلّ كتابه من نفوس الخاص والعام أجلّ موقع * الا أنه تخلّله كما أشرنا اليه قبل اشيـاءُ من غير المغازى تقدح عند الجمهور فى امتاعه * وتقطع بالخواطر المستجمعة لِسماعه * وإن كانت تلك القواطع عريقـةً فى نسب العلم * وحقيقـةً بالتقييد والنظم * فعَسَى ان يكون لها مكان هو بإيرادهـا أخصّ * اذ لِكلّ مقام مقال لا يحسن فى غيره الإيراد له والنصّ * ولذلك نَوَيتُ فيه ان أحذف ما تخلّله من مُتتبَع الأنساب التى ليس احتيـاجُ كل الناس اليها بالضرورى الحثيث * وتفسير اللغات المفرق اعتراضها اتّصال الأحاديث * حتى لا يبقى الا الأخبار المجرّدة * وخلاصة المغازى التى هى فى هذا المجموع المقصودة المعتمدة *

ظنًّا مني انه اذا أذن الله في تمامه وتكفّل تعالى [illegible]
وفق المأمول وتقريب مرامه استأنفت النفوس [illegible]
اقبالاً ولم يزده هذا النقص لدى جمهورهم الا كمالا.

ثم بدا لي ان أزيد على هذا المختار ما يحسن في هذا [illegible]
وأعوض مما حذفتُ منه من اللغات والانساب والاشعار [illegible]
ان شاء الله مزيد الأخبار [illegible]
من الدواوين التي ظفرت بها في [illegible]
الأماكن التي لا يستقل بحصر فوائدها [illegible]
ككتاب ابن قتيبة وقد [illegible]
العبارة ورأيت بمواضع من المعرفة [illegible]
وسأضع على كل من [illegible] وأرسمها في هذا المختصر [illegible]
رسمه.

وقد وقفت على كتاب محمد بن عمر الواقدي في المغازي [illegible]
يحضرني الآن لاكتفي [illegible] من ابن اسحاق [illegible]
عنه به افضل فصاحة ابن اسحاق في الايراد [illegible]

لا يُوجد مثله استحسان الحديث المعاد ❊ وللواقدي ايضا كتاب
المبعث وهو متسع في بابه ❊ مُمتع باستيفائه واستيعابه ❊ وقد نقلتُ منه
فيه جُمَلًا بحسب الغرض المقصود ❊ ويصدّ المعرض ان يجوز ❊ وكذلك
كتاب الزبير بن ابي بكر القاضي رحمه الله في
أنساب قريش وهو كما سمعتُ شيخنا الخطيب ابا القاسم بن
حبيش رحمه الله يحكي عن شيخه ابي الحسن بن مغيث انه كان
يقول فيه هو كتاب عجيب لا كتاب نسب فقط التقطتُ ايضا من دُرره
نفائس مُعجبة ❊ وجرّدتُ من فوائده نُخبا لم يجرّدها موجده ❊ ومثله
التاريخ الكبير لابي بكر بن ابي خيثمة وناهيك به
من بحر لا تكدّره الدلاء ❊ وبئر لا ينزفه الأخذ الدرّاك ولا ينقصه ورود
الورد الولاء ❊ وكم شيء استجدته من غرر هذه الكتب المسمّاة
واتيت به في هذا النظام ❊ ويضطرّ الى الافادة به مساق الكلام ❊ إما
متمّما لجانب ساقٍ ❊ وإما عاضدا لغرض بعينه مطابق ❊ وإن
لم يكن بينهم في الاخبار اختلاف تُشعر به فضل فكر فيما
أدخلت بعضهم في حديث بعض لكون المساق ابين ❊

والاتساق أحسن * وإن عرض عارض خلاف فالفصل حينئذ ارفع للإشكال * وادفع للمقال * وربما فصلت بين بعض أحاديثهم وإن اشتبهت معانيها بحسب ما تدعو إليه ضرورة الموضع * لئلا يحمل على إعادته حلاوة المرجع * وكل ذلك بتوفيق الله إن شاء الله فيه بالقصد الأول وتجديد الكريم * وإحسانه العميم * ورحمته التي [illegible] سبق تعالى لنفسه إنه الرحمن الرحيم *

ثم القصد الثاني * وقد [illegible] على إيثار الرغبة في [illegible] أخبار [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] خواطرهم [illegible] تكون لهم في العاجل والآجل أنفع وأسلم * وقد ختم [illegible] الصلاة والسلام [illegible] حديث [illegible] وقال صاحبه [illegible] الإسلام [illegible] حسن بلفظه [illegible] ولا أحسن بعد كتاب الله الذي هو أحسن القصص وأصدق القصص وأفضل [illegible] وأحلى [illegible] من أخبار رسول الله الذي [illegible] حلاوة الإسلام [illegible] إلى دار السلام [illegible] الكتب [illegible] أن يسمعوا [illegible]

فيستجزلوا ثواب الفرج بنصر الله او يسمعوا ما امتحنه الله به من المِحَن التي لا يُطيق احتمالها الا نفوس انبياء الله بتأييد الله فيعتبروا بعظيم ما لقيه من شدائد الخطوب ❊ ويصطبروا لعوارض الكروب ❊ تأدّباً بآدابه وجرياً في الصبر على ما يُصيبهم والاحتساب على ما ينوبهم على طريقة صبره واحتسابه وتلك غاية لن نبلغ عفوها بجهدنا ❊ ولن نَصِل أدناها بنهاية ركضنا وشدّنا ❊ وانما علينا بذل الجهد في قصد الاهتداء ❊ وعلى الله سبحانه المعونة في الغاية والابتداء ❊

واذا استوفيتُ بفضل الله تعالى طاق هذا المعنى كما نويتُ ❊ وبلغتُ حاجة نفسي منه وقضيتُ ❊ فاني نيّة إن ساعدتني المشيئة عليها في أن أصِلَ هذا الغرض المتقدّم من ذكر مغازي رسول الله صلعم بذكر مغازي الخلفاء الثلاثة الأُوَل رضي الله عنهم منتحلاً على رجاء معونة الله أسبابها ومنتخلا من كتاب شيخنا الخطيب ابي القاسم رحمه الله ومن غيره مما هو في نحو معناه صفوها والبابها لتنتظم الفائدتان معا ❊ ويكون الخبر عن مغازي رسول الله صلعم ومغازي خلفائه الذين يهديهم الائتمام في مكان واحد مجتمعا ❊ وأرجو بحول الله الذي

له الطول ، وبيده القوة والحول ، ان يكون هذا المجموع كافيا في البابين ، وافيا بالغرضين المتناسبين ،

والذلك نرجمه بكتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلعم ومغازي الثلاثة الخلفاء ، وفضله جلّ جلاله يعم الكافة الى ان يحوزني به حسن الجزاء ، ويجعله من عُددنا الذاخرة يوم اللقاء ، فهو عزّ وجهه الملجأ والمعوّل ، وبه تعالى نستعين وعليه نتوكل ، لا اله الا هو سبحانه هو حسبي واليه أنيب .

ذكر نسب رسول الله

واكرم الخلق على الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما وكيف
طهّره الله نفسا وخيما وشرّفه حديثا وقديمـــا وألقى الى آبائه
الاقدمين من الدلائل على اصطفائه اياه فى الآخرين
وابتعائه له رحمةً للعالمين ما صيّره لديهم قبل
وجوده بطوائل السنين معلومـا صلعم .

فى الصحيح من حديث واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلعم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم .

وفى حديث عن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلعم قال لم يزل الله عز وجل ينقلنى من الأصلاب الطيّبة الى الأرحام الطاهرة صفياً مهذّبا لا تتشعّب شعبتان الا كنتُ فى خيرهما .

وخرّج ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذى من حديث المطّلب ابن ابى وداعة ان رسول الله صلعم قام على المنبر فقال مَن انا فقالوا

انت رسول الله عليك السلام قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا .

وفي رواية فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا جل ذي علمه والله ذي شيمته وفوق العالمين طرا قدره الرفيع وفضله هو أشرفهم نفسا وأعظمهم نسبا وأكرمهم أما وأبا هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف وهو المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان هذا الصحيح المجمع عليه في نسبه وما فوق ذلك مختلف فيه ولا خلاف في ان عدنان من ولد اسماعيل نبي الله بن ابراهيم خليل الله عليهما السلام وانما الاختلاف في عدد من بين عدنان واسماعيل من الآباء فمقل ومكثر وكذلك من ابراهيم الى آدم عليهما السلام لا يعلم ذلك على حقيقته الا الله تعالى .

روى عن ابن عباس قال كان النبى صلعم اذا انتهى الى عدنان أمسك ثم يقول كذب النسابون قال الله تعالى وقروناً بين ذلك كثيراً (١).

ومن عدنان تفرّعت القبائل من ولد اسماعيل فولد عدنان رجلين معدّ بن عدنان وعكّ بن عدنان فصارت عك فى دار اليمن لان عكاً تزوّج فى الأشعريين منهم وأقام فيهم فصارت الدار واللغة واحدةً والاشعريون هم بنو أشعر بن نبْت بن أُدَد بن زيد بن مِهسَع بن عمرو بن عريب بن يشجُب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان وقحطان هو عند جمهور العلماء بالنسب ابو اليمن كلها وإليه يجتمع نسبها والعرب كلها عندهم من ولد اسماعيل وقحطان وبعض اهل اليمن يقول قحطان من ولد اسماعيل واسماعيل ابو العرب كلها فالله اعلم .

واما معدّ فذكر الزبير بن ابى بكر رحمه الله ان بخت نصر لما امر بغزو بلاد العرب ادخل الجنود عليهم فيها وقتل مقاتلتهم لانتهاكهم معاصى الله واستحلالهم محارمه وقتلهم أنبياءه وردّهم رسالته

(١) س ٢٥ آ ٤٠ .

أمر ارمياء بن حلقيا وكان فيما ذُكر نبيئاً من أنبياء بني اسرائيل في ذلك الزمان ان ايت معد بن عدنان الذي من ولده محمد خاتم النبيين فأخرجه من بلاده واحمله معك الى الشام وتولّ أمره فبلكث ويقال بل المحمول عدنان والاول اكثر .

وفي حديث عن ابن عباس ان الله بعث ملكين فاحتملا معدا فلما ادبر الأمر ردّاه فرجع الى موضعه من تهامة بعد ما رفع الله بأسه عن العرب فكان بمكّة وناحيتها مع أخواله من جُرْهُم وبها منهم بقيةٌ هم ولاة البيت يومئذ فاختلط بهم وناكحهم .

فولد معد بن عدنان نفرا منهم قضاعة وكان بكْره الذي به يُكنى فيما يزعمون وقنص ونزار وإياد فأما قضاعة فيامنت الى حِمْير بن سبا وانتمت الى ابنه مالك بن حمير حتى قال قائلهم يفخر بذلك

نحن بنو الشيخ الهِجان الأزهر ۞ قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر

وأنكر كسر من الناس سماهم هـدا وحرت د بهم و بين من فـال به من القضاعيين فى دلك أقاويل معروفه وأشعار محفوظه .

قال الرسر ولم بحد مع رأى قضاعة على الانساب فى اليمن بل أهل العلم والدين مع مون على نسبهم فى معدّ

واما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما زعموا وكان منهم النعمان بن المندر ملك الحيرة واحتج من قال دلك بأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين اتى بسيف النعمان بن المندر دعا حبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى فسأله اياه ثم قال ممن كان النعمان بن المندر فقال كان من أشلاء قنص بن معد وكان حبير أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة وكان يقول انما اخذت النسب عن ابى بكر الصديق وكان ابو بكر رضى الله عنه أنسب العرب .

وقد قيل فى نسب النعمان غير ذلك مما سنأتى دكره عند ذكره فى الحديث ان شاء الله

وقد ذُكر ايضا في بني معدّ الضحّاك بن معدّ ذكر الزبير باسناد له الى مكحول قال اغار الضحّاك بن معدّ على بني اسرائيل في اربعين رجلا من بني معدّ عليهم دارع الصوف خاطمي خيلهم بحبال الليف وقتلوا وسبوا وظفروا فقالت بنو اسرائيل يا موسى انّ بني معدّ أغاروا علينا وهمُ قليل فكيف لو كانوا كثيرا وأغاروا علينا وأنت بيننا فادعُ الله عليهم فتوضّأ موسى وصلّى وكان اذا أراد حاجةً من الله تعالى صلّى ثم قال يا رب انّ بني معدّ أغاروا على بني اسرائيل فقتلوا وسبوا وظفروا وسألوني ان أدعوك عليهم فقال الله يا موسى لا تدعُ عليهم فانّهم عبادي وانهم ينتهون عند اوّل أمري وانّ فيهم نبيّا أحبّه وأحبّ أمّته قال يا رب ما بلغ من محبّتك له قال أغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر قال يا رب ما بلغ من محبّتك لامّته قال يستغفرني مستغفرهم فأغفر له ويدعوني داعيهم فاستجيب له قال يا رب فاجعلهم من أمّتي قال نبيّهم منهم قال يا رب فاجعلني منهم قال تقدّمتَ واستأخروا .

قال الزبير وحدّثني على بن المغيرة قال لمّا بلغ بنو معدّ عشرين

رجلاً أغاروا على عسكر موسى ثمّ فدعا عليهم فلم يُجَب فيهم ثم أغاروا فدعا عليهم فلم يُجَب فيهم ثلاث مرات فقال يا رب دعوتُك على قوم فلم تجبني فيهم بشيء فقال يا موسى دعوتَني على قوم منهم خيرتي في اخر الزمان .

وامّا نزار بن معدّ واسمه مشتق بن النزر وهو القليل فيقال ان اباه معدّا لمّا ولده نظر الى نور بين عينيه ففرح بذلك فرحاً شديداً ونحر وأطعم وقال انّ هذا كلّه لنذر في حقّ هذا المولود وما كان الذى رآه الا نور النبوّة الذى لم يزل ينتقل في الأصلاب حتى انتهى الى نبيّنا محمد صلعم فطبق الأرض نوراً وهدى الله به مَن أراد سعادتَه من عباده صراطاً مستقيماً وكلّ هذه الأنوار والاثار شاهدة له ثمّ بعظيم عناية الله وكريم المكانة عنده فلم تزل بركته صلعم متعرفة في ابائه الماضيين وظاهرة على أسلافه الاكرمين تشير المخائلُ اللائحة فيهم اليه وتدلّ الدلائلُ الواضحة في اوّلهم عليه صلوات الله وبركاته عليه .

فولد نزار بن معدّ مُضَراً وربيعة وأنماراً وإياداً واليه دفع أبوه حجابة الكعبة فيما ذكر الزبير وأمّهم سَودة بنت عك بن عدنان وقيل هي أمّ مُضَر خاصّة وأمّ اخوته الثلاثة أختها شُقَيقة ابنة عك بن عدنان .

وقد قيل انّ ايادا شقيق لِمُضَر أمّهما معا سودة فأنمار هو ابو بجيلة وخَثعَمَ وقد تيامنتْ بجيلة الا ما كان منها بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى أنمار بن نزار وجرير بن عبد الله صاحب رسول الله صلعم سيدٌ من سادات بجيلة وله يقول القائل

لولا جريرٌ هلكتْ بجيلةْ ۞ نعْم الفتى وبئست القبيلةْ

وكذلك تيامنت الدار بخثعم وهم بنو أفتل بن أنمار وخثعم جبل تحالفوا عنده فسُمّوا به وهم بالسراة على نسبهم الى أنمار واذ كانت بين مُضَر واليمن فيما هنالك حروبٌ كانت خثعم مع اليمن على مضر.

ويروى ان نزارا لمّا حضرته الوفاة قسم ماله بين بنيه الاربعة مُضر وربيعة وإياد وأنمار فقال هذه القبّة لقبة كانت له حمراء من أدم وما أشبهها من المال لِمُضَر وهذا الخبا الأسود وما أشبهه لربيعة وهذه الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها لإياد وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه وقال لهم إن أشكل عليكم الأمر في ذلك واختلفتم في القسمة

فعليكم بالأفعى الجُرهُمي وكان بنجران فاختلفوا بعده وأشكل امر القسمة عليهم فتوجّهوا الى الافعى فبينما هم فى مسيرهم اليه اذ رأى مُضر كلأ قد رُعى فقال ان البعير الذى رعى هذا لأعور فقال ربيعة وهو أزور وقال اياد وهو أبتر وقال أنمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل تُوضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال له مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد وهو أبتر قال نعم قال أنمار وهو شرود قال نعم هذه والله صفة بعيرى دلّونى عليه فحلفوا له ما رأوه فلزمهم وقال كيف اصدّقكم وانتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى قدموا نجران فنزلوا بالافعى الجرهمى فنادى صاحب البعير بعيرى وصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره فقال لهم الافعى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانباً و يدع جانباً فعرفت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى رجليه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعلمت انه أفسدها بشدّة وطئه لإزوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيّالا لمصع به وقال أنمار عرفت انه شرود انه كان يرعى فى المكان الملتفّ نبته ثم يجوزه الى مكان أرقّ منه وأخبث قال الشيخ

ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم مَن هم فأخبروه فرحّب بهم
وقال تحتاجون الى وأنتم كما أرى فدعا لهم بطعام فأكل وأكلوا وشرب
وشربوا فقال مضر لم أر كاليوم خمراً أجود لولا انها نبتت على قبر وقال
ربيعة لم أر كاليوم لحماً أطيب لولا انه رُبّي بلبن كلبة وقال اياد لم أر
كاليوم رجلا أسرى لولا انه ليس لابيه الذي يدعى له وقال أنمار لم
أر كاليوم كلاماً أنفع في حاجتنا وسمع صاحبهم كلامهم فقال ما هولاء
الا شياطين ثم أتى أمّه فسألها فأخبرته انها كانت تحت ملك لا
يولد له فكرهت ان يذهب المُلك فأمكنت رجلا نزل بهم من نفسها
فوَطِئها فجاءت به وقال للقهرمان الخمر التي شربناها ما أمرها قال من
حبلة غرستُها على قبر أبيك وسأل الراعي عن اللحم فقال شاة أرضعناها
من لبن كلبة ولم يكن ولد يومئذ في الغنم غيرها فأتاهم فقال قصّوا عليّ
قصّتكم فقصوا عليه ما أوصى به أبيهم وما كان من اختلافهم فقال ما
أشبه القبّة الحمراء لمضر فصارت له الدنانير والإبل وهي حُمر فسُمّيت
مضر الحمراء قال وما أشبه الخباء الاسود من دابّة ومال فهو لربيعة
فصارت له الخيل وهي دُهم فسُمّي ربيعة الفرس قال وما أشبه الخادم

وكانت شمطاء من مال فيه باق فهو لإياد فصارت له الماشية البلق وقضى لأنمار بالدراهم والارض فساروا من عنده على ذلك وكان يقال لمضر وربيعة هما الصريحان من ولد اسماعيل .

ورَوَى ميمون بن مهران عن عبد الله بن العباس ان رسول الله صلعم قال لا تسبّوا مضر وربيعة فانهما كانا مسلمين وقال صلعم فيما روى عنه اذا اختلف الناس فالحق مع مضر وسمع عم قائلا يقول :

انّى امرؤ حميريّ حين تنسبنى ❊ لا من ربيعة آبائى ولا مُضرا

فقال صلعم ذلك أبعد لك من الله ومن رسوله .

ومما يؤثر من حكم مضر بن نزار ووصاياه مَن يزرع شرّا يحصد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما أصلحكم واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق .

وولد مضر بن نزار رجلين الياس بن مضر وعيلان بن مضر ❊ قال الزبير وأمّهما الحنفاء بنت اياد بن معدّ ❊ وقال ابن هشام أمهما جُرهُمية ❊

ولما ادرك الياس بن مضر انكر على بنى اسماعيل ما غيّروا من سُنن آبائهم وسيرتهم وبان فضله عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به رضًى لم يرضوه بأحد من بنى اسماعيل بعد أُدد فردّهم الى سنن آبائهم حتى رجعت سنّتهم تامّة على أوّلها وهو أول من أهدى البُدن الى البيت او فى زمانه وأول من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت وانهدم زمن نوح عم فكان أول من سقط عليه الياس او فى زمانه فوضعه فى زاوية البيت للناس.

فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر مُدركة وطابخة وقمعة وأمهم خندف بنت حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة واسمها ليلى واسم مدركة عامر واسم طابخة عمرو واسم قمعة عُمير وانما حالت اسماؤهم الى الذى ذكرنا اوّلا عنهم فيما ذكروا ان أرنبا أنفرت إبل الياس بن مضر فصاح ببنيه هؤلاء ان يطلبوا الابل والارنب فأما عمير فاطّلع اى جلس ثم قمع فسُمّى قمعة وخرج عامر وعمرو فى اثار الابل وخرجت امهم ليلى تسعى خلفهم فقال لها زوجها الياس اين تُخندِفين اى اين تسعين فسُمّيت خندف وقرّ عامر بظبى فرماه عمرو

فقتله ويقال بل رمى الارنب التى أنفرت الابل فقال له عامر اطبخ صيدك وأنا أكفيك الابل فطبخ عمرو فسُمّى طابخة وأدركَ الابل عامر فسمى مدركة واشتهر بنو خندف هولاء بأمّهم خندف للذى صار من فعلها فى الناس وذلك انه لما مرض زوجها اليـاس وجدتْ لذلك وجداً شديداً ونذرت إن هلك أن لا تقيم فى بلد مات فيه ولا يظلّها بعده بيت وان تسيح فى الارض وحرّمت الرجال والطيب فلما هلك الياس خرجت سائحة فى الارض حتى هلكت حزناً وكانت وفاته يوم الخميس فكانت كلما طلعت الشمس من ذلك اليوم بكته حتى تغيب فصارت خندف وما صنعتْ عجباً فى الناس يتحدّثون به ويذكرونه فى أشعارهم فقيل لرجل من ايـاد او همْدان وقد هلكت امرأته ألا تبكي عليها فقال لو كان ذلك بردّها لفعلتّ كما فعلت خندف على الياس ثم اندفع يقول

ولو انه يُغنى بكيتُ كخندفٍ * على الياس حتى ملّها المتردّدُ
اذا مونسٌ لاحتْ خراطيم شمسه * بكتْ غُدْوَةً حتى ترى الشمسَ تَغْرُبُ
ولم تَرَ عيناها سوى الدفن قبرُه * فساحتْ وما تدرى الى ابن تذهب

فلم يُغنِ شيئا طول ما بلغتْ به ٭ وما طالها دهرٌ وعيشٌ معذَّب

وفقدت امرأةٌ من غسّان أخاها ثم أباها فمكثتْ دهرا تبكي عليهما فنهاها قومُها فقالت

نَنْهونَ سَلْمَى إذ بَكَتْ أباها ٭ وقبْلَ ما قد ثكلَتْ أخاها
فحوّلوا العذْلَ الى سِواها ٭ عَصَتْكُمُ سَلْمى الى هواها
كما عَصَتْ خِنْدِفُ مَنْ نَهاها ٭ خَلّتْ بَنيها أسفا وراها
تبكي على الياس فما أناها

فولد مدركة بن الياس نفرا منهم خُزيمة بن مدركة وهُذيل بن مدركة وأمهما امرأة من قضاعة قيل هي سلمى بنت سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وقيل غير ذلك .

فولد خزيمة بن مدركة كنانة وأسدا وأسدة والهُون وأمّ كنانة اسمها عُوانة بنت سعد بن قيس بن غيلان بن مضر وقال محمد بن عمرو بن قيس بن غيلان فرأته بخطّ احمد بن يحيى بن جابر وأمّ سائر بنيه برّة بنت مُرّ أخت تميم بن مر بن أدّ بن طابخة .

فولد كنانة بن خزيمة جماعة منهم النضر وبه كان يُكنَى ونُضَير ومالك وملكان وعمرو وعامر وامّهم برّة بنت مرّ خلف عليها كنانة بعد أبيه خزيمة على ما كانت عليه الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها فنهى الله عن ذلك بقوله ولا تنكحوا ما نكح أبآؤكم من النسآء الا ما قد سلف (١) ويقال ان برّة هذه لما أُهْدِيَتْ اوّلا الى خزيمة بن مدركة قالت له انى رايت فى المنام كأنى ولدتُ غلامين من خلافٍ بينهما سابياء فبينا أنا أتأمّلهما اذا احدهما اسدٌ يزأر واذا الآخر قمر يُنير فأتى خزيمة كاهنة بتهامة فقصّ عليها الرؤيا فقالت لئن صدقت رؤياها لَتَلِدَنّ منك غلاما يكون لولده قلوب باسله ثم لتموتنّ عنها فيخلف عليها ابن لك فتلد منه غلاما يكون لولده عدل وعدد وقروم مجد وعزّ الى اخر الدهر ثم توفّى خزيمة فخلف عليها كنانة بعد أبيه فولدتْ له النضر واخوته وانما سمّى النضر لنضارة وجهه وجماله وأتى أبوه

---

(١) س ٤ آ ٢٦

كنانة بن خزيمة وهو قائم في الحجر فقيل له تخيّرْ يا أبا النضر بين الصهيل والهدر وعمارة الجدر وعزّ الدهر فقال كلّ يا ربّ فصار هذا كله في قُريش والنضر هو جماع قريش في قول طائفة من اهل العلم بالنسب والاكثر على ان فِهْر بن مالك بن النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشيّ ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي، وذكر الزبير ان هذا هو رأي كل من ادرك من نُسّاب قريش

فولد النضر بن كنانة مالكا ويَخلُد والصلت

فولد مالك بن النضر فهْر بن مالك وأمه جندَلة بنت الحارث ابن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن مضاض الجرهمي وهو جماع قريش عند الاكثرين قال الزبير قد اجمع النُسّاب من قريش وغيرهم ان قريشا انما تفرّقت عن فهر ويقال ان قريشا هو اسمه الذي سمّته به امه ولقبته فهرا

فولد فهر بن مالك غالبا ومُحاربا والحارث وأسدا وامّهم جندلة وامّ جميعهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة

ولما حضرت الوفاة فهر بن مالك قال لابنه غالب يا بُنَيَّ ان فى الحزن إقلاق النفوس قبل المصائب فاذا وقعت المصيبة برد حرّها وانما القاق فى غليانها فإذا انا متّ فبرد حرّ مصيبتك بما ترى من وقع المنية امامك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك وما ترى من آثارها فى مجيىء الحياة ثم اقتصرْ على قليلك وإن قلّت منفعته فقليل ما فى يدك اغنى لك من كثير أخلق وجهك وان صار اليك

فولد غالب بن فهر لُؤَيا وتَيماً وهو الادرم كان منقوص الدقن ويقال لقومه بنو الادرم وأمهما فى قول بن اسحاق سلمى بنت عمرو الخزاعى وفى قول الزبير عاتكة بنت يَخلُد بن النضر

ورُوِى ان لؤى بن غالب قال لابيه وهو غلام حدث يا أبت مَن رَبَّ معروفَه قَلَّ إخلافه وخصر ماؤه ومَن أخلقه أخمله واذا أُخمِل الشىء لم يُذكر وعلى المولى تكبير صغيره ونشره وعلى المولى تصغير كبيره وستره فقال له أبوه غالبٌ انى لأستدلّ بما أسمع من قولك على فضلك وأستدعى لك به الطول على قومك فان ظفرتَ بطولٍ فعُدْ على

قومك بفضلك وكفّ غرب جهلهم بحلمك ولمّ شعثهم برفقك فانما يفضل الرجال الرجال بأفعالها ومَن قايسها على أوزانها أسقط الفضل ولم تعلُ به درجةٌ على احد وللعلياء أبداً على السفلى الفضل

فولد لؤى بن غالب كعبا وعامرا وسامة وعَوفاً وسعدا وخزيمة فدخل بنو خزيمة فى شيبان ويُسمّون فيهم بعائذة وهى امرأة من اليمن كانت أمّ بنى عُبيد بن خزيمة فنُسبوا اليها وكذالك دخل بنو سعد أيضا فى شيبان ويُسمّون فيهم ببُنانة حاضنة كانت لهم من قضاعة وقيل من النَمِر بن قاسط فنُسبوا اليها . وأما سامة بن لؤى فخرج الى عمان ويزعمون ان عامر بن لؤى أخرجه وذلك انه كان بينهما شىء ففقأ سامةُ عين عامر فأخافه عامر فخرج الى عمان فيزعمون ان سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته اذ وضعتْ رأسها ترتع فأخذتْ حيةٌ بمشفرها فهصرتْها حتى وقعت الناقة لشقّها ثم نهشتْ ساقه فقتلتْه فقال سامة حين احسّ بالموت فيما يزعمون

عَينِ فابكى لِسامةَ بن لؤىٍّ ✽ عَلِقَتْ ما بسامة العلّاقهْ

لا أرى مثل سامة بن لؤيّ * يومَ حلّوا به قتيلاً لناقه
بَلّغا عامراً وكعباً رسولاً * ان نفسي اليهما مُشتاقه
ان تكن في عُمان داري فانّي * غالبيٌّ خرجتُ من غير فاقه
رُبّ كاسٍ هَرَقْتَ يابن لؤي * حَذَرَ الموت لم تكن مُهْراقه
رُمْتَ دفْعَ الحُتوف يابن لؤي * ما لِمَن رام ذاك بالحَتف طاقه
وعَدُوسَ السُرَى تركتَ رَديّاً * بعد جِدٍّ وجِدّةٍ ورَشاقه

قال ابن هشام وبلغني ان بعض ولده اتى رسول الله صلعم فانتسب له الى سامة بن لؤي فقال رسول الله صلعم أ الشاعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردتَ قوله

رُبّ كاسٍ هَرَقْتَ يابن لؤي * حَذَرَ الموت لم تكن مهراقه

قال أجَلْ قال ابن اسحاق واما عوف بن لؤي فانه خرج فيما يزعمون في ركْب من قريش حتى اذا كان بأرض غطفان بن قيس بن عيلان أُبطئ به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان فحبسه والتاطه وآخاه

و زوّجه فانتسب بتلك المواخات الى سعد بن ذبيان بن ثعلبة وثعلبة يزعمون هو القائل

إِحْبِسْ عَلَيَّ ابنَ لؤيٍّ جملَكْ ❊ تَرَكَكَ القومُ ولا مُتْرَكَ لكْ

ويُروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لو كنتُ مدّعيا حيّا من العرب او مُلحقهم بنا لادّعيتُ بنى مُرّة بن عوف انّا لنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وَقع يعنى عوف بن لؤى وهم فى نسب غطفان مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وهم يقولون اذا ذُكر لهم هذا النسب ما نُنكره ولا نجحدُه وانه لأحبّ النسب الينا. وقيل ان عمر بن الخطاب قال لرجال من بنى مرة ان شئتم ان ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه وكان القوم اشرافا فى غطفان هم سادتهم وقادتهم منهم هرم بن سنان بن ابى حارثة واخوه خارجة بن سنان والحارث بن عوف والحُصين بن الحُمام وهاشم بن حرملة قوم لهم صيتٌ وذكر فى غطفان وقيس كلها فأقاموا على نسبهم على ان الحصين بن الحمام قد تحيّر فى هذا واختلف رأيه فلما سمع

قول الحارث بن ظالم أحد بني مرة بن عوف حين هرب من النعمان ابن المنذر ولحق بقريش

فما قومي بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشُّعْرِ الرِقابا
فقومي ان سالتَ بنو لؤيّ * بمكّة علّموا مُضَرَ الضِرابا
سَفِهْنا باتّباع بني بَغيض * وتركِ الأقربين لنا انتسابا
سفاهةَ مُخْلِفٍ لمّا تروّى * هَراقَ الماءَ واتّبعَ السرابا
فلو طُووِعْتُ عمرَكَ كنتُ منهم * وما أُلفيتُ انتجعُ السحابا

قال الحصين بن الحمام يرد عليه وينتمي الى غطفان

ألا لستُمُ منّا ولسنا اليكم * بَرِئْنا اليكم من لؤيّ بن غالب
أقمنا على عزّ الحجاز وانتم * بمُعْتَلَجِ البطحاء بين الاخاشب

يعني قريشاً ثم ندم الحصين على ما قال وعرف صدق الحارث فأكذب نفسه وقال

ندمتُ على قولٍ مضى كنتُ قلتُهُ * تبيّنتُ فيه انه غيرُ كاذبِ

فَلَيتَ لِسانى كانَ نِصفَين منهما * بَكيمٌ ونِصفٌ عندمَجرى الكواكب

أبونا كِنانيّ بِمكّة قَبرُه * بِمُعْناج البطحاء بين الاخاشب

لنا الرُّبعُ من بيت الحرام وراثة * ورُبعُ البطاح عندد ار ابن حاطب

يعنى ان بنى لؤى كانوا أربعة كعب وعامر وسامة وعوف وفى بنى مرة بن عوف كان البسل وذلك ثمانية أشهر حُرُم لهم من كل سنة من بين العرب يسيرون به الى اى بلاد العرب شاءوا ولا يخافون منهم شيئا قد عرفوا ذلك لهم لا يدفعونه ولا ينكرونه وكان سائر العرب انما يأمنون فى الاشهر الحرم الاربعة فقط

وذكر الزبير عن ابى عبيدة انه كانت لقريش فى هذا مزية على سائر العرب قاطبة وذلك ان العربى لم يكن يخرج من داره فى غير الاشهر الحرم الا فى جماعة وكان القرشى يخرج حيث شاء وأنى شاء فيقال رجل من اهل بيت الله فلا يعرض له عارض ولا يريده احد بمكروه ويعظمه من لقيه او ورد عليه ولذلك قال من قال منهم القرشى بكل بلد حرامٌ

واما كعب بن لؤى وعامر بن لؤى فهما اهل الكرم وصريح ولد لؤى وكان كعب منهما عظيم القدر فى العرب وأرّخوا بموته إعظاماً له الى ان كان عام الفيل فأرّخوا به وكان بين موته والفيل فيما ذكروا خمس مائة سنة وعشرون سنة وكان يوم الجمعة يُسمّى العروبة فسمّاه كعبُ الجمعةَ لاجتماع قريش اليه فيه يخطبهم ويذكرهم فيقول لهم فيما يقول ايها الناس اسمعوا وعُوا وافهموا وتعلّموا ليلٌ ساجٍ ونهارٌ ضاحٍ والسماء بناءٌ والارض مهادٌ والنجوم أعلام لم تُخلَق عبثاً فتضربوا عن أمرها صفحا الاخرون كالاوّلين والدار أمامكم واليقين غيرُ ظنّكم صِلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم واوفوا بعهدكم وثمّروا أموالكم فانها قوام مروأتكم ولا تصونوها عما يجب عليكم واعظموا هذا الحرم وتمسّكوا به فسيكون له نبأ عظيم وسيخرج به نبىء كريم ثم انشد أبياتا منها

صُروفٌ وانباء تقلّب أهلها ✽ لها عُقَدٌ ما يستحيل مريرُها
على غفلة يأتى النبىّ محمد ✽ فيخبر أخباراً صدوقا خبيرُها

ثم يقول

يا ليتنى شاهدٌ فحواء دعوته ✽ حين العشيرة تبغى الحقّ خذلانا

أمَا والله لو كنتُ ذا سَمْع وبصر ويد ورِجْل لَتنَصّبتُ فيها تنصّب الفحل ولَأَنْ قاتُ فيها بإرقال الجمل فرحا بدعْوته جذلا بصرخته

فولد كعب بن لؤي مُرّة وهُصيصاً وعديا وأمهم وَحْشيّة بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك وقيل ان أم عدي وحده امراة من فهر وهي حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهر بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار

فولد مرة بن كعب كلابا وتيْما ويقَظة

فولد كلاب رجلين قُصيّا وزُهرة وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل احد الجَدَرَة من خَثْعمة الازد من اليمن حلفاء في بني الديل من بكر بن عبد مناة بن كنانة ويقال خثعمة الازد واسم سيل خير وانما سُمي سيلا لطوله وسيل اسم جبل وهو خير بن جمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن خثعمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دُهْمان بن نصر بن الازد وسُمي عامر الجادر لانه بنى جدار الكعبة كان وهي من سيل اتى أدام ولانه جُرْهُم البيت وكان عامر تزوج منهم بنت الحارث بن مضاض وقيل لولده الجدرة لذلك

وذكر الشرقي بن القطامي ان الحاجّ كانوا يتمسّحون بالكعبة ويأخذون من طينها وحجارتها تبرّكاً بذلك وان عامرا هذا كان موكّلا بإصلاح ما شُعِثَ من جُدُرها فسُمِّي الجادر فالله اعلم ❊ وسعد بن سيل جدّ قُصي بن كلاب بن مرة هو اول من حلّى السيوف بالفضّة والذهب وأهدى الى كلاب بن مرة مع ابنته فاطمة سيفين مُحَلّيَيْن فجُعِلا في خزانة الكعبة ❊ وقُصَيّ هو الذي جمع الله به قريشا وكان اسمه زيد فسمي مجمّعاً لما جمع من امرها وسمى قصيّا لتقصّيه عن بلاد قومه مع أمّه فاطمة بعد وفاة ابيه كلاب بن مرة وحديثه في ذلك طويل وسنذكره إن شاء الله تعالى عند ذكر ولايته البيت وهناك نذكر مأثره وعظيم غنائه في إقامة أمر قومه ان شاء الله تعالى فانّ القصد هنا الإيجاز ما أمكن في ايراد هذا النسب المبارك لتتحصّل لسامعه الفائدة بانتظامه واتّصاله ولا يصلّ ذلك اليه بما يتخلّل اثناءه من القواطع التي تباعد بين أطرافه

وولد قصي بن كلاب اربعة نفر وامراتين عبد مناف وعبد الدار وعبد العُزّى وعبداً وتَخمُر وبرّة وأمّهم جميعاً حُبّى بنت حُلَيل بن

حَبَشِيَّة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وساد عبد مناف فى حياة أبيه وكان مُطاعا فى قريش وهو الذى يُدعَى القمر لجماله واسمه المغيرة

وذكر الزبير عن موسى بن عقبة انه وُجِد كتابٌ فى حجر فيه انا المغيرة بن قصى آمُرُ بتقوى الله وصلَة الرحِم واياه عَنَى القائل بقوله

كانتْ قُرَيشُ بَيضة فتفَلَّقَتْ ＊ فالمُحُّ خالِصُه لعبْد مناف

فولد عبد مناف أربعة نفر هاشما وعبد شمس والمطّلب ونوفلا وكلهم لعاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر الا نوفلا منهم بأنه لواقدة بنت عمرو المازنية مازن بن منصور بن عكرمة

فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب وأسداً وأبا صيفى ونضلة والشفاء وخالدة وضعيفة ورُقية وحيّة وأم عبد المطلب منهم سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خراش ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار

فولد عبد المطلب عشرة نفر وستّ نسوة العباس وحمزة وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث وهو أكبرهم والحجل والمقوّم وضرارا وعبد العزى وأبا لهب وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأُمَيمة وأروى وبرّة فأمّ عبد الله وأبي طالب وجميع النساء غير صفيّةُ فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي

فولد عبد الله بن عبد المطلب محمداً صلعم رسول الله خاتم النبيين، وسيّد الاوّلين والاخرين، ونُخبة الخلق أجمعين، فنسبه صلعم أشرف الانساب، وسببه الى الله سبحانه باصطفائه اياه واختياره له أفضل الاسباب، وبيته في قريش أوسط بيوتها الكرميّة، وأعرق معادنها الكرميّة، لم تخلُ قط مكة من سيّد منهم او سادات يكونون خير جيلهم ورؤساء قبيلهم حتى اذا درجوا سما قُسماؤهم في المجد الصميم، وشُركاؤهم في النسب الكريم، الى ذلك المقام وعرجوا فصحوا على ذلك الزمان لواؤهم على من ناواهم منصور، وسودد البطحاء عليهم مقصور، والعيون اليهم اية سلكوا صور، ثم اتى الوادي

فطمّ على القريّ وشدّ الله اركان مجدهم العريق العتيق بهذا النبي الامّي فاحتازوا المجد عن آخره، وفازوا من شرف الدين والدنيا بما تعجز ألسنةُ البلغاء عن أدنى مفاخره،

وأمه صلعم هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فسيمة أبيه من هذا الاب، وكربمة فيها أولى المكان النبيه والنسب، وحسْبُها من الشرف المتين، والكرم المبين، والفخر المكين غاية التمكين، ان كانت أمّاً لخاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، فكيف ولها من قصاعة الحسب المحسب، وعراقة المنسب والمنصب، ما يقع عند النطاح، وبعترف له قريش البطاح، فرسول الله صلوات الله وبركاته عليه، خِيرة الخير من كلا طرفيه، وقد اعتنى الناس بنسبه الكريم نثرا ونظما، وتقبوا عن آبائه الامجاد وأمّهاته الطاهرات الميلاد أبا فأبا وأما فأما، فرادوا من ذلك الفخار حذائق عُلما، وشادوا من سنى ذلك الاذار مراقي سمّا، وقد تقدمت من ذلك نبذ منثورة أثناء الكلام نثر الورد، وسنبني ان شاء الله تعالى

منظومة مع اشكالها نظم العقد ، في قصيدة فريدة مفيدة لابي عبد الله ابن ابي الصلت الخصال خاتمة رؤساء الادب والعلماء المبرزين في هذا الباب سمّاها معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب في ذكر نسب رسول الله صلعم ومعجزاته ومناقب أصحابه قرأتُها على شيخنا الخطيب ابي القاسم بن حُبَيش رحمه الله فقد رأيت ان أورد هنا ما يختصّ بهذا النسب الكريم على اختصار يَفي ان شاء الله بالغرض المروم اذ الكلام المنظوم أعذب جريا على الالسن ، وأهذب رأياً في الافادة بالمستحسَن ، وأوّلها :

البك فهمّي والفؤاد بيَثْرِب * وان عاقني عن مطْلع الوحي مغربي
أعلّل بالامال نفساً اغرّها * بتقديم غاياتي وتأخير مذهبي
وديني على الايام زورة أحمدِ * فهل ينقضي ديني ويقرب مطلبي
وهل أرِدَنْ فضْل الرسول بطيبة * فيا بَرْد احشائي ويا طيب مشربي
وهل فضلاتٌ من مركب العمر فضلةٌ * تبلّغني ام لا بلاغَ لمركبي
الا ليت زادي شَرْبة من مياهها * وهل مثلها ريّا لغُلّة مذنب

ويا ليتني فيها الى الله صابرٌ * وقلبي عن الايمان غير مقلّب
وإنّ امرأ وارى البقيعُ عظامه * لفي زمرة تُلقى بسهل ومرحب
وفي ذمّة من خير مَن وطئ الثرى * ومَن يعتلقه حبلُه لا يعذّب
ومالي لا أشري الجنان بعزمةٍ * يهونُ عليها كلّ طام وسبسب
وما ذا الذي يثني عناني وإنّني * لجوّابُ آفاقٍ كثيرُ التقلّب
أفقرٌ ففي كفّي لله نعمةٌ * وبينٌ فقد فرّقتُ بين بني أب
وقد مرنتْ نفسي على البُعد وانطوت * على مثل حدّ السمهريّ المدرّب
وكم غُربة في غير حقّ قطعتُها * فهلّا لذات الله كان تغرّبي
وكم فاز دوني بالذي رُمتُ فائزٌ * وأخطأني ما ناله من تقرّب
أراه وأهوى فعله البرّ قاعدا * فيا قعدتي البرّ فُم وتلبّب
أمانيّ قد افنى الشباب انتظارُها * وكيف بما أعيا الشبابَ لأشيب
وقد كنتُ أسري في الظلام بأدهم * فها انا أغدو في الصباح بأشهب
فمَنْ لي وأنّى لي بريح تحطّني * الى ذروة البيت الرفيع المطنّب
الى الهاشميّ الأبطحيّ محمّد * الى خاتم الرسل المكين المقرّب

الى صفوة الله الامين لوحيه * ابى القاسم الهادى الى خير مشعب
الى ابن الذبيحين الذى صيغ مجده * ولمّا تُصَغْ شمسٌ ولا بدرُ غيهب
الى المنتقى من عهد آدم فى الذرى * يردّد فى سرّ الصريح المهذّب
الى مَن تولّى اللهُ تطهيرَ بيته * وعصمته من كل عيبٍ مؤنّب
فجاء بريّ العرض من كل وصمة * فما شئتَ من أمّ حصانٍ ومن أب
كروض الرُبى كالشمس فى رونق الضُحى * كناشىء ماء السحب قبل التصوّب
عليه من الرحمن عين كلاءة * تجنّبه إلمامَ كل مجنّب
اذا أعرضتْ اعراقه عن قبيلة * فما أعرضتْ الا لأمرٍ مغيّب
وما عبرتْ الا على مسلك الهُدى * ولا عثرتْ الا على كل طيّب
فمَن مثل عبد الله خير لذاته * وآمنة فى خير عزٍّ ومنصب
اذا اتّصلتْ جاءتك أفلاذ زُهرة * كأُسْد الشرى من كل أشوس أغلب
ولا خال الا دون سعْد بن مالك * ولو كان فى عليا معدّ ويَعْرُب
ومن ذا له جدّ كشيْبة ذى الندى * وساقى الحجيج بين شرقٍ ومغرب
له سؤددُ البطحاء غير مدافع * وحرمة ما بين الصفا والمحصّب

ابو الحارث السامي الى كل ذروة * يقصّر عن إدراكها كل كوكب
به وبما في برده من أمانة * حمى الله ذاك البيت من كل مرهب
وأهلك بالطير الأبابيل جمعهم * فيا لهم من عارض غير خلّب
وفيما رآه شيبة الحمد آيةٌ * تلوح لعين الناظر المتعجّب
وفي ضربه عنه القداح مروّعا * ومن يُرْمَ بين العين والأنف يرهب
وما زال يرمي والسهامُ تصيبه * الى ان وفته الكوم من نسل أرحب
وكانوا أناسا كلّما أمّهم أذى * تكشّف عن صُنْع من الله معجب
وعاش بنو الحاجات فيهم وأخصبوا * وإن أصبحوا في منزل غير مُخصب
وعمرو المعالي هاشمٌ ثرد ثرده * بمكة يدعو كل أغبر مجدب
بمَثْنَى جفان كالجوابي مُعدّة * لهن عبيطات السنام المرغّب
هو السيّد المتبوع والقمر الذي * على صفحتيه في الرضى ماء مذهب
بنى الله للاسلام عزًّا بصنوه * الى منتهى الاحياء من آل يثرب
وعبدُ مناف دوحة الشرف التي * تفرّع منها كل أروع منجب
مُطاعُ قريشٍ والكفيلُ بعزّها * ومانعها من كل ضيم ومنهب

وزيدٌ ومَن زيدٌ قُصَىٌّ مجمّع ❊ سمعتَ وبلّغنا وحَسْبُكَ فاذهب

به اجتمعتْ أحياءُ فِهْرٍ وأحرزتْ ❊ تراثَ أبيها دون كل مُذَبْذَب

وأصبح حُكْمُ الله في آل بيته ❊ فهُمْ حولَه من سادنين وحُجّب

وما أسلمته عن تراضٍ خزاعةٌ ❊ ولكن كما عضّ الهناء بأجْرب

ولاذتْ قريشٌ من كلاب بن مرّة ❊ بجزْلٍ حكاكٍ او بعذْق مرجّب

ومُرّةُ ذو نفس لدى الحرب مُرّةٍ ❊ وفي السلْم نفسُ الصبر ذي المرّوب

وكعبٌ عقيد الجود والحلْم والنهى ❊ وذو الحِكَم الغرّ المبشّر بالنبي

خطيبُ لُؤَيٍّ واللواء بكفّه ❊ بخطبة نادٍ او بخطبة مقنب

وأوّلُ مَن سمّى العروبة جُمْعَةً ❊ وصدّر امّا بعد يلْحى ويطنب

وأرّخ آل الله دهرا بموته ❊ سنين سُدًى يُتْعبْن كفّ المحسّب

وأضحى لؤيّ غالبا كل ماجد ❊ ومن غالبٌ يُنْميه للمجد يغلب

وفِهْرٌ ابو الاحياء جامعُ شملها ❊ وكاسِبُها من فخره خير مكْسَب

بقرّش فامتازتْ قُريشٌ بفضله ❊ وساد فسدّوا خلّة المتأوب

وغادَرَه اسْما في الكتاب منزّلا ❊ يمرّ به في آية كل مُعْرب

ومالكُ المُرْبي على كل مالك * فتى النصر حابته السيادة بالحبّ

هو الليثُ في الهيجاء والغيثُ في الندى * وبدرُ الدياجي حين يسري ويختبي

تردّى بفضفاض على المجد نسجُه * وليس عليه فليجرّ ويسحب

وأعرضَ بحرٍ من كنانة زاخرٌ * يُساقُ الى أمواجه كل مذنب

وخُيّرَ حِلماً في الصهيل او الرغا * او البيت اوعزّ على الدهر مُصْحب

فلم يقتصرْ واختارَ كلاً فحازه * الى غاية العزّ المديد المعقّب

له البيتُ محجوبا وعزٌّ مخلّدٌ * وأجرَدُ يعبوبٌ الى جنب أشهب

وحزّم آنانَ العُداة خُزَيْمَةٌ * فلاذوا بأخلاق الزلول المجرّب

حطيمٌ لسَلْمى بنت سُود بن أسلم * لكلّ قُضاعيّ كريم معصّب

ومُدْرِكَةٌ ذو اليُمْن والنجح عامرٌ * وخندف مسمّى في العُلى وملقّب

تراه مطلاّ اذ تقدّم جنسَه * فقدر بعيد طاهر لم تحجّب

لأمّ الجبال الشمّ والقطر والحصى * تحدّثنا ان ينسبن للارض مركب

وإلياس مأوى الناس في كل آزِمة * ومنجيهم في كل خوف ومرهب

وزاجرهم اذ بدّلوا الدين ضلّة * واصبحوا بلا رشد ولا متحوّب

وجاءهُمُ بالركن بعد هلاكه ❊ وقدكان في صدعٍ من الارض أنكب
وما هو الا مُعْجِزٌ لنبوّةٍ ❊ وبُشرَى وعُقبَى للبشير المعقّب
وحجّ وأهدي البدن اوّل مُشعَرٍ ❊ لها وفروض الحجّ لم تترتّب
وكم حكمةٍ لم تَسْمَع الأذْنُ مِثلَها ❊ لها إن تَلُحْ في ناظر العين تكتب
الى قُنصٍ تَنْميه سوداء بنته ❊ كلا طَرَفَيه من معدٍّ لِمُنتَسب
وفى مُضَرٍ تاهَ الكلامُ وأقبلتْ ❊ مآثِرُ سدّتْ كل وجهٍ ومَذْهَب
فجئنَ وكاثرْنَ النجومَ بجمعها ❊ بأكثر منها في العديد وأثقب
هناك أتى الاله مَن شاء فضلَه ❊ وقيلَ لهذا سِرٌ وللآخر اركب
وكانا شقيقيْ نبعةٍ فتفاوتا ❊ لعِلْمٍ وحُكْمٍ ما له من معقّب
وما منهما الاّ حنيفٌ ومسلمٌ ❊ على نهج اسماعيلَ غير منكّب
وقد سلّم الأفعى بنَجْرانَ حُكْمَه ❊ اليهم ولم يَنْظُرْ الى متعقّب
رأى فِطناً أبْدَتْ له عن نجاره ❊ وكان لِنَبْع فاستحال لاتأب
وتلك علامات النبوءة كلها ❊ تُشير الى منظورها المتقرّب
وقال رسول الله مهْما اختلَفْتُمُ ❊ ولم تعرفوا قصْد السبيل الملحّب

ومالكُ المُربي على كل مالكٍ * فتى النضر حابتْه السيادة بالحبّ
هو اللَّيثُ في الهيجاء والغَيثُ في النَدَى * وبدْرُ الدياجي حين يُسْري ويَخْتَبي
تردّى بفَضْفاضٍ على المجْد نَسْجُه * وليس عليه فليجرّ ويَسْحب
وأعرَضَ بَحْرٌ من كِنانةَ زاخرٌ * يُساقُ الى أمواجه كل مذْنَب
وخُيّرَ حِلْماً في الصهيل او الرُغا * او البيت اوعِزٍّ على الدهْرِمُصْحَب
فلم يقتصِرْ واختارَ كلاًّ فَحازه * الى غاية العزّ المديد المعقّب
له البيتُ محجوبا وعِزٌّ مخلّدٌ * وأجْرَدُ يَعْبوبٌ الى جنْب أصْهَب
وخزّم آنافَ العُداة خُزَيْمةٌ * فلاذوا بأخلاق الذلول المقرّب
حطيمٌ لِسَلْمَى بنت سُود بن أسلم * لِكلّ قُضاعيّ كريمٍ معصّب
ومُدْرِكَةُ ذو اليُمْن والنجْح عامرٌ * وخير مسمّى في العُلى وملقّب
تراه مطلاًّ اذ تقدّم صِنْوُهُ * فحاز بتقديمٍ ظافر لم تخيّب
لأمّ الجبال الشمّ والقطر والحصى * تجاذب ان تستركب الارض تركب
وإلياس مأوى الناس في كل أزمة * ومنجيهم في كل خوف ومرهب
وزاجرُهم اذ بدّلوا الدين ضلّةً * وأصبحوا بلا هادٍ ولا متحوّب

وجاءهُمُ بالركن بعد هلاكه * وقد كان في صدعٍ من الارض أنكب

وما هو الا مُعجزٌ لنبوةٍ * وبُشرى وعُقبى للبشير المعقّب

وحَجَّ وأهدى البدن اوّل مَشعَرٍ * لها وفروض الحجّ لم تترتّب

وكم حكمةٍ لم تَسمع الأذنُ مثلَها * لها إن تلُحْ في ناظر العين تكتب

الى قُنصٍ تنميه سوداء بنته * كلا طرفيه من معدٍّ لمنسب

وفي مُضَرٍ تاهَ الكلامُ وأقبلت * مآثرُ سدّت كل وجهٍ ومذهب

فجئن وكاثرن النجومَ بجمعها * بأكثر منها في العديد وأثقب

هناك أتى الاله مَن شاء فضلَه * وقيلَ لهذا سِرٌّ وللآخر اركب

وكانا شقيقي نبعةٍ فتفاوتا * لعلمٍ وحُكمٍ ما له من معقّب

وما منهما الاّ حنيفٌ ومسلمٌ * على نهج اسماعيلَ غير منكّب

وقد سلّم الأفعى بنجرانَ حُكمَه * اليهم ولم يَنظُرْ الى متعقّب

رأى فَطِناً أبدت له عن نجاره * وكان لنبعٍ فاستحال لاثأب

وتلك علامات النبوءة كلها * تُشير الى منظورها المتقرّب

وقال رسول الله مهما اختلفتُم * ولم تعرفوا قصد السبيل الملحّب

ففى مُضَرٍ جرثومة الحق فاعمدوا * الى مضرٍ تُلْفوه لم يتقلّب
وما سيّدٌ الا نزارٌ يفونه * ومَن فاته بدرُ الدُجَى لم يؤنّب
قريعُ مَعَدّ والذى سدّ فَقْدَه * متى يأتهم شَعْبٌ من الدهر يرأب
ابو أبْحُرِ الدنيا وأطوادها التى * بها ثبتت طرًّا فلم تتقلّب
ولم يَكْفِهِ حتى اعانَتْ معانةٌ * بكل عتيق جُرهُمىّ مهذّب
وجاء معدٌّ والسماءُ شموسُها * وأقمارُها فى ذيله المتسحّب
وبين يديه الأنجُم الزُهْرُ بثّها * على الارض حتى لا مساغ لأجنبى
وقدْماً تحفّى اللهُ من بُخْتَ نَصَّرٍ * به والورَى من هالك ومعذّب
وجنّبه ارضَ البوار وحازَه * الى معْقل من حرْزه متأشّب
وحلّ بأرمينيّةٍ تحت حفْظه * لدى مَلِكٍ عن جانبَيْه مذبّب
فلمّا تجلّى الله أسْرَى بعبْده * الى حَرَم أمْنٍ لأبنائه اجْتُبى
وقد كان رَدَّ اللهُ عنهم كليمَه * ليالى يدعو دعْوة المتغضّب
وجاء بنو يعقوب يشكون منهُمُ * ينادونه هذا قتيل وذا سُبى
فقال له لا تَدْعُ مُوسَى عليهمُ * فمنهم نبىٌّ أصْطَفيه وأجْتَبى

أَحِبّهُمُ فيه رِضًى وأُحِبّه * كذلك مَن أحْبَبْهُ يُكرَم ويُحبَب
وأغفِرُ إن يستغفروني ذنوبَهم * ومهما دعا داعٍ أُجِبْه وأقرب
فقال إذاً فاجْعَلْهُمُ ربّ أمّتي * فمَن تَرضه يا ربّ يَرضَ ويرغب
فقال لهم في آخر الدهر صفْوَتي * يفضّون اعدائي ويستنصرون بي
دعائمُ ايمانٍ وأركانُ سُؤددٍ * مَضَتْ فعلاها مَهْرَدُ ابنة جَلْحَب
ومصْعدُ عدْنان الى حرْم آدم * بأبْيَنَ من قصْد الصباح وأَكْتَب
ونَهْيُ رسول الله صدّ وجوهَنا * وكان لنا في نظْمها شدّ مُلهِب
والّا فأُدّ بن الهُمَيسع مائلٌ * ونَبْتُ بن قَيدارٍ سُلالةُ أشجُب
ووَاجَهَ أعراقَ الثرى كل مَن يَرَى * وأسمع اسماعيل دعوةَ مطْنب
وقام خليل الله يَتْلوه آزرٌ * أغرّ صباحيٌّ لأدْهَمَ غيهَب
الى الناحر بن السارغ القَمْرِ يَرْتقِي * وللراع ثم القاسم الطاهر الأب
وبعْبر ينْميه الى المجْد شالخٌ * الى الرافد الوهّاب برْكٍ وطيّب
لِسام ابي الساميِنَ طُرّا سمايهم * بنُوحٍ لِمَلْكان العُلَى لمثوّب
لإذْريسَ ثم اليارد بن مَهْلائيل * لِقينان ثم الطاهر المتطيّب

الى هِبَة الرحمن شِيثَ بن آدم * ابى البَشَر الأعلَى لِطِينٍ لأتْلَب
فمِنْه خُلِقْنَا ثم فيه مَعادُنا * ومنه الى عَدْنٍ فسَدِّدْ وقَرِّبِ

وهنا انتهى، ما يخص المنتمى الأعلى، من هذه الكلمة التى فرى ناظمها فى الاحسان الفرى، فاقتصرتُ منها على ما وَفَى بالغرض المقصود، واستوفى رجال النسب المجيد، والحسب التليد، تعجيلا لقرى المستفيد، واكتفاءً من القلادة بالقدر المحيط بالجيد، وانها ان شاء الله لكافيةٌ فى الباب، ومُقَدِّمَةٌ فى الكلام اللباب، وتحفةٌ انما يعرف قدرها أولوا الألباب، والله يجزى قائلها الحُسنَى، وينفعه بمَقصَده الأسنى،

وإذ قد انتهينا الى ما حسُن لدينا ايراده فى هذا المعنى وصفا وذكرا، وخدمنا النسب الأشرف نظما ونثرا، فلْنعرّج الى ذكر البقعة التى اختارها الله لرسوله الكريم منشأً، وجعلها لقومه قرارا ومُتَبَوّا وأوليت البيت العتيق الذى جعله الله مثابةً وأمْنا للناس، ورفعه على أفضل القواعد وأكرم الأساس، ثم دحا الارض من تحته رفعا للشبهة فى شرفه والالتباس، ثم نذكر من وَلِيَه من آبائه الكرام اذ هم

أهله الأعلون، وأولياؤه الأحقّاء به الأولون، وهو مأثورتهم التى لم يزالوا اياها ومن أجلها بُراعون، وتراث المجد الذى اليهم يُعزَى واليه يُعزون، وبسيما شرفه يُعرفون، وباسمه يدعون، ونُشير الى حُرمته العظيمة فى الحُرمات، وما أنزل الله بمن بغاه بسوء، وأتى اليه بأمرٍ مذموم مشنوء، من أليم العقوبات، وعظيم النقمات، لنخدم البلد، كما خدمنا المحتد، ونقضى حق المكان الشريف، كما قضينا حق الحسب التليد الطريف، حتى نخلص الى ذكر المولد المبارك الذى منه نتدرّج الى المقصود الذى نحن عليه عاملون، ولتمامه آملون، رجاء ان نجد ذلك مذخورا عند المولى الذى يضاعف لعبيده الحسنات، ويعفو عن السيّئات، ويعلم ما يفعلون

⁂

ذكر أولية بيت الله المحرم

وركنه المستلم ومن تولّى بناءه من ملائكته وأنبيائه صلى الله على جميعهم وسلم

قال الله العظيم ان اوّل بيت وُضع للناس للذى ببكّة مباركا وهُدًى للعالمين فيه آيات بيّنات مقام ابراهيم (١)

وفى الصحيح من حديث أبى ذرّ الغفارى انه سأل رسول الله صلعم أىّ مسجد وُضع فى الارض أول فقال له المسجد الحرام فقال قلت له ثم أىّ قال ثم المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاماً

وذكر الزبير بن بكّار بإسناده الى جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال كنت مع ابى محمد بن على بمكّة فى ليالى العشر قبل التروية بيوم او يومين وأبى قائم يصلّى فى الحِجْر وأنا جالس وراءه فجاء رجل أبيض الراس واللحية جليل العظام بعيد ما بين المنكبين

(١) س ٣ آ ٩٠.

عريض الصدر وعليه ثوبان غليظان فى هيئة المحرم فجلس الى جنبه فخفّف ابى الصلاة فسلّم ثم أقبل عليه فقال له الرجل يا ابا جعفر اخبرنى عن بدء خلق هذا البيت كيف كان فقال له ابو جعفر محمد ابن على ممّن انت يرحمك الله قال رجل من اهل الشام فقال له محمد ابن على انّ أحاديثنا اذا سقطتْ الى الشام جاءتنا صحاحا وإذا سقطتْ الى العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص ثم قال له بدءُ خلق هذا البيت ان الله تبارك وتعالى قال للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة فردّوا عليه أتجعل فيها مَن يُفسد فيها الآية (١) وغضب عليهم فعاذوا بالعرش فطافوا حوله سبعة أطواف يسترضون ربّهم فرضى عنهم وقال لهم ابنوا لى فى الارض بيتا فيعوذ به من سخطتُ عليه من بنى آدم ويطوفون حوله كما فعلتم بعرشى فأرضى عنهم فبنوا له هذا البيت فهذا يا عبد الله بدءُ خلق هذا البيت فقال له الرجل يا ابا جعفر فما بدءُ خلق هذا الركن فقال ان الله تبارك وتعالى لمّا خلق

---

(١) س ٢ آ ٢٨.

الخالق قال لبني آدم ألستُ بربِّكم قالوا بلى (١) وأقرّوا وأجرى نهراً أحلى من العسل وألذّ من الزبد ثم أمر القلم فاستمدّ من ذلك النهر فكتب اقرارهم وما هو كائن الى يوم القيامة ثم أَلقِمَ ذلك الكتابُ هذا الحجر فهذا الاستلام الذى ترى انما هو بيعةٌ على إقرارهم بالذى كانوا أقرّوا به وقال جعفر بن محمد كان ابى اذا استلم الركن قال اللهم انّ أمانتى ادّيتُها وميثاقى وفيتُ به ليشهد لى عندك بالوفاء قال وقام الرجل فذهب قال جعفر بن محمد فأمرنى ابى أن أردّه عليه فخرجتُ فى أثره وأنا أراه يحول بينى وبينه الزحام حتى دخل نحو الصفا فتبصّرتُه على الصفا فلم أره ثم ذهبتُ الى المروة فلم أره عليها فجئتُ الى ابى فأخبرته فقال لى ابى لم تكن لتجده وذلك الخضر عليه السلام

وخرّج الترمذى من حديث عبد الله بن عباس وصحّحه قال قال رسول الله صلعم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشدّ بياضاً من اللبن فسوّدته خطايا بنى آدم

---

(١) س ٧ آ ١٧١.

ومن حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه مرفوعاً وموقوفاً قال ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب

ومن حديث ابن عباس ايضا قال قال رسول الله صلعم فى الحجر والله ليُبْعَثَنّه الله يوم القيامة (١) له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على مَن استلمه بحقّ

وذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى من حديث عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول ان آدم عم لما هبط من الجنة الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيره قال يا ربِّ أما لأرضك هذه عامرٌ يسبّح بحمدك ويقدّسك غيرى. قال الله تعالى انى سأجعل فيها من ولدك مَن يسبّح بحمدى ويقدسنى وسأجعل فيها بيوتاً تُرفع لذكرى ويُسبّح فيها خلقى ويُذكر فيها اسمى وسأجعل فيها من تلك البيوت بيتاً أخصّه بكرامتى وأوثره باسمى فأسمّيه بيتى وعليه وضعتُ

---

(١) س ٧ آ ١٦٦.

جلالى ثم أنا مع ذلك فى كل شىء ومع كل شىء أجعل ذلك البيت حرماً وأمناً يتحرّم بحُرمته مَن حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرّمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهلَه فقد أخفر ذمّتى وأباح حرمتى أجعله أول بيت وُضع للناس ببطن مكة مباركاً يأتونه شُعْثاً غبْراً على كل ضامر من كل فج عميق يزجون بالتلبية زجيجاً ، ويثجّون بالبكاء ثجيجا ، ويعجّون بالتكبير عجيجاً ، فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد الىّ وزارنى وضافنى وحقّ على الكريم ان يُكرم وفْده وأضيافه وان يُسعف كلا بحاجته وتعمره يا آدم ما كنتَ حيّاً ثم تَعمُره الأمم والقرون والانبياء من ولدك أمّة بعد أمة وقرناً بعد قرن .

وفى حديث غير هذا عن عطاء وقتادة ان آدم عم لما أهبطه الله من الجنة وفقد ما كان يسمعه ويأنس اليه من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله فى دعائه وصلاته فوجّهه الله الى مكة وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الان وقال الله له يا آدم انى قد أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يُطاف حول عرشى وتصلّى عنده كما يُصلى عند عرشى فانطلق اليه آدم

فطاف به هو ومَن بعده من الانبياء الى ان كان الطوفان فرُفِعت تلك الياقوتة. حتى امر الله ابراهيم عم ببناء البيت فبناه فذلك قوله تعالى واذ بَوَّأنا لابرهيم مكان البيت والاية (١).

وعن ابن عباس ان الله أوحى الى ادم انّ لى حَرَمَاً بحيال عرشى فانطلق فابْن بيتاً فيه ثم حفّ به كما رأيتَ ملائكتى يحفّون بعرشى فهنالك أستجيبُ لك ولولدك من كان منهم فى طاعتى فقال ادم انّى ربّ وكيف لى بذلك لستُ أقوى عليه ولا اهتدى الى مكانه فقيّض الله له ملَكاً فانطلق به نحو مكة فكان ادم عم اذ مرّ بروضة ومكان يُعجبه قال للملك انزل بنا هاهنا فيقول له الملك أمامك حتى قدم مكة فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتاء ومن لبنان والجودى وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التى يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعاً ثم رجع الى ارض الهند فمات بها.

---

(١) س ٢٢ آ ٢٧.

وفى رواية انه حجّ من الهند اربعين حجة على رجليه.

وذكر الواقدى عن ابى بكر بن سليمان بن ابى خيثمة العدوى قال قلت لابى جهْم من حُذَيفة يا عمّ حدّثنى عن بناء البيت ونزول اسماعيل عم الحرم فقال يا ابن اخى سَلْنى عنه على نشاطٍ منّى فانى أعلم من ذلك ما لا يعلمه غيرى قال فمكثتُ شهراً أذكّره المرّة بعد المرة فيقول مثل قوله الاوّل وكان قد كبر ورقّ وضعف فدخلتُ عليه يوماً وهو مسرور فقال لى اسمعْ حديثك الذى سألتنى عنه ان البيت فناه حرمٌ فى السماء السابعة وفى الارض السابعة يعنى ان ما يقابله حرمٌ وان ادم عم أمر بأساسه فبناه هو وحوّاء أسّساه بصخر أمثال الخِلَف يعنى النوق التى فى بطونها أجنّة وواحدتها خَلِفَةٌ أذن الله عز وجل للصخر ان تُطيعهما ثم نزّل البيت من السماء من ذهب أحمر وكلّ به من الملائكة سبعون الف ملك فوضعوه على ادم عم ونزل الركن وهو يومئذ درّة بيضاء ووُضع موضعه اليوم من البيت وطاف به ادم وصلى فيه فلما مات ادم عم وليه بعده ابنه شيث فكان كذلك حتى حجّه نوح عم فلما كان الغرق يعنى الطوفان

بعث الله جل ثناؤه سبعين الف ملك فرفعوه الى السماء كى لا يُصيبه الماء النجس وبقيتْ قواعده وجاءت السفينة فدارت به سبعا ثم دثر الماء البيت فلم يحجّه من بين نوح وابراهيم احد من الانبياء على جميعهم السلام

وعن غير الواقدى فى غير حديث ابى الجهم ان شيث بن ادم عليهما السلام هو اول من بنى الكعبة وأنها كانت قبل ان يبنيها خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها ادم ويأنس بها لانها أنزلت اليه من الجنة وكان قد حجّ الى موضعها من الهند

وفى الخبر ان موضعها كان غُثاءً كالزبد على الماء قبل ان يخلق الله سبحانه السماوات والارض فلما بدأ الله بخلق الاشياء خَلَقَ التوبة قبل السماء فلما خلق السماء وقضى هنّ سبع سماوات دحا الارض اى بسطها وانما دحاها من تحت الكعبة فلذلك سُمّيت مكة أم القرى

وذكر ابن هشام ان الماء لم يعْل الكعبة حين الطوفان ولاكنه قام حولها وبقيتْ هي فى هواء الى السماء وان نُوحا قال لاهل السفينة

وهى تطوف بالبيت انكم فى حرم الله وحول بيته فاحرموا لله ولا يمس احد امراة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا فتعدى حام فدعا عليه نوح بأن يسود لون بنيه فأجابه الله على وفق ما دعاه واسود كوش بن حام وولده الى يوم القيامة وقد قيل فى سبب دعوته عليه غير هذا فالله اعلم

ويروى انه لما نضب ماء الطوفان بقى مكان البيت ربوة من مدرة فحج اليه بعد ذلك هود وصالح ومن امن معهما وان يعرب قال لهود عم ألا تبنيه قال انما يبنيه نبى كريم يأتى من بعدى يتخذه الرحمن خليلا

قال ابو الجهم فى حديث الواقدى حتى اراد الله عز وجل بإبراهيم ما اراد فولد له اسماعيل وهو ابن سبعين سنة وكان بكر ابيه ولما اراد الله عز وجل ان يُبَوِّئ لابراهيم مكان البيت واعلامه اوحى الله اليه بامره بالمسير الى بلده الحرام فركب ابراهيم البُراق وحمل اسماعيل أمامه وهو ابن سنتين وهاجر خلفه ومعه جبريل دلّه على موضع البيت ومعالم الحرم فكان لا يمرّ بقرية الا قال له ابراهيم بهذه امرت يا جبريل فيقول

جبريل لا حتى قدم به مكة وهي اذ ذاك عِضاهٌ وسَلَم وسَمُر والعماليق يومئذ حول الحرم وهم اول من نزل مكة ويكونون بعَرَفات وكانت المياه يومئذ قليلة وكان موضع البيت قد دثر وهو رُبوة حمراء مدرة وهو يُشرِف على ما حوله فقال جبريل حين دخل من كداء وهو الجبل الذى يُطالعك على الحجون والمقبرة بهذه أُمِرْتُ قال ابراهيم بهذه أُمِرْتَ قال نعم فانتهى الى موضع البيت فعمد ابراهيم الى موضع الحجر فأوى فيه هاجر واسماعيل وأمر هاجر ان تتخذ فيه عريشًا فلما اراد ابراهيم ان يخرج ورأت امّ اسماعيل انه ليس بحضرتها احدٌ من الناس ولا ماء ظاهر تركت ابنها فى مكانه وتبعت ابراهيم فقالت يا ابراهيم الى من تدَعُنا فسكت عنها حتى اذا دنا من كداء قال الى الله عز وجل أدَعُكم قالت فالله عز وجل امرك بهذا قال نعم قالت فحسبى تركتنا الى كافٍ وانصرفت هاجر الى ابنها وخرج ابراهيم حتى وقف على كداء ولا بناء ولا ظلّ ولا شىء يحول دون ابنه فنظر اليه فأدركه ما يدرك الوالد من الرحمة لولده فقال ربّنا انّى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا

الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون ربّنا انّك تعلم ما نخفى وما نُعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ثم انصرف ابراهيم راجعاً الى الشام وعمدتْ هاجر فجعلتْ عريشاً في موضع الحجر من سَمُرٍ وثُمام ألقتْه عليها ومعها شِنّ فيه شيء من ماء فلما نفد الماء عطش اسماعيل وعطشت أمّه فانقطع لبنُها فأخذ اسماعيل كهيئة الموت فظنّت انه ميتٌ فجزعت وخرجت جزعا ان تراه على تلك الحالة وقالت يموت وأنا غائبة عنه هو أهون عليّ وعسى الله ان يجعل لى فى مَمْشياىَ خيرا فانطلقت فنظرت الى جبل الصفا فأشرفت عليه تستغيث ربّها عز وجل وتدعوه ثم انحدرت الى المروة فلما كانت فى الوادى خَبَّتْ حتى انتهت الى المروة فعلتْ ذلك سبع مرار كلما أشرفت على الصفا نظرت الى ابنها فتراه على حاله واذا اشرفت على المروة فعلت مثل ذلك فكان ذلك اول ما سُعى بين الصفا والمروة وكان من قبلها يطوفون بالبيت ولا يسعون بين الصفا والمروة ولا يقفون المواقف حتى كان ابراهيم ع فلما كان الشوط

السابع ويئسَتْ سمعت صوتاً فاستمعت فلم تسمع الا الاول فظنّت
انه شيء عرض لسمعها من الظماء والجهد فنظرت الى ابنها فاذا هو
يتحرك فأقامت على المروة مليّاً ثم سمعت الصوت الاول فقالت
انى سمعتُ صوتك فأعجبنى فإن كان عندك خير فأغثنى فانى
قد هلكتُ وهلك ما عندى فخرج الصوت يصوب بين يديها
وخرجتْ تتلوه قد قَوِيَتْ له نفسُها حتى انتهى الصوت عند راس
اسماعيل ثم بدا لها جبريل فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم
فضرب بعقبه مكان البئر فظهر الماء فوق الارض حين فحص بعقبه
وفارتْ بالرواء وجعلت ام اسماعيل تحظر الماء بالتراب خشية ان يفوتها
قبل ان تأتى بشنّتها فاستقتْ وبادرت الى ابنها فسقته وشربت
فجعل ثدياها يتفطّران لبناً فكان ذلك اللبن طعاما وشرابا لاسماعيل
وكانت هاجر تجتزئ بماء زمزم فقال لها الملَك لا تخافى ان
ينفد هذا الماء وابشرى فإنّ ابنك سيشبّ ويأتى ابوه من الشام
فتبنون هاهنا بيتاً يأتيه عباد الله من أقطار الارض مُلبّين لله جل
ثناؤه شعثاً غبْرا فيطوفون به ويكون هذا الماء شراباً لِضيفان الله عز

وجل الذين يزورون بيته فقالت بشّرك الله بخير وطابت نفسها وحمدت الله عز وجل ثم اقبل غلامان من العماليق يريدان بعيراً لهما اخطاهما وقد عطشا وأهلهما بعَرَفات فنظرا الى طير تهوى قبل الكعبة فاستنكرا ذلك وقالا أنّى يكون الطيور على غير ماء فقال احدهما لصاحبه امهل حتى نبرد ثم نسلك مهوى الطير فأبردا ثم تروّحا فإذا الطير تَرِد وتصدر فاتبعا الواردة منها حتى وقفا على ابى قُبَيس فنظرا الى الماء وإلى العريش فنزلا وكلّما هاجر وسألاها متى نزلت فأخبرتهما وقالا لمن هذا الماء فقالت لى ولابنى فقالا مَن حفره فقالت سقىُ الله جل ثناؤه فعرفا ان احداً لا يقدر على ان يحفر هنالك ماءً وعهدهما بما هناك قريب وليس به ماء فرجعا الى أهلهما من ليلتهما فأخبراهم فتحوّلوا حتى نزلوا معهما على الماء فأنست بهم ومعهم الذرية فنشأ اسماعيل مع وِلدانهم وكان ابراهيم يزور هاجر فى كل شهر على البُراق ويغدو غدوة فيأتى مكّة ثم يرجع فيقيل من القيلولة فى منزله بالشام فزارها بعد ونظر الى من هنالك من العماليق والى كثرتهم وعمارة الماء فسُرّ بذلك

ولما بلغ اسماعيل عم تزوّج امراة من العماليق فجاء ابراهيم زائراً لاسماعيل واسماعيل فى ماشيته يرعاها ويخرج متنكّباً قوسَه فيرمى الصيد مع رعيته فجاء ابراهيم عم الى منزله فقال السلام عليكم يا اهل البيت قال فسكتتْ فلم تردّ عليه الا ان تكون ردّتْ فى نفسها فقال هل من منزل فقالت لا هَيمُ الله اذنْ فقال فكيف طعامكم ولبنكم وشاؤكم فذكرت جهداً فقالت اما الطعامَ فلا طعام وأما الشاء فانما نحلب الشاة بعد الشاة المصر وأما الماء فعَلَى ما ترى من الغلاظ فقال اين رب البيت قالت فى حاجته قال فإذا جاء فأقرئيه السلام وقولى له غيّر عتبة بيتك ورجع ابراهيم الى منزله وأقبل اسماعيل راجعاً الى منزله بعد ذلك بما شاء الله عزوجل فلما انتهى الى منزله سأل امراته هل جاءك احد فأخبرته بإبراهيم وقوله وما قالتْ له ففارقها وأقام ما شاء الله عز وجل ان يقيم وكانت العماليق هم وُلاة الحكم بمكّة فضيّعوا حرمات الحرم واستحلوا منه أمورا عظاماً ونالوا ما لم يكونوا ينالون فقام فيهم رجل منهم يقال له عموق فقال يا قوم ابقوا على أنفسكم فقد رأيتم وسمعتم مَن اهلك من هذه

الامم فلا تفعلوا تواصّلوا ولا تستخفّوا بحرم الله عز وجل وهو موضع بيته فلم يقبلوا ذلك منه وتمادوا فى هلكة أنفسهم

ثم ان جُرْهُماً وقطوراء وهما أبنا عمٍّ خرجوا سيّارةً من اليمن أجدبت البلاد عليهم فساروا بذراريهم وأموالهم فلما قدموا مكة رأوا فيها ماءً معيناً وشجراً ملتفّا ونباتاً كثيراً وسعة من البلاد ودفئاً فى الشتاء فقالوا ان هذا الموضع يجمع لنا ما نريد فاعجبهم ونزلوا به وكان لا يخرج من اليمن قوم الا وليهم ملك يُقيم أمرهم منه فيهم جروا عليها واعتادوها ولو كانوا نفراً يسيرا فكان مضاض بن عمرو على قومه من جرهم أعلى مكّة بقُعَيْقِعان فما حاز ونزل السُمَيدَع بقطوراء أسفل مكة بأجياد فما حاز وذهب العماليق الى ان ينازعوهم أمرهم فعلتْ ايديهم على العماليق وأخرجوهم من الحرم كله فصاروا فى أطرافه لا يدخلونه وجعل مضاض والسميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما فكثروا وأثروا فكان مضاض يعشّر كل من دخل مكة من أعلاها وكان السميدع يعشّر كل من دخل من أسفلها وكل على قومه لا يدخل أحدهما على صاحبه وكانوا قوما عربا وكان اللسان عربيا

وكان ابراهيم يزور اسماعيل فلما نظر الى جُرهُم نظر الى لسان عجيب وسمع كلاماً حسناً ونظر اسماعيل الى رعلة بنت مضاض بن عمرو فأعجبته فخطبها الى ابيها فتزوّجها فجاء ابراهيم زائراً لاسماعيل فجاء الى بيت اسماعيل فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله فقامت اليه المراة فردّت عليه السلام و رحّبت به فقال كيف عيشكم ولبنكم وماشيتكم قالت خير عيشٍ بحمد الله عز وجل نحن فى لبن كثير ولحم كثير وماؤنا طيب قال هل من حبّ قالت يكون ان شاء الله ونحن فى نعم قال بارك الله لكم

قال ابو الجهم فكان ابى يقول ليس احد يخلى على اللحم والماء بغير مكة الا اشتكى بطنه ولعمرى لو وجد عندها حبًّا لدعا فيه بالبركة فكانت ارض زرع

ويقال ان ابراهيم عم قال لها ما طعامكم قالت اللحم واللبن قال فما شرابكم قالت اللبن والماء قال بارك الله لكم فى طعامكم وشرابكم فاللبن طعام وشراب قالت فانزل رحمك الله فاطعمْ واشربْ قال انى لا استطيع النزول قالت فانى أرى شعثاً أفلا أغسل راسك

وأدهنه قال بلى إن شئت فجاءته بالمقام وهو يومئذ حجر رطب أبيض مثل المهاة ملقى فى بيت اسماعيل فوضع عليه قدمه اليمنى وقدّم اليها راسه وهو على دابّته فغسلتْ شق راسه الأيمن فلما فرغت حوّلت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى وقدّم اليها راسه فغسلت شقّ راسه الأيسر فالأثر الذى فى المقام من ذلك

قال ابو الجهم فقد رأيت موضع العقب والاصبع

وعن الواقدى عن غير حديث ابى الجهم ان ابا سعيد الخدرى سأل عبد الله بن سلام عن الأثر الذى فى المقام فقال كانت الحجارة على ما هى عليه اليوم الا ان الله جل ثناؤه اراد ان يجعل المقام آيةً من آياته

قال ابو الجهم فلما فرغتْ يعنى المراة من غسل راس ابراهيم عم قال لها اذا جاء اسماعيل فقولى له أثبتْ عتبةَ بابك فانها صلاح المنزل فلما جاء اسماعيل قال لها هل جاءك احد بعدى فأخبرتْه بابراهيم وبما صنعتْ به ثم قال لها هل قال لك ان تقولى لى شيئاً قالت قال لى أثبت عتبة بابك فانّ صلاح المنزل العتبة ففرح اسماعيل وقال لها

اندرين من هو قالت لا قال هذا خليل الله ابراهيم ابى واما قوله عتبة بابك فقد أمرنى ان اقرّك وقد كنتِ علىّ كريمةً وقد ازددتِ علىّ كرامةً فصاحت وبكت فقال ما لكِ قالت الا اكون علمتُ من هو فأكرمه وأصنعَ به غير الذى صنعتُ فقال لها اسماعيل لا تبكى ولا تجزعى فقد أحسنتِ ولم تكونى تقدرين ان تفعلى فوق الذى فعلتِ ولم يكن ليزيدك على الذى صنع بك

فولدتْ لاسماعيل عشرة ذكور احدهم نابت فلما بلغ اسماعيل ثلاثين سنة وابراهيم يومئذ ابن مائة سنة اوحى الله جل ثناؤه الى ابراهيم ان ابنِ لى بيتًا فقال ابراهيم اى ربّ أين أبنيه فأوحى الله اليه ان اتّبع السكينة وهى ريح لها وجه وجناحان ومع ابراهيم الملك والصرد فانتهوا بابراهيم الى مكة فنزل اسماعيل الى الموضع الذى بوّأه الله جل وعز لابراهيم وموضع البيت ربوة حمراء مَدَرة مُشرفة على ما حولها فحفر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وليس معهما غيرهما أساس البيت يريدان أساس ادم الاوّل فحفرا عن ربض البيت يعنى حوله فوجدا صخرة لا يطيقها الا ثلاثون رجلا وحفرا حتى ياتى أساس ادم ثم بنى

عليه وحلقت السكينة كانها سحابة على موضع البيت فقالت ابن عليّ فلذلك لا يطوف بالبيت احد أبداً كافر ولا جبّار الا رأيتَ عليه السكينة فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فجعل طوله في السماء تسع أذرع وعرضه في الارض ثلاثين ذراعا وطوله في الارض اثنين وعشرين ذراعاً وأدخل الحِجْر وهو سبع ادرع في البيت وكان قبل ذلك زرْباً لغنم اسماعيل وانما بناه بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سقفاً وجعل له باباً وحفر له بيراً عند بابه خزانة للبيت يُلقى فيها ما أُهدِيَ للبيت وجعل الركن عَلَما للناس فذهب اسماعيل الى الوادي يطلب حجراً ونزل جبريل بالحجر الاسود وكان قد رُفع الى السماء حين غرقت الارض كما رُفع البيت فنزل به جبريل فوضعه ابراهيم موضع الركن وجاء اسماعيل بالحجر من الوادي فوجد ابراهيم قد وضع الحجر فقال من اين هذا ومن جاءك به قال ابراهيم من لم يَكِلْني اليك ولا الى حجرك

وعن الواقدي ايضا من غير حديث ابي الجهم ان يزيد بن رومان قال سمعت ابن الزبير يقول ان ابراهيم عم ابتغى الحجر فناداه من

فوق ابى قُبَيس الا انا هذا فرَقى اليه ابراهيم فأخذه فوضعه موضعه الذى هو فيه اليوم وكان الله جل ثناؤه لما غرقت الارض استودع ابا قبيس الركن وقال اذا رأيتَ خليلى يبنى لى بيتاً فأعْطِهِ الركن فأعطاه الركن

وعن غير ابن الزبير ان ابا قبيس لذلك كان يُسمّى فى الجاهلية الأمين لوفائه بما استودعه الله اياه

قال ابو الجهم ولما فرغ ابراهيم من بناء البيت وأدخل الحجر فى البيت جعل المقام لاصقاً بالبيت عن يمين الداخل فلما كانت قريش قصر الخشب عليهم أخرجوا الحجر وكان ما أخرجوا منه سبع أذرع وأمر ابراهيم بعد فراغه من البناء ان يؤذّن فى الناس بالحجّ فقال يا ربّ وما يبلغ صوتى قال الله جل ثناؤه أذّنْ وعلىّ البلاغ فارتفع على المقام وهو يومئذ ملصق بالبيت فارتفع به المقام حتى كان أطول من الجبال فنادى وأدخل أصبعيه فى أذنيه وأقبل بوجْهه شرقاً وغرباً يقول يا ايها الناس كُتب عليكم الحجّ الى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم عزّ وجل فأجابه مَن تحت البحور السبعة

ومَن بين المشرق والمغرب الى منقطع التراب من أطراف الارض كلها لبّيك اللهمّ لبيك أفلا تراهُم يأتون يلبّون فمَن حجّ من يومه الى يوم القيامة فهو ممّن استجاب لله جل وعز وذلك قول الله جل ثناؤه فيه آيات بيّنات مقامُ ابرهيم(١) يعني نداء ابراهيم على المقام بالحج فهي الآية

قال الواقدي وقد رُوي ايضا ان الآية هي أثر ابراهيم على المقام

قال ابو الجهم فلما فرغ ابراهيم من الأذان ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة وأقامه على حدود الحرم وأمره ان ينصب عليه الحجارة ففعل ابراهيم ذلك وكان اوّل من أقام إنصاب الحرم ويُريه اياها جبريل فلما كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب ابراهيم عم بمكّة حين زاغت الشمس قائما واسماعيل جالس ثم خرجا من الغد يمشيان على أقدامهما يلبّيان مُحرِمَين مع كل واحد منهما إداوة يحملها وعصًى يتوكّأ عليها فسُمّي ذلك اليوم يوم التروية فأتيا منى فصلّيا

---

(١) س ٣ آ ٩١ .

بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وكانا نزلا فى الجانب الأيمن
ثم أقاما حتى طلعت الشمس على ثبير ثم خرج يمشى هو واسماعيل
حتى أتيا عَرَفَة وجبريل معهما يُريهما الأعلام حتى نزلا بنَمِرَة وجعل
يُريه أعلام عَرَفات وكان ابراهيم قد عرفها قبل ذلك فقال ابراهيم قد
عرفتُ فسُمّيتْ عَرَفات فلما زاغت الشمس خرج بهما جبريل عم حتى
انتهى بهما الى موضع المسجد اليوم فقام ابراهيم فتكلّم بكلمات واسماعيل
جالس ثم جمع بين الظهر والعصر ثم ارتفع بهما الى الهضاب فقاما على
أرجُلهما يدعُوَانِ الى ان زاغت الشمس وذهب الشعاع ثم دفعا من عَرَفَة
على أقدامهما حتى انتهيا الى جَمْع فنزلا فصلّى ابراهيم المغرب والعشاء
فى ذلك الموضع الذى يُصَلَّى فيه اليوم ثم باتا حتى إذا طلع الفجر
وقفا على قُزَح فلما أسفرا قبل طلوع الشمس دفعا على أرجُلهما
حتى انتهيا الى مُحَسِّر فأسرعا حتى قطعاه ثم عادا الى مشيهما الاول ثم
رميا جمرة العَقَبَة بسبع حصيات حملاها من جمع ثم نزلا من مِنًى فى
الجانب الأيمن ثم ذبحا فى المنحر اليوم وحلقا رؤوسهما ثم أقاما أيام
مِنًى يرميان الجمارِ حين تزيغ الشمس ماشيين ذاهبين وراجعين

وصدرا يوم الصدر فصلّيا الظهر بالأبطح وكل هذا يُريه جبريل عم

قال ابو الجهم فلما فرغ ابراهيم من الحج انطلق الى منزله بالشام وكان يحجّ البيت كل عام وحجّته سارة وحجّه اسحاق ويعقوب والأسباط والأنبياء كلّهم وحجّه موسى بن عمران عم

روى الواقدي بإسناد له الى ابن عباس رضه قال مرّ موسى عم بصفاح الروحاء يلبّي تُجاوبه الجبال عليه عباءتان قطوانيّتان من عباء الشام *

وعن جابر بن عبد الله قال حجّ هارون بن ... الله اليه بيت فمرّ بالمدينة ثم ... الشام فمرض بالمدينة فأوصى ان يُدفن بأصل أُحُد ولا يعلم به يهود مخافة ان ... فدفنوه فقبره هناك

وعن ابن عباس ان الحواريين كانوا اذا بلغوا الحرم نزلوا يمشون حتى يأتوا البيت

وعن ابن الزبير ان الحواريين خلعوا نعالهم حين دخلوا الحرم إعظاما ان ينعلوا فيه

ثم توفّى الله خليله ابراهيم صلعم بعد ان وجه اليه ملك الموت فاستنظره ابراهيم ثم أعاده اليه لما أراد قبضه وأخبره بما أُمر به فسلّم

ابراهيم لأمر ربّه عروحل فقال له مَلَك الموب دا حلىل الله على اىّ حال يحبّ ان أقبضك فقل بقبضى وأنا ساحد فقبضه وهو ساحد فصعد بروحه الى الله عز وجل ودُفن ابراهيم عم بالشام وعاش اسماعيل عم بعد ابيه ما عاش وبوفّى بمكه فدُفن داخل الحجر مما يلى باب الكعبه وهنالك قبر امّه هاجر دُفن معها وكانت توفّيت قبله

ولما توفّى اسماعيل عم ولى البيت بعده ابنه نابت ولم يأته احدٌ من ولده عن ره ثم مات ودفن في الحجر مع امّه رغْلَه بيت مضاض فولى البيت بعده جدّه مضاض بن عمرو ثم أخواله من جُرهُم وقاموا عليه فكانوا هم وُلاته وحُجّابه وولاة الأحكام بمكّه وكان البيت قد دخله السيل من أعلى مكّه فابهدم فأعادته جُرهُم على بناء ابراهيم وجعلت له مصراعين وقُفلا

قال ابن اسحاق ثم ان جُرهُما وقطوراء بغى بعضهم على بعض وتنافسوا المُلك ... ومع مضاض ... اسماء ... والاه ولايه البيت دون السميدع فسار بعضهم الى بعض فخرج مضاض من ... قعيقعان في كتيبته سائرا الى السميدع ومع كتيبته عدّتها من الرماح

والدرق والسيوف والحجاب يقعقع بذلك معه فقال ما سُمّي قُعَيْقعانُ الا لذلك وخرج السميدع من اجياد ومعه الخيل والرجال فقال ما سُمّي اجياد اجيادا الا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه

وعن ابن اسحاق يقول انما سمي اجياداً لان مضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة

وقيل بل امر بعض الملوك عمرٌ فسمّي بضرب رقاب قوم كان يقال لساقه بوسط الأجياد وهذا ونحوه أصحّ من تسمية الموضع بأجياد مما قال ابن اسحاق قال فالتقوا بفاضح فاقتتلوا فقالا بذدنا فقتل السميدع وفضحت قطوراء فقال ما سُمّي فاضح فاضحا الا لذلك ثم ان القوم تداعوا الى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعْبا على مكة واصطلحوا به وأسلموا الامر الى مضاض فلما جمع اليه امر مكة وصار مُلكها له نحر للناس واطعمهم فأطبخ الناس وأكلوا فقال ما سُمّيت المطابخُ المطابخ الا لذلك وبعض اهل العلم يزعم انها انما سميت بذلك لما كان تُبّع نحر بها وأطعم وكانت منزله فكان الذي كان من مضاض والسميدع اوّل بغي كان بمكة فيما يزعمون

* ثم نشر الله ولد اسماعيل بمكة وأخوالهم من جُرهُم ولاة البيت والحكّام بمكة لا ينازعهم ولد اسماعيل في ذلك لخؤولتهم وقرابتهم وإعظاماً للحرمة ان يكون بها بغيٌ او قتال

فلما ضاقت مكة على ولد اسماعيل انتشروا في البلاد فلا يناوئون قوما الا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم

ثم ان جُرهُم بغوا بمكة واستحلّوا خلالاً من الحرمة وظلموا من دخلها من غير اهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدى لها ففرّق امرهم فلما رأتْ ذلك بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغُبشان من خزاعة أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة في الجاهلية لا تقرّ فيها ظلماً ولا بغياً لا يبغي فيها احدٌ الا أخرجته وكانت تسمّى الناسّة ولا يريدها ملك يستحلّ حرمتها الا هلك مكانه فيقال ما سُمّيتْ بكّة الا انها كانت تبكّ أعناق الجبابرة اذا أحدثوا فيها شيئاً فلم يزل اهلها على وجه الدهر يصونون جنابها ويحافظون على حرمتها فقال ابنه اجمع رأي بني اسماعيل وجارهم على ان لا يدعُوا احداً

أحدث فى حرم الله حدثاً الا عجّل عقوبته ثم لم يرجع اليه و يقال بل كان ذلك مما سنّ لهم اوّلهم فصارت سُنّة فهم يدينون بها ثم خلف من خلف بعدهم على ذلك يرون فيه رأيهم وينكر موافعه الظلم فى حرم الله والتعدى به فى نفوسهم يعتقدون ان الداعى فيه معاقب فى دنياه فى نفسه وماله وأن الحالف عند البيت حانثا مخوف عليه مما أصاب مثله من فعل فعله وأن دعاء المظلوم عنده وخصوصاً فى الشهر الحرام مجاب فى ظالمه ويذكرون فى ذلك أشياء أراها الله اياهم صوناً لحرمه الكريم وتشريفها لبيت خليله ابراهيم عـم

ذكر الواقدى من حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال عـدا رجل من بنى خُناعة من هُذيل على ابن عمّ له وظلمه واضطرّه فناشده بالرحم وعظّم عليه فأبى الا ظلمه فقال والله لألحقنّ بحرم الله فى هذا الشهر ولأدعُونّ الله عليك فقال له ابن عمّه مستهزئا به هذه ناقتى فلانة فانا افترك ظهرها فاذهب واجتهد فأعطاه ناقةً وخرج حتى جاء الحرم فى الشهر الحرام فقال اللهمّ انى أدعوك جاهدا مضطرًا على ابن عمّ فلان ترميه بداءٍ لا دواء له ثم انصرف فوجد

ابن عمّه قد زُمِنَ في بطنه فصار مثل الزقّ فما زال يسمح حتى انشقّ

قال عبد المطلب فحدثتُ بهذا الحديث ابن عباس فقال انا رأيت رجلاً دعا على ابن عمّ له بالعمى يعني في الحرم فرأيتُه يقاد اكمه العينين

وعن ابن عباس قال سمعتُ عمر بن الخطاب رضه يسئل رجلاً من بني سُليم عن ذهاب بصره فقال الرجل يا امير المؤمنين كنّا بني ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عمّ فكنّا نظلمه ونضطهده فكان يُذكّرنا الله والرحم وكنّا اهل الذنب نرتكب كل الأمور فلما رأى ابن عمنا انّا لا نكفّ عنه ولا نردّ اليه ظلامته أمهل حتى اذا دخلت الأشهر الحرم انتهى الى الحرم فجعل يرفع يديه الى الله جلّ ثناؤه ويقول

لاهُمّ أدعوك دعاءً جاهداً * اقتل بني الضبعاء الا واحدا
ثم اضرب الرِّجْل فدعْه قاعدا * اعمى اذا قيد يعنّي القائدا

قال فمات إخوتي تسعة في تسعة أشهر في كل شهر واحد وبقيتُ انا فعميتُ ورماني الله عزوجل في رِجْليّ وكمهتُ فليس للاعمى قائدٌ

قال ابن عباس سمعتُ عمر يقول سبحان الله ان هذا لهو العجب قال سمعتُ عمر يسئل ابن عمّهم الذى دعا عليهم فقال دعوتُ عليهم كل ليلة فى ليالى رجب الشهر كلـه بهذا الدعـاء فأهلكوا فى تسعة أشهر وأصاب الباقى ما اصابـه

قال ابن عباس وعدا رجل على ابن عمّ له فاستاق ذودا له فخرج يطلبه حتى أصابه فى الحرم فقـال ذودى فقال اللص كذبتَ ليس لك قال فأحلف قال إذَنْ أحلف فحلف عند المقام بالله الخالق ربّ هذا البيت ما هنّ لك فقال له لا سبيل لك عليه فقام ربّ الذود بين الركن والمقام باسطاً يديه يدعو على صاحبه فما برح مقامه يدعو عليه حتى ذُلّه فذهب عقله فجعل يصيح بمكّة مالى والذود مالى ولفلان ربّ الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود فدفعها الى المظلوم فخرج بها وبقى الاحرمُ ذاتُها حتى تردّى من جبل فمات فأكلته السباع

وكان عمر بن الخطـاب رحمه يقول لو وجدتُ قاتـل الخطـاب فى الحرم ما هجته وكان يقول لمن أذنب بركبه سبعين ذنباً أحبّ الىّ

من ان أذنب ذنبا واحداً فى الحرم وركبه خارج الحرم بخاذيه لذات عرق

وذكر رحمه يوما وهو خليفه ما كان يعاقب به من جانب ظلماً بغى فى الحرم زمن الجاهلية فقال ان الناس ليرتكبون ما هو أعظم منها ثم لا تعجل لهم من العقوبة مثل ما كان يعجل للأولائك فما يرون ذلك فقالوا انت اعلم يا امير المومنين قال ان الله جل ثناؤه جعل فى الجاهلية اذ لا دين حرمة حرمها الله وعظمها ونزهها وجعل العقوبة لمن ان حلّ شيئا مما حرّم الله ليتنكل عن انتهاك ما حرّم الله بتعجيل العقوبة فلما بعث الله رسوله صلعم أوعدهم وما ان هتكوا مما حرّم الساعة فقال والساعة أدهى وأمرّ فأخر العذاب الى يوم القيامة وأراهم الله عز وجل استجابة بعضهم لبعض لينتهوا عن الظلم وأخر اهل الاسلام ليوم الجمع فيستجيب الله لمن يشاء واتقوا الله وكونوا مع الصادقين

ومن المشهور فى هذا الباب امر اساف ونائلة وهما صنما قريش الذان أقاموهما على زمزم يتحرون عندهما ذكروا انهما كانا رجلا وامرأة

من جُرهُم إساف بن بغي ونائلة بنت ذئب فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين ويقال بل أحدثا فيها فمسخهما الله والله اعلم وأمرهما معدود فيما بلغت اليه جُرهُم من الاستخفاف بحرمة الحرم وقلة مبالاتهم بالبغي فيه مع ما أراهم الله من عظيم الآية بمسخهما حجرين فما نهاهم ذلك عن قبيح فعلهم ما كانوا عليه حتى أخرجهم الله عن جوار بيته بأيدي آخرين من عباده فكان من أمرهم مع خُزاعة ما كان فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنها في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن وحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلكها حُزناً شديداً فقال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك وليس بمضاض الاكبر

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيسٌ ولم يسمُر بمكّة سامرُ
بلى نحن كنّا اهلها فأزالنا * صروف الليالي والجدود العواثر
وكنّا وُلاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخيرُ ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت * بعزّ فما يحظى لدينا المكاثر

مَلَكنا فعزّزنا فأعظِمْ بمُلكنا * فليسَ لحيٍّ غيرنا ثم فاخر
ألم ينكحوا من خير شخص علمته * فأبناؤه منّا ونحن الأصاهر
فإن تَنْثَنِ الدنيا علينا بحالها * فإنّ لها حالاً وفيها التشاجر
فأخْرَجَنا منها المليكُ بقُدرَةٍ * كذلك يا للناس تجري المقادر
أقول إذا نام الخليُّ ولم أنَمْ * إذا العرش لا يبعد سُهَيل وعامر
وبُدِّلتُ منها أوجُهاً لا أُحِبُّها * قبائل منها حِمْيَرٌ ويُحابِر
وصِرنا أحاديثاً وكنّا بِغِبْطَةٍ * بذلك عضّتنا السنون الغوابر
فسَحَّتْ دموعُ العين تبكي لِبلدة * بها حَرَمٌ أمنٌ وفيها المشاعر
وتبكي لِبيتٍ ليس يُؤذَى حمامُهُ * تَظَلُّ به أمْناً وفيه العصافر
وفيه وحوشٌ لا تُرام أنيسةً * إذا خرجَتْ منه فليست تغادر

وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا وغُبْشانَ وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم

يا أيها الناس سيروا إنّ قَصْرَكم * أن تُصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حُثّوا المَطِيّ وأرخوا من أزِمّتها * قبل الممات وقضّوا ما تقضّونا

كنّا أناساً كما كنتم فغيّرنا * دَهْرٌ فانتم كما كنّا تكونونا

قال ابن هشام وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر ان هذه الابيات أوّل شعر قيل فى العرب وانها وُجِدَت مكتوبةً فى حجر باليمن ولم يُسَمَّ لنا قائلها

ثم ان غُبشان من خُزاعة وَلِيَت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة وغبشان لقب واسمه الحارث وخزاعة تقول انهم من ولد قمعة بن الياس بن مُضر وان أباهم عمرو بن لُحَىّ هو عمرو بن لحى بن قمعة وخزاعة يأبون هذا النسب ويقولون انهم من ولد كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر من غسّان

وقد رُوِى ان رسول الله صلعم قال رأيت عمرو بن لحى بن قمعة ابن خندف يجرّ قُصْبه فى النار فسألته عمّن بينى وبينه من الامم فقال هلكوا فقيل له ومَن عمرو بن لحى قال ابو هولاء من خزاعة وهو اوّل من غيّر الحنيفية دين ابراهيم وأوّل من نصب الاوثان حول الكعبة فان كان رسول الله صلعم قال هذا فرسول الله اعلمُ وما قال فهو الحقّ وعمرو بن ربيعة الذى تنتسب اليه خزاعة يقال هو عمرو بن لحى وانّ حارثة

بن ثعلبة بن عمرو خلّف على امّ لحى ولحى هو ربيعة بعد ان ولدت من قمعة ولحى صغيرٌ فتبنّاه حارثة وانتسب اليه فيكون النسب على هذا صحيحا بالوجهين الى قمعة بالولادة وفْق ما رُوى ان رسول الله صلعم قاله والى حارثة بن ثعلبة بالتّبنّى والانتساب به موجود كثيرا فى العرب

فلما وليتْ خزاعة البيت حفظوه مما كانت جُرهُم استباحتْه وترافدوا على تعظيمه والذبّ عنه وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشانى ثم قومه من بعده وقُريش اذ ذاك حلولٌ وصرمٌ متقطّعون وبيوتات متفرّقون فى قومهم من بنى كنانة فأقامتْ خزاعة على ولاية البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم حُلَيل ابن حُبْشية بن سَلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وبعده انتقلتْ ولاية البيت الى قُصَىّ بن كِلاب

وكان من حديث قُصَىّ انه لما هلك ابوه كِلاب بن مُرّة خلّف ولدَيه زُهْرة وقُصَيّا مع أمّهما فاطمة بنت سعد بن سَيَل بن عُذْرة وزُهْرة يومئذ رجل وقُصَىّ فطيمٌ فقدم مكّة بعد مهلك كلاب حاجّ

من قضاعة فيهم ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد كبير بن عُذرة فتزوّج فاطمة بنت سعد فاحتملها الى بلاده فاحتملت ابنها قُصَيًّا لصغره وأقام زهرة في قومه فولدت فاطمة لربيعة رزاحا فكان اخا قُصَيّ لأمّه وكان لربيعة بنون ثلاثة من امراة اخرى وهم حُنّ ومحمود وجَلْهُمة بنو ربيعة وأقام قصيّ بأرض قُضاعه لا ينسب الا الى ربيعة بن حرام فناضل يوماً رجلا من قضاعة يُدعَى رُفَيعاً فنضله قصيّ وهو يومئذ شابّ فغضب المنضول فوقع بينهما كلام حتى تقاولا وتنازعا فقال رُفَيع ألا تلحق ببلدك وبقومك فانك لست منّا فرجع قصيّ الى امّه وقد وجد في نفسه مما قال له فسألها عن ذلك فقالت او قد قال هذا انت والله يا بنيّ أكرم منه نفسا ووالداً ونسباً وأشرف منزلا انت ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك ابن النضر بن كنانة القرشيّ وقومك بمكّة عند البيت الحرام وفيما حوله تَفِد العرب الى ذلك البيت وقد قالتْ لي كاهنة رأتك هذا يلي أمراً جليلا فطِبْ نفسا فأجمع قصيّ الخروج الى قومه واللحوق بهم وكره الغربة بأرض قُضاعة وضاق ذرعاً بالمقام فيهم

فقالت له امّه لا تعجل حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج في حاجّ العرب فانّي أخشى عليك ان يصيبك بعض الناس فأقام قصيّ حتى اذا دخل الشهر الحرام وخرج حاجّ قضاعة خرج معهم وهم يظنّون انه انما يريد الحجّ ثم يرجع الى بلادهم حتى قدم مكّة فلما فرغ من الحجّ أقام بها وعاكسه القُضاعيّون على الخروج معهم فأبى وكان رجلا جلدا نهدا فلم يلبث ان خطب الى حُليل بن حبشيّة ابنته حُبّى فعرف حُليل النسب ورغب في الرجل فزوّجه وحُليل يومئذ يلي امر مكّة والحكم فيها وحجابة البيت فأقام قصيّ معه بمكّة وولدت له حُبّى ابنه عبد الدار وعبد مناف وعبد العُزّى وعبدا

فلما انتشر ولد قصيّ وكثر ماله وعظم شرفه هلك حُليل فرأى قصيّ انه أولى بالكعبة وبأمر مكّة من خُزاعة وبني بكر وأن قُريشا قُرعة اسماعيل بن ابراهيم وصريح ولده فكلّم رجالا من قريش وبني كنانة ودعاهم الى إخراج خزاعة وبني بكر من مكّة فأجابوه الى ذلك وكتب عند ذلك قصيّ الى اخيه من امّه رزاح بن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح ومعه إخوته لأبيه حُنّ ومحمود

وجَلْهُمَة فيمن تبعهم من قضاعة فى حاج العرب وهم مُجْمِعون لنُصْرة قصىّ والقيام معه فلما اجتمع الناس بمكّة وفرغوا من الحجّ ولم يبق الا ان يصدر الناس كان اوّل ما تعرّض له قصىّ من المناسك امر الاجازة للناس بالحجّ وكانت صُوفَة هى التى تلى ذلك مع الدفع بهم من عَرَفَة ورمْى الجمار وهُم ولد الغَوث بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر والغوث هو اوّل مَن ولى ذلك منهم وذلك ان امّه كانت امراة من جُرهُم وكانت لا تلد فنذرت لله إن هى ولدت ولداً أن تصدّق به على الكعبة عبداً لها فيخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث وكان يقوم على الكعبة فى الدهر الاوّل مع أخواله من جُرهُم فولى الاجارة بالناس من عَرَفَة لمكانه الذي كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا فقال مُرّ بن أدّ ابو الغوث لوفاء نذر امّه

انّى جعلتُ رَبّ مِن بَنِيّهْ * ربيطةً بمكّة العَلِيّهْ

فباركَنّ لى بها أليّهْ * واجعَلْه لى من صالح البَرِيّهْ

وكان الغوث بن مُرّ زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهُمّ انّى تابعٌ تباعَهْ * ان كان إثمٌ فعلَى قُضاعَهْ

وذلك ان قضاعة كان منهم يستحلّون الحُرمة الجاهليّة فكانت صُوفة تدفع بالناس من عَرَفة وتُجيز بهم اذا نفروا من مِنًى حتى اذا كان يوم النفر أتوا لرمْي الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمي فكان ذَوُو الحاجات المستعجلون يأتونه فيقولون له قُمْ فارْم حتى نرمي معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبّون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له وَيلَك قُمْ فارْم بنا فيأبَى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرَمَى ورمى الناس معه فإذا فرغوا من رمْي الجمار وأرادوا النفر من مِنًى أخذت صُوفة بجانبَي العقبة فحبسوا الناسَ وقالوا أجيزي صوفة فلم يَجُزْ أحدُ من الناس حتى يمرّوا فإذا نفذت صوفةُ ومضت خُلّيَ سبيلُ الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم ذلك من بعدهم بالقُعْدُد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت من بني سعد بن كعب في آل صفوان بن الحارث بن شجْنة بن عُطارد بن عوف بن كعب بن سعد فكان صفوان هو الذي يُجيز للناس بالحجّ من عَرَفة ثم بنوه من بعد حتى كان أخرهم الذي

فقام عمّ كَرِبَ بن صفوان وفى ذلك يقول اوس بن مَغْراء السعدى

لا يَبرَحُ الناسُ ما حجّوا مُعرِّفهم * حتى يقال اجيزوا آل صفوانا

فأما قول ذى الأصبع العدوانى واسمه حُرثان بن عمرو وقيل له ذو الأصبع لأنّه لدغته فى أصبعه فقطعها

عذير الحىّ من عَدْوان كانوا حيّة الارض
بَغى بعضُهم ظُلماً فلم يُرْعِ على بعض
ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض
ومنهم من يُجيز الناسَ بالسُّنّة والفرض
ومنهم حَكَمٌ يقضى فلا يُنقَض ما يقضى

وانّما قال ذلك لان الإفاضة من المُزدلفة كانت فى عدوان وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى آخرهم الذى قام عليه الاسلام ابو سيّارة عُميلة بن الأعزل فقال خُويلد بن عبد العُزّى زادت ابا سيارة يدفع بالناس من جمع على أتان له عوراء وذكروا انه اجاز عليها اربعين سنة قالوا وكان اذا وقف بالناس يقول اتّقوا الله ربّكم واصلحوا اموالكم واحفظوا حرمكم

وقاتلوا أعداءكم اللهمّ حبّب بنِ نسائنا وبغّض بنِ رعائنا واجعل امر الناس بأيدي صلحائنا ثم تقول اوصوا على بركة الله وفيه يقول شاعرٌ من العرب

نحن دفعنا عن ابي سيّارةْ * وعن مواليه بني فزارةْ
حتى أجار سالما حمارهْ * مستقبل القبلة يدعو جارهْ

وقوله حكمٌ بقضي يعني عامر بن ظرب العدواني وكانت العرب لا تكون بينها نائرةٌ ولا عُضْلة في قضاء الّا اسندوا ذلك اليه ثم رضوا بما قضى فيه فاختُصم اليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه في رجل خُنثى له ما للرجل وله ما للمراة أنجعله رجلاً او امراة ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه فقال حتى انظر في امركم فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب فاستأخروا عنه فبات ليلته ساهرا يقلّب امره وينظر في شأنه ولا يتوجه له منه وجهٌ وكانت له جارية يقال لها سخيلة ترعى عليه غنمه وكان يعاتبها اذا سرحت فيقول صبحت والله يا سُخيل واذا راحت قال مسّيت والله يا سخيل وذلك انها كانت تؤخّر بالسرح حتى يسبقها بعضٌ فلما رأت سهره وقلقه

قراره على فراشه قالت له ما لك لا أبا لك ما عراك في ليلتك هذه قال وَيلك دَعِيني امرٌ لبس من شانك ثم عادت له بمثل قولها فقال في نفسه عسى ان تأتي مما انا فيه بفرج فقال وَيحك أَختصِمَ اليّ في ميراث خُنثَى أأجعله رجلا او امراة فوالله ما أدري ما أصنع وما يتوجّه لي فيه وجهٌ فقالت سبحان الله لا أبا لك أتبع القضاء المَبال أَقعِده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وان بال من حيث تبول المراة فهي امراة قال مَسِّي سُخيل بعدها أو صَبِّحي فَرّجتِها والله ثم خرج على الناس حين اصبح فقضى بالذي أشارت به عليه

وهذا كله من الخبر معترض قطع اتصال حديث صُوفة وقصيّ فنرجع الآن اليه ونَصِله بموضع انقطاعه حيث ذُكِر ان صوفة هي التي كانت تلي الإجازة بالناس من مِنًى والدفع بهم من عَرَفة وان قُصيًّا عزم على انتزاع ذلك من أيديهم والقيام به دونهم واستدعى امظاهرته على ذلك اخاه رزاحًا فوصله مع مَن ذُكِر وصولُه معه

فلما كان ذلك العام فعلت صُوفة كما كانت تفعل قد عرفت

ذلك لها العرب وهو دين في أنفسهم في عهد جُرْهم وخُزاعة فأتاهم قصيّ بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقُضاعة عند العقبة فقال نحن أولى بهذا الأمر منكم فقاتلوه الناس قتالا شديدا ثم انهزمتْ صوفة وغلبهم قصيّ على ما كان بأيديهم من ذلك وانحازتْ عند ذلك خُزاعة وبنو بكر عن قصيّ وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة وانه سيحُول بينهم وبين الكعبة وأمر مكّة فلما انحازوا عنه بَادَاهم وأجمع لحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً بالأبطح حتى كثرت القتلى في الفريقَين جميعاً وفشت الجراح فيهم وأكثر ذلك في خزاعة ثم انهم تداعوا الى الصلح وإلى ان يحكّموا بينهم رجلًا من العرب فحكّموا يَعْمَرَ بن عوف بن كنانة فقضى بينهم بأنّ قُصَيّا أولى بالكعبة وأمر مكّة من خزاعة وأن كل دم أصابه قصيّ من خزاعة وبنى بكر موضوعٌ يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مُؤدّاةٌ وأن يُخلّى بين قصيّ وبين الكعبة ومكّة فسُمّى يَعْمَر بن عوف يومئذ الشَدّاخ لما شدخ من الدماء ووضع منها ويقال الشُدّاخ

ابنا فولى قصى البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملّك على قومه وأهل مكة فملّكوه الا انه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه وذلك انه كان يراه دينا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقرّ آل صفوان وعدوان والنسأة ومُرّة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله ومرّة بن عوف هم اهل وقد تقدّم ذكرهم وأما النسأة فهم بنو فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضَر وهم الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلّون الشهر من أشهر الحرم ويحرّمون مكانه الشهر من أشهر الحلّ ويؤخّرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله سبحانه انما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطئوا عدّة ما حرّم الله زيّن لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين (١) وكان اول من نسأ الشهور على العرب وأحلّ منها ا

(١) س ٩ آ ٣٧

ما أحلّ وحرّمت فيها ما حرّم القلمّس وهو حُذيفة بن عبد بن فُقيم بن عدي وتوالت بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو ثُمامة جُنادة بن عوف بن أميّة بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمّس قال الزبير وكان أبعدهم ذكرا وأطولهم أمدا يقال إنه نسأ أربعين سنة وكانت العرب إذا فرغت من حجّها اجتمعت إليه فحرّم الأشهر الحرم الأربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فإذا أراد أن يحلّ منها شيئا أحلّ المحرّم فأحلّوه وحرّم مكانه صفرا فحرّموه ليواطئ عدّة الأربعة الأشهر الحرم فإذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال اللهمّ إني قد أحللت أحد الصفرين الصفر الأول ونسأتُ الآخر للعام المقبل وفي ذلك يقول عُمير بن قيس جذل الطعان أحد بني فراس بن غَنْم بن مالك بن كنانة يفتخر بالنسأة على العرب

لقد علمت معدّ أنّ قومي * كرام الناس إنّ لهم كراما
فأيّ الناس فاتونا بوترٍ * وأيّ الناس لم نُعلك لجاما
ألسنا الناسئين على معدّ * شهور الحلّ نجعلها حراما

وبهذا كان شأن النسأة في الجاهلية وأقرّه قصي على ما كان قبله مع

سائر ما ذكر افواره العرب عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله فكان قصى أوّل بني كعب بن لوى أصاب مُلكا أطاع له به قومُه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكّة كلّه وقطع مكة رباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها وزعم الناس ان قريشاً هابوا قطع الشجر من الحرم في منازلهم فقطعها قصيّ بيده وأعوانه فسمّته قريش مجمّعاً لما جمع من أمرها وتيمّنت بأمره فما تُنكح امراة ولا يتزوّج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواءً لحرب قوم غيرهم الا في داره يعقده لهم بعض ولده ولا يعذر غلامٌ الا في داره ولا تُدرّع جارية من قريش الا في داره يُشَقّ عليها فيها دِرعُها اذا بلغت ذلك ثم تُدرّع ثم ينطلق بها الى أهلها ولا يخرج عِيرٌ من قريش فيرحلون الا من داره ولا يقدمون الا نزلوا في داره فكان أمره في قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يُعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي امورها

ولما فرغ قصيّ من حربه انصرف اخوه رزاح الى بلاده بمن معه

من قومه فلما استقرّ في بلاده نشره الله ونشر ولده فهما قبلا عُـذره الى يوم

فهذا حديث قصيّ في ولاية البيت بعد حُليل بن حبشيّة وإخراج

خزاعة منه وخزاعةُ تزعم ان حُليلا أوصى بذلك قصيّا وأمره به حين

انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر وقال انت أولى بالكعبة

وبالقيام عليها وبأمر مكّة من خزاعة فعند ذلك طلب قصيّ

ما طلب

قال ابن اسحاق ولم نسمع ذلك من غيرهم والله اعلم

وقد ذكر الواقدي الأمرين على نحو ما ذكرهما ابن اسحاق قال

وقد سمعنا في ذلك وجها آخر وذكر ان ابا غُبشان رجلا من خزاعة

كان ولي الكعبة فباع مفاتيحها من قصي بن كلاب بعشرٍ وذكر غيره انه باع

منه مفاتيح الكعبة بزقّ خمر فلذلك قيل اخسر صفقةً من ابي غبشان

وذكر الواقدي ايضا باسناد له ان رجلا من قُضاعة يقال له ابو

الشموس حدث عمر بن الخطاب رضه وهو خليفة بحديث قصي

بن كلاب وكيف استعان باخوته على خزاعة فاستمع له عمر

وتعجب لأول الحديث وقال ذكرتنا أمرًا كان بنو مكّة والحمد لله

ربّ العالمين ان الله عزوجل ليصنع لهذا الحى من قريش وهم أولى الناس ان يتّقوا الله وتحسن سيرة مَن ولى منهم بصنع الله لهم جعل فيهم الامانة وقبل ذلك النبوة

قالوا ولما كبر قصىّ ورقّ كان عبد الدار بكره وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه وذهب كل مذهب وعبد العُزّى وعبدٌ قال قصىّ لعبد الدار اما والله يا بُنىّ لأُلحقنّك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى انت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواءً الا انت بيدك ولا يشرب رجل بمكّة الا من سقايتك ولا يأكل احد من اهل الحرم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها الا فى دارك فأعطاه دارَه دارَ الندوة التى لا تقضى قريش امراً من امورها الا فيها وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة وكانت الرفادة خرْجا تُخرجه قريش فى كل موسم من أموالها الى قصى بن كلاب فيصنع به طعاما للحاجّ فيأكله مَن لم تكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيًّا فرضها على قريش فقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل

الحرم وان الحجاج ضيف الله وزوّار بيته وهُم أحق الضيف
بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحجّ حتى يصدروا عنكم
ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه
اليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره في
الجاهلية على قومه حتى قام الاسلام ثم جرى في الاسلام الى يومك
هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمِنَى للناس حتى
ينقضي الحجّ فمضى أمر قصيّ في عبد الدار ابنه وجعل اليه
كل ما كان بيده من أمر قومه وكان قصيّ لا يخالف ولا يردّ عليه
شيء صنعه ثم ان قصيّ هلك وأقام أمره في قومه بنوه من بعده
فاختطّوا مكّة رباعا بعد الذي كان قصيّ قطع لقومه بها فكانوا
يُقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فأقامت قريش
على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ثم ان بني عبد
مناف بن قصيّ عبد شمس وهاشما والمطّلب ونوفلاً أجمعوا ان
يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار مما كان قصيّ جعل الى عبد الدار
من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم

لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم ، يرون أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم ، وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل إليهم ، فكان صاحبُ أمر بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسنّهم ، وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكانت بنو أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ ، وبنو زُهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مُرّة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر مع بني عبد مناف ، وكانت بنو مخزوم بن يقظة بن مُرّة ، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، وبنو جُمَح بن عمرو بن هصيص ، وبنو عديّ بن كعب مع بني عبد الدار ، وخرجت عامر بن لؤيّ ومُحارب بن فهر فلم يكونوا مع أحد من الفريقين ، فعقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكّداً على أن لا يتخاذلوا ولا يُسلم بعضهم بعضاً ما بلّ بحرٌ صوفةً ؛ فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا هم وحلفاؤهم

ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسُمّوا المطيّبين وتعاقد بنو عبد الدار هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً موكّداً على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً فسُمّوا الأحلاف ثم سُونِدَ بين القبائل ولُزَّ بعضها ببعض فعُبّيت زُهرَة لبني جُمَح وعُبّيت تيم لبني مخزوم وعبّيت بنو الحارث بن فهر لبني عدي ثم قالوا لِتُفْنِ كل قبيلة مَن عُبّيت اليها فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب اذ تداعوا الى الصلح على ان يُعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الله بالاسلام فقال رسول الله صلعم ما كان من حِلْفٍ في الجاهلية فانّ الاسلام لم يَزِدْهُ الا شدّة فهذا حلف المطيّبين وقد كان في قريش حلف اخر بعده وهو حلف الفضول تداعت اليه قبائل من قريش واجمعوا له في دار عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تميم بن مرة لشرفه وسنّه فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا

يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى تُرَدّ عليه مَظلِمَتُه فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول

واختُلف في السبب الذي دعا قريشاً الى هذا الحلف ولمَ سُمّي بهذا الاسم فأما ما دعاهم اليه فذكر الزبير وغيره ان رجلا من اهل اليمن من بني زبيد قدم مكة معتمرا ومعه بضاعة له فاشتراها رجل من بني سهم ويقال انه العاصي بن وائل فلَوَى الرجل بحقه فسأله ماله فأبى عليه وسأله متاعه فأبى عليه فجاء الى بني سهم يستعديهم عليه فاغلظوا له فعرف ان لا سبيل الى ماله فطوّف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه فلما رأى ذلك قام على الحِجْر وقال بل أشرف على ابي قُبَيس حين اخذت قريش مجالسها ثم نادى بأعلا صوته

يآل فِهْرٍ لمظلومٍ بضاعتُه * ببطن مكة نائي الدار والنَفَر
وأشعثٍ محْرِمٍ لم يَقضِ حُرمته * بين الاله وبين الحِجْر والحَجَر
أقائمٌ من بني سهْم بذمّتهم * ام ذاهبٌ في ضلال مالُ مُعتمر

فلما سمعت ذلك قريش أعظموه وبكأ آمنوا منه فقال المطيّبون والله
ان فيما في هذا لنقصٌ من الأحلاف وقال الأحلاف والله انّ
لكأنما في هذا لنقصٌ من المطيّبين فقال ناس من قريش تعالوا
ولنجعل حلفاء فضولاً دون المطيّبين ودون الأحلاف فلذلك قيل
له حلف الفضول واجتمعوا في دار عبد الله بن جُدعان وصنع لهم طعاما
كثيرا وكان رسول الله صلعم يومئذ معهم قبل ان يوحى اليه فاجتمعت
بنو هاشم وبنو المطّلب وزُهرة وأسد وتيم فتحالفوا على ان لا يُظلم
بمكّة قريبٌ ولا غريبٌ ولا حرٌّ ولا عبد الا كانوا معه حتى يأخذوا
له بحقّه ويؤدّوا اليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم ثم عمدوا
الى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به الى البيت
فغُسلت به أركانه ثم اتوا به فشربوه ثم انطلقوا الى الرجل الذي
يعدى على الرجل المستصرخ العاصي بن وائل او عمرو فقالوا والله
لا نفارقك حتى تؤدّي اليه حقّه فأعطى الرجل حقّه فمكثوا
كذلك لا يُظلم احدٌ حقّه بمكّة الا اخذوه له

وقال رسول الله صلعم لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفا

ما أحبّ ان لى به حُمْر النَعَم ولو أُدْعَى به فى الاسلام لأَجَبْتُ

وحكى الزبير ايضا انه انما سُمّى حلف الفضول لانهم تحالفوا على ان لا يتركوا لأحد عند احد فضلاً الا اخذوه وقيل انما سُمّى بذلك لانه لمّا تداعى له مَن ذُكر من قبائل قريش كره ذلك سائر المطيّبين والأحلاف بأسرهم وسمّوه حلف الفضول عَيبًا له وقالوا هذا من فضول القوم

وقيل بل كان هذا الحلف على مثل حلف تقدّم انعقد بين نفرٍ من جُرْهُم يقال لهم الفضل وفضّال والفُضيل فسُمّى لذلك هذا الآخر حلف الفضول وأيّ ما كان من ذلك فهى مأثرة لقريش من مآثرها الكرام وآثارها العظام يكفيهم فيه بركة حضور رسول الله صلعم فهو وان كان فعلاً جاهليًا دعاهم السياسة اليه فقد صار بحضور رسول الله صلعم وما قاله بعد النبوة فيه واكرمه من أمره حُكْمًا شرعيًا وفعلاً نبويًا

وقد نشأ بين حسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن ابى سفيان زمن معاوية والوليد يومئذ امير المدينة من قبله منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة وكان

الوليد تحامل على حسين في حقه لسلطانه فقال له حسين أحلف بالله لتنصفنّي من حقّي او لآخذنّ سيفي ثم لأقومنّ في مسجد رسول الله صلعم ثم لأدعونّ بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنّ سيفي ثم لأقومنّ معه حتى يُنصَف من حقه او نموتَ جميعاً وبلغت المِسوَرَ بن مَخْرمة الزهري فقال مثل ذلك وبلغتْ عبدَ الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليدَ أنصف الحسينَ من حقه حتى رضي ولم تكن بنو عبد شمس دخلتْ في هذا الحلف وقد سأل عبد الملك بن مروان عن ذلك محمد بن جُبَير بن مُطْعم اذ قدم عليه حين قُتِل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان وكان محمد بن جبير أعلم قريش كلّما دخل عليه. قال يا ابا سعيد ألم نكن نحن وأنتم يعني بني عبد شمس وبني نوفل أبني عبد مناف في حلف الفضول قال انت أعلم قال عبد الملك لتخبرنّي يا ابا سعيد بالحقّ من ذلك فقال لا والله لقد خرجنا منه نحن وأنتم قال صدقتَ فكان عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول لو ان رجلاً

وحده خرج من قومه فخرجت من بنى عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول وكانت لقريش أحلام عظام كانوا منها فى جاهليتهم على مثل السلطان الضابط عناية من الله بهم ومنّاً منه سبحانه عليهم هم سُكّان الحرم وأهل الله وحُجّاب بيته وأهل السقاية والرفادة والرياسة واللواء والندوة ومكارم مكّة وكانوا على إرث من دين ابراهيم واسماعيل صلّى الله عليهما من قرى الضيف ورفد الحاجّ وتعظيم الحرم ومنعه من البغى فيه والإلحاد وقمع الظالم ومنع المظلوم الا انه دخلتْ على اوّلهم أحداثٌ غيّرت أصول الحنيفيّة عندهم وطال الزمان حتى أفضى ذلك بهم الى جَهَلات بشعائر الدين وضلالات عن سنن التوحيد تدارك الله ذلك كله بنبيّه محمد صلعم فهَدَى من الضلالة وعلّم من الجهالة فيقال انه كان اول من غيّر الحنيفيّة دين ابراهيم عم ونصب الأوثان حول الكعبة ودعا الى عبادتها عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن الياس بن مضر

روى ابو هُرَيرة انه سمع رسول الله صلعم يقول لأكثم بن الجون الخزاعى يا أكثم رأيتُ عمرو بن لحيّ بن قمعة بن خندف يجرّ

قُصْبه في النار فما رأيتُ رجلًا أشبه برجل منك به ولا بك منه فقال
أكثمُ عسى أن يضُرّني شبهُه يا نبيّ الله قال لا إنّك مؤمن وهو كافر
إنه كان أول من غيّر دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحّر البحيرة
وسيّب السائبة ووصّل الوصيلة وحمى الحامي فالبحيرة عند العرب
الناقة تشقّ أذنها ولا يُركب ظهرها ولا يُجزّ وبرُها ولا يشرب لبنها إلا
ضيفٌ أو يتصدق به ويُهمَل لآلهتهم والسائبة الناقة التي ينذر
الرجل إن برئ من مرضه أو أصاب أمرا يطلبه أن يسيّبها ترعى
لا ينتفع بها والوصيلة التي تلد أمّها اثنين في كل بطن فيجعل صاحبها
لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمّها ومعها ذكرٌ في بطن
فيقولون وصلت أخاها فيُسيَّب أخوها معها فلا يُنتفع به والحامي
الفحل إذا نُتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكرٌ حمي ظهره
فلم يُركب ولم يُجزّ وبره وخُلّي في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه
بغير ذلك

فلما بعث الله رسوله محمدا صلعم أنزل عليه ما جعل الله من بحيرة

ولا سائبه ولا وصيله ولا حام ولاكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون

وذكر بعض اهل العلم ان عمرو بن لحى خرج من مكه الى الشام في بعض اموره فلما قدم مآب من ارض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم من ولد عملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون قالوا هذه أصنام نعبدها ونستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطونني منها صنما فأسير به الى ارض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكه فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه

قال ابن اسحاق ويزعمون ان أول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل انه لا يظعن من مكه ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره

فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالة وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعُمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدى البُدن والاهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه فكانت كنانة وقريش اذا أهلّوا قالوا لبّيك اللهمّ لبّيك لبّيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فيوحّدونه بالتلبية ثم يُدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه محمد صلعم وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون (١) اى ما يوحّدونني بمعرفة حقّى الا جعلوا معى شريكا من خلقي وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ عكفوا عليها قصّ الله تبارك وتعالى خبرها على رسوله صلعم فقال وقالوا لا تذرُنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودا ولا سُواعا ولا يغوث ويعوق ونسْرا وقد أضلّوا كثيرا (٢)

---

(١) س ١٢ آ ١٠٦

(٢) س ٧١ آ ٢٣-٢٤

وذكر الواقدي بإسناد له عن ابى هريرة ان اول ما عبدت الأصنام في زمن نوح عم وان ودّا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً كانوا رجالا صالحين من قوم نوح اهل عبادة وفضل فماتوا فوجد عليهم أهلوهم وتوحّش الناس لفقدهم فقال لهم رجل منهم ألا أصوّرهم لكم صوراً من خشب فتنظرون اليهم وتسكنون الى رويتهم قالوا بلى إن قدرتَ قال انا أقدر على تصويرهم ولا أقدر على ان أنفخ الروح فيهم فجاء بالصور كهيئتهم أحياء فأخذ اهل كل بيت صورة صاحبهم فوضعوها في منزلهم ينظرون اليها فأذهب ذلك بعض حزنهم فكانوا على ذلك ما شاء الله حتى هلك ذلك القرن ثم خلف قرن اخر ثم ثالثٌ بعده فكانوا على ما كان عليه القرن الاول حتى هلكوا ثم خلف القرن الرابع فقالوا لو أنّا عبدْنا هولاء لَقرّبونا الى الله وشفعوا لنا عنده ولا يزيدوننا الا خيرا انما نريد ما يقرّبنا منه فعبدوها حتى هلكوا وعبدها من بعدهم فلما غرقت الأرض زمن نوح عم غرقتْ تلك الأصنام فمكثتْ ما شاء الله ان تمكث ثم استخرجها عمرو بن لُحَيّ ففرّقها في القبائل فالله تعالى اعلم

وقد خرّج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضه موقوفا عليه في التفسير نحو ما ذكره الواقدي مختصرا ان ودّاً وسواعا ويغوث ويعوق ونسْرا أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان أنصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلكت أولائك ونسخ العلم عُبدت

قال ابن اسحاق واتّخذ اهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه وإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسّح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجّه الى سفره وإذا قدم من سفره تمسح به فكان اول ما يبدأ به قبل ان يدخل على اهله فلما بعث الله رسوله محمداً صلعم بالتوحيد قالت قريش أجعل الآلهة الها واحداً انّ هذا لشيء عُجابٌ وكانت العرب قد اتّخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظّمها كتعظيم الكعبة لها سدنةٌ وحُجّابٌ وتُهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لانّها قد عرفت انها بيت ابراهيم عم ومسجده

وسنمرّ في تضاعيف هذا الكتاب بعض اخبار هذه الطواغيت وكيف
جعل الله عاقبة امرها خسرا وأزهق الحقّ باطلها وعفا الاسلام أثارها
وأكمل الله تعالى دينه وتمّم نوره ونعمته ونصر دين الهدى والحقّ
فأظهره على الدين كله ومع اطباق العرب مُضرها ويمنها على هذا
الضلال فقد كان وقع الى بعضهم باليمن دين اليهودية فدانوا به
ووقع ايضا دين النصرانية بنجران من ارض العرب على ما نذكره
فأما موقع اليهودية باليمن فمن جهة تُبّع الاخر وهو تبان أسعد ابو
كرب بن كُلكيكرب بن زيد وهو تبّع الاول ابن عمرو ذي الأذعار
ابن أبرهة ذي المنار وتبان أسعد هو الذي قدم المدينة
وساق الحَبرين من يهود الى اليمن وعمّر البيت الحرام وكساه وكان
قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة وكان قد مرّ بها
في بدأته فلم يهج أهلها وخلّف بين أظهرهم ابنا له فقُتل غيلة
فقدمها وهو مُجمع لإخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها فجمع له
هذا الحيّ من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طلة أخو بني النجار وقد
كان رجل من بني عديّ بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من

اصحاب تبع حين نزل بهم فقتله وذلك انه وجده في مذق له يجدّه فضربه بمنجله فقتله فزعم الأنصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله انّ قومنا لكرامٌ فبينما تبّع على ذلك من حربهم اذ جاءه حبْران من أحبار اليهود من بني قُرَيظة عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانّك ان أبَيتَ الا ما تريد حِيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة فقال لهما ولمَ ذلك قالا هي مهاجر نبيّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى ورأى ان لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتّبعهما على دينهما وهذا الحيّ من الأنصار يزعمون انه انما كان حَنَقُ تبّع على هذا الحيّ من يهود الذين كانوا بين أظهرهم وانما أراد هلاكهم فمنعوهم منه ثم انصرف عنهم ولذلك قال في شعره

حَنَقاً على سِبْطَين حَلّا يثرباً * أولى لهم بعقاب يومٍ مُفسِدِ

وذكر ابن هشام ان الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع وكان تبّع وقومه

أصحاب أوثان يعبدونها فتوجّه الى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عُسْفان وأمَج أتاه نفرٌ من هُذَيل بن مُدرِكة فقالوا له ايها الملك ألا ندلّك على بيت مالٍ داثرٍ غفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيتٌ بمكّة يعبده أهله ويصلّون عنده وانما أراد الهُذَليّون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك مَن أراده من الملوك وبغى عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل الى الحَبْرَين فسألهما عن ذلك فقالا له ما أراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتاً لله اتّخذه في الارض لنفسه غيره ولئن فعلتَ ما دَعَوك اليه لتهْلِكَنّ ولَيَهْلِكَنّ جميعاً قال فما ذا تأمرانني ان أصنع اذا قدمتُ عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظّمه وتكرّمه وتحلق راسك عنده وتذلّل له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما انتما من ذلك قالا اما والله انه لبَيتُ أبينا ابراهيم وانه لَكَما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يُهرقون عنده وهم نجسٌ أهل شرك اوكما قالا له فعرف نُصْحهما وصدق

حدد بها فقرّب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى
حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة
ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس . تُطعم أهلها ويسقيهم العسل
ورأى في المنام ان يكسو البيت فكساه الخصف ثم أُري ان
يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر ثم أُري ان يكسوه أحسن من
ذلك فكساه المُلاء والوصائل فكان تُبّع فيما يزعمون أول من
كسا البيت وأوصى به ولاته من جُرهُم وأمرهم بطهره وألّا يقرّبوه
دما ولا ميتة ولا ميلاثا وهي المحائض وجعل له بابا ومفتاحا ثم
خرج موجّها الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى اذا
دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى
يحاكموه الى النار التي كانت باليمن ويقال انه لما دنا من اليمن
ليدخلها حالت حميرُ بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد
فارقت ديننا ودعاهم الى دينه وقال انه خيرٌ من دينكم فقالوا
فحاكمنا الى النار قال نعم وكانت باليمن فيما يزعمون أهل اليمن
نارٌ تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم

فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرّبون به فى دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلّديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلتْ نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمّرهم من حضر من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى تغشّتهم فأكلت الأوثانَ وما قرّبوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباهُهما لم تضرّهما فأصفقتْ عند ذلك حميرُ على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن

قال ابن اسحاق وقد حدثنى محدّث ان الحبرين ومن خرج من حمير انما اتّبعوا النار ليردّوها وقالوا من ردّها فهو أولى بالحقّ فدَنا منها رجالُ حمير بأوثانهم ليردّوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وتنكص حتى ردّاها الى مخرجها الذى خرجت منه فأصفقت عند ذلك حميرُ على دينهما والله أعلم اىّ ذلك كان وكان رئامٌ بيتا لهم يعظّمونه وينحرون عنده ويكلَّمون منه اذ كانوا على شركهم فقال

الحيران لتبّع انما هو شيطان يفتنهم فخلّ بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت

قال ابن اسحاق فبقاياه اليوم كما ذُكر لى بها آثار الدماء التى كانت تُهْراق عليه

وتُبع هذا هو احد الملوك الذين وطئوا البلاد ودوّخوا الأرض ودانت لهم الممالك وبه قال انه المسمّى فى قول الله تعالى أَهُمْ خيرٌ أم قومُ تُبّع والذين من قبلهم أهلكناهم (١) وذلك لانه لما أمن فى آخر عمره ووحّد خالفته حمير وتفرّقوا عنه فانتقم الله منهم

وحكى الحسن بن احمد الهمدانى انه اوّل ملك بشّر برسول الله صلعم وآمن به وهو الذى رتّب الملوك وأنبأ الملوك من قومه فى قبائل العرب والعجم ومدائنها وأمصارها وكان لكلّ قبيلة من العرب ولكلّ حيّ من العجم ملك من قومه إمّا حميرى وإمّا كهلانى

---

(١) س ٤٤ آ ٣٦

يسمع له ويطاع ويُذكر انه جمع الملوك وأبناء الملوك والأقاول وأبناء الأقاول من قومه وقال لهم ايها الناس انّ الدهر يفقد أكثره ولم يبق الا أقلّه وان الكثير اذا قلّ الى النقصان احرى منه الى الزيادة سارعوا الى المكارم فانها تقرّبكم الى الفلاح واعملوا على انه من سلم من يومه لا يسلم من غده ومن سلم من الغد لا يسلم مما بعده وانكم لتؤتون مآب الآباء والاجداد وتصيرون الى ما صاروا اليه والموت كل يوم أقرب الى المرء من خبرته منه ولكلّ زمان أهلٌ ولكل دائرة سببٌ وسبب بطلان هذه الفترة التى من غيّر فيها يتزيّن هو ودينه ظهور نبي يعزّ الله به دينه ويخصّه بالكتاب المبين على ناسٍ من المرسلين رحمةً للمؤمنين وحجّةً على الكافرين فلتكن ذلك عندكم وعند أبنائكم بعدكم وأبناء أبنائكم قرنًا فقرنًا وجيلا فجيلا فتوقعوا ظهوره ولا تتمنوا به ولتجتهدوا في نصرة على كافّة الأعداء حتى تفئ الناس اليه الى أمره وأنشد له

شهدتُ على أحمد انه * رسولٌ من الله بارئ النسم

فلو مدّ دهري الى دهره * لكنتُ وزيرا له وابن عمّ

وألزمتُ طاعته كل مَن * على الارض من عرب أو عجم
ولاكن قولي له دائماً * سلام على احمد في الأمم

في ابيات ذكرها وأشعار غير هذه أثبتها في إكليله كثيرا منها قال وذكروا ان الملوك وأبناء الملوك من حِميَر وكهلان لم تزل تتوقّع ظهور النبي صلعم وتبشر به وتوصي بالطاعة له والايمان به والجهاد معه والقيام بنصره منذ ذلك العصر الى ان ظهر رسول الله صلعم فكانوا بذلك حين بُعث من أحرص الناس على نصره وطاعته فمنهم مَن سمع له وأطاع وآمن به قبل ان يراه ومنهم من وصل اليه كتابه فسمع وأطاع وآمن وصدّق ومنهم من أواه ونصره وأيّده وجاهد في سبيل الله دونه نطق بذلك الكتاب المبين في قوله تعالى والذين تبوّؤا الدارَ والايمانَ من قبلهم يحبّون مَن هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويُؤثِرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (١) وقوله تبارك وتعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف

---

(١) س ٥٩ آ ٩ .

باتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه أذلّة على المومنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (١) الى اخر الآية

قال الهمدانى عن ابى الحسن الخزاعى فقال انهم همدان ثم أشار الى ذكر سيف بن ذى يزن النبى صلعم وما أتاه من أمره الى جدّه عبد المطلب عمد ووادنه ما ه قال وذكروا انه لم يكن لسيف بن ذى يزن ذلك العلم فى صفة النبى صلعم الا من جهة تبّع وما يتاهى اليه مما كان أتاه اليهم وعرّفهم به من خبر النبى صلعم وسنذكر خبر سيف هذا فى موضعه ان شاء الله تعالى

وأمّا موقع النصرانية بأرض العرب فقد كان بنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على الانجيل أهل فضل واستقامة من اهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع اصل ذلك الدين بنجران وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها وذلك ان رجلا من بقايا أهل

(١) س ٥ آ ٥٩

ذلك الدين يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا
به فحدّثني وهب بن منبه أن فيميون كان رجلا صالحا مجتهدا
زاهدا في الدنيا مُجاب الدعوة وكان سائحا ينزل القرى لا يُعرف
في قرية الا خرج منها الى قرية لا يُعرف بها وكان لا يأكل الا من
كسب يده وكان بنّاءً يعمل الطين وكان يعظّم الأحد فإذا كان يوم
الأحد لم يعمل فيه شيئا وخرج الى فلاة من الأرض فصلّى فيها
حتى يمسي قال وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك
مستخفيا ففطن لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له صالح فأحبّه صالح
حبّا لم يحبّه شيئا كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له
فيميون حتى خرج مرّة في يوم الأحد الى فلاة من الأرض كما كان يصنع
وقد اتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا
منه لا يحب ان يعلم بمكانه وقام فيميون يصلّي فبينا هو يصلّي اذ أقبل
نحوه التنّين الحيّة ذات الرؤس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت
ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فصرخ يا فيميون التنّين
قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها

وامسى فانصرف وعرف انه قد عُرِف وعرف صالحٌ انه قد رأى
مكانه فقال له يا فيميون تعلم والله اني ما أحببتُ شيئاً قطّ حبّك
وقد أردتُ صحبتك والكينونة معك حيث كنتَ قال ما شئتَ أمري
كما ترى فانْ علمتَ انك تَقوَى عليه فنَعَمْ فلَزِمَه صالح وقد كاد أهل
القرية يفطنون لشانه وكان اذا فاء جاءه العبدُ به الضُرّ دعا له فشُفِيَ
فإذا دُعِيَ به الى أحد به ضرٌّ لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن
ضرير فسأل عن شان فيميون فقيل له انه لا يأتي أحدا دعاه ولكنه
رجل يعمل للناس من البنيان بالأجر فعمد الرجل الى ابنه ذلك
فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له يا فيميون اني قد
أردتُ ان أعمل في بيتي عملاً فانطلِقْ معي حتى تنظر اليه فأشارطك
عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له ما تريد ان تعمل من
بيتك هذا قال كذا وكذا ثم انتشط الثوب عن الصبيّ وقال يا فيميون
عبد من عباد الله أصابه ما ترى فأدعُ الله له فدعا له فيميون فقام الصبي
ليس له باس وعرف فيميون انه قد عُرِف فخرج من القرية واتبعه
صالح فبينا هو يمشي في بعض الشام اذ مرّ بشجرة عظيمة فناداه منها

رجلٌ فقال يا فيميون ما زِلْتُ أنتظرك وأقول متى هو جاءٍ حتى سمعتُ صوتك فعرفتُ انك هو لا تَبْرح حتى تقوم عليّ فاني ميّت الآن قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فاختطفتهما سيّارةٌ من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلةً طويلة بين أظهرهم لها عيدٌ في كل سنة اذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحُلِيّ النساء ثم خرجوا اليها فعكفوا عليها يوماً فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم وابتاع صالحاً آخرُ فكان فيميون اذا قام من الليل يصلّي في بيت أسكنه اياه سيّدُه استسرج له البيتُ نوراً حتى يُصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيّدُه فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به وقال له فيميون انما انتم في باطل انّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ولو دعوتُ عليها الاهي الذي أعبد أَهْلَكَهَا وهو الله وحده لا شريك له فقال له سيّده فافعل فانك ان فعلتَ دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه فقام فيميون فتطهّر وصلّى ركعتين ثم دعا الله عليها فأرسل الله عليها ريحاً فجعفتها من أصلها

فألقيها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فيما ذكر وهب بن منبه في حديثه هذا واما محمد بن كعب القُرَظي وبعض أهل نجران فذكروا ان أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية من قراها ساحر يعلّم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيميون ولم يسمّه محمد بن كعب ولا شركاءه في الحديث قالوا رجل نزلها ابتنى خيمةً بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحرُ فجعل أهل نجران يُرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلّمهم السحر فبعث اليه الثامر ابنه عبد الله مع غلمان أهل نجران فكان اذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحّد اللهَ وعَبَدَه وجعلَ يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فَقِهَ فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال له يا ابن أخي انك لن تحمله أخشَى ضعفك عنه والثامر ابو عبد الله بن الثامر لا يظنّ الا ان ابنه يختلف

الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله ابن صاحبه قد ضنّ
به عنه ويتخوّف ضعفه فيه عمد الى قداح فجمعها ثم لم يُبق لله اسماً
يعلمه الا كتبه في قدح لكل اسم قدحٌ حتى اذا أحصاها أوقد لها نارًا
ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى اذا مرّ بذلك الاسم الأعظم
قذف فيها بقدحه فوثب القدحُ حتى خرج منها لم تضرّه شيئًا فأخذه
ثم أتى صاحبه فأخبره انه قد علم الاسم الذي كتمه فقال وما هو
كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال بابن أخي قد أصبته
فأمسك على نفسك وما أظنّ ان تفعل فجعل عبد الله بن الثامر اذا
دخل نجران لم يلق أحدا به ضُرٌّ الا قال له يا عبد الله أتوحّد الله
وتدخل في ديني فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول
نعم فيوحّد الله ويُسلم ويدعو له فيُشفى حتى لم يبق بنجران أحد به
ضرّ الا أتاه فاتّبعه على أمره ودعا له فعوفي حتى رُفع شأنه الى ملك
نجران فدعاه فقال أفسدت عليّ قريتي وخالفت ديني ودين آبائي
لأمثلنّ بك فقال لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل
فيُطرح على رأسه فيَقع الى الارض ليس به بأس وجعل يبعث به الى

ماء نجران يحور لا يقع أحد فيها الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس
به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر انك والله لا تقدر على
قتلي حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنتُ به وانك إن فعلت سلّطك
الله عليّ فقتلتني فوحّد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن
الثامر ثم ضربه بعصًى في يده فشجّه شجّةً غير كبيرة فقتله
وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن
الثامر وكان على ما جاء به عيسى من الإنجيل وحُكمه ثم أصابهم ما
أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران

قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض اهل
نجران عن عبد الله بن الثامر والله اعلم اي ذلك كان وحديث عبد
الله بن الثامر هذا قد ورد في الصحيح مرفوعا الى النبي صلعم من
طرق ثابتة خرّجه مسلم بن الحجّاج من حديث صُهيب وبينه وبين
حديث ابن اسحاق اختلاف وفيه مع ذلك زوائد يحسن لاجلها
اعادةُ الخبر

فروى عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب ان رسول الله صلعم

قال كان ملك فيمن كان قبلهم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك
انى قد كبرتُ فابعثْ الىّ غلاماً أعلّمه السحر فبعث اليه غلاماً
يعلّمه فكان فى طريقه اذا سلك راهبٌ فقعد اليه وسمع كلامه
فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد اليه فإذا أتى
الساحر ضربه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيتَ الساحر
فقُل حبسنى أهلى وإذا خشيتَ أهلك فقل حبسنى الساحر
فبينما هو كذلك اذ أتى على دابّة عظيمة قد حبست الناس فقال
اليوم أعْلَمُ الساحرُ أفضلُ ام الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال اللهم
ان كان امر الراهب أحبّ اليك من امر الساحر فاقتلْ هذه الدابّة
حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره
فقال له الراهب اى بُنَىَّ انت اليوم أفضل منّى قد بلغ من أمرك
ما أرى وانك ستُبتلى فإذا ابتُليتَ فلا تدلّ علىّ وكان الغلام
يبرئُ الأكمه والأبرص ويداوى الناس وكذا سائر الأدواء فسمع
جليسٌ للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك
أجمع ان انت شفيتَنى قال انى لا أشفى احداً انما يشفى الله فإن

أمنت بالله دعوتُ الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك
فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك مَن ردّ عليك بصرك قال
ربّي قال ولك ربّ غيري قال ربّي وربّك فأخذه فلم يزل
يعذّبه حتى دلّ على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي
بنيّ قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل
فقال الغلام اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذّبه
حتى دلّ على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجعْ عن دينك
فأبى فدعا بالمنشار فوُضع في مفرق رأسه فشقّه حتى وقع شقّاه ثم
جيء بجليس الملك فقيل له ارجعْ عن دينك فأبى فوُضع المنشار
في مفرق رأسه فشقّه به حتى وقع شقّاه ثم جيء بالغلام فقيل له
ارجعْ عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به
الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فإن رجع
عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم
بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له
الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست

تعالى حتى تفعل ما أمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنّا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدّت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبيّ لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا امّاه اصبري فإنك على الحق فهذا حديث مسلم عن عبد الله بن الثامر وأهل نجران وإن وقعت الأسماء فيه مبهمة وقد فسّرها العلماء بما ورد من ذلك مفسّرا في حديث ابن اسحاق وغيره وجعلوا ذلك كله حديثا واحدا

وذكر ابن اسحاق انه لما كان من اجتماع أهل نجران على
دين عبد الله بن الثامر ما تقدّم الحديث به سار اليهم ذو نواس
بجنوده فدعاهم الى اليهودية وخيّرهم بينها وبين القتل فاختاروا
القتل فخدّ لهم الأخدود فحرّق بالنار وقتل بالسيف ومثّل بهم
حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففي ذي نواس وجنوده
ذلك أنزل الله على نبيه محمد صلعم قُتِل أصحابُ الأخدود النار
ذات الوقود إذ هُم عليها قعودٌ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهودٌ وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد (١) الى
آخر الآية والأخدود هنا هو الحفر المستطيل في الأرض كالخندق والجدول
ونحوه وجمعها أخاديد قال
ابن اسحاق ويقال كان في من قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر
رأسهم وامامهم

وحدثت عن عبد الله بن الثامر انه حدّث ان رجلا من اهل نجران

---

(١) س ٨٥ آ ١-٤

حفر خَربة من خرب نجران في زمان عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً واضعاً يده على ضربة في راسه مُمسكاً عليها بيده فإذا أُخّرت يدُه عنها تثعّبت دماً وإذا أُرسلت يدُه ردّها عليها فأمسكت دمها في يده خاتمٌ مكتوبٌ فيه ربّي الله فكُتب فيه الى عمر فكتب اليهم أن أَقِرّوه على حاله وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا

وذو نواس هذا هو زرعة بن تبّان اسعد ابي كرب وهو تُبّع الآخر وقد تقدّم خبره وابنه زرعة ذو نواس هذا كان من صغار بنيه وصار اليه مُلك اليمن وأمر حمير بعد ابيه بزمان وذلك انه مَلك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ربيعة بن نصر بن ابي حارثة بن عمرو بن عامر وكان من سادات اليمن وأهل الشرف منها وهو صاحب الرؤيا التي يعرف من تاويلها استيلاء الحبشة على اليمن والبشارة بظهور النبي صلعم وذلك انه رأى رؤيا هالته وفُظِع بها فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجّماً من اهل مملكته الا جمعه اليه فقال لهم اني قد رأيتُ رؤياً هالتني وفُظِعتُ بها فاخبروني

بها وبتأويلها قالوا اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال اني إن أخبرتكم بها لم اطمئنّ الى خبركم عن تأويلها انه لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل ان أخبره بها فقال له رجل منهم فإن كان الملك يريد هذا فليبعثْ الى سطيح وشقّ فانه ليس أحد أعلم منهما فهما يُخبرانه بما سأل عنه فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شقّ فقال اني رأيتُ رؤيا هالتني وفُظعتُ بها فأخبرني بها فانك إن أصبتها أصبت تأويلها فقال أفعلُ رأيت حُممةً ، خرجتْ من ظُلُمة ، فوقعتْ بأرض تهمة ، فأكلتْ منها كل ذات جُمجُمة ، فقال له الملك ما أخطأتَ منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها فقال أحلفُ بما بين الحرّتين من حنشْ ، لتهبطنّ أرضكم الحبشْ ، فليملكنّ ما بين أبين الى جُرشْ ، فقال الملك وأبيك يا سطيح ان هذا لنا لغائظٌ مُوجع فمتى هو كائن أفي زماني ام بعده قال لا بل بعده بحينْ ، أكثر من ستين او سبعين ، يمضين من السنين ، قال أفيدوم ذلك من مُلكهم ام ينقطع قال لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يُقتلون ويُخرجون منها هاربين ، قال ومن يلي ذلك من قتلهم

وإخراجهم قال يليه إرمُ ذي يزن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك منهم احداً باليمن ، قال أفيدوم ذلك من سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبيّ زكيّ يأتيه الوحيُ من قبل العليّ قال وممن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن فهر بن ملك بن النظر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يُجمَع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المُحسِنون ، يشقى فيه المسيئون ، قال أحقّ ما تخبرني قال نعم والشفق والغسق والفلق ، اذا اتسق ، انّ ما انبأتك به لحقّ ، ثم قدم عليه شِقّ فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان ام يختلفان فقال نعم رأيتُ جُمَمَة ، خرجتْ من ظُلُمَة ، فوقعتْ بين روضة وأكمه ، فأكلتْ منها كل ذات نسمه ، فلما قال له ذلك عرف ان قد اتفقا وان قولهما واحد الا ان سطيحاً قال وقعتْ بِهَمَة فأكلتْ منها كل ذات جُمْجُمَة فقال الملك ما اخطأتَ يا شقّ منها شيئًا فما عندك في تأويلها فقال أحلف بما بين الحرّتين من انسانْ ، لَيهبطنّ أرضكم السودانْ ، فليغلبنّ على كل طفلة البنانْ ،

وليملكن ما بين أبين الى نجران ، فقال له الملك وأبيك يا شق
ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن في زماني ام بعده قال لا بل
بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم اشد الهوان ،
قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام ليس بدني ولا مُدنّ ، يخرج
من بيت ذي يزن فلا يترك احدا منهم باليمن ، قال أفيدوم
سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مُرسلٍ ، يأتي بالحق والعدل ،
بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه الى يوم الفصل ،
قال وما يوم الفصل قال يوم تجزى فيه الوُلاة ، يُدعى فيه من السماء
بدعوات ، يُسمع منها الأحياء والأموات يُجمع فيه الناس للميقات ،
يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات ، قال أحقٌّ ما تقول قال أيْ وربّ
السماء والارض ، وما بينهما من رفع وخفض ، ان ما انبأتك حق ما
فيه أمض فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهز بنيه وأهل
بيته الى العراق بما يصلحهم وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس
يقال له سابور فأسكنهم الحيرة فمن بقية ربيعة بن نصر فيما
يقال النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي

بن ربيعة بن نصر ذلك الملك وقد تقدّم قول من قال من العلماء ان النعمان من ولد قنص بن معدّ

وقد قيل أيضا ان النعمان من ولد الساطرون صاحب الحضر وهو حصن عظيم كالمدينة كان على شاطىء الفرات وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ * دجلة تُجْبَى اليه والخابور
شاده مرمراً وجلّله كلسا * فللطير في ذراه وُكور
لم يهبه رَيبُ المنون فباد الملكُ عنه فبابُه مهجور

وأما شقّ وسطيح فإنّ شقّا هو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أنمار بن نزار الذي بحملة وجمعهم وكان شقّ انسان فيما زعموا انما له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ولذلك سُمّي شق وسطيح هو ربيع بن ربيعة من بني ذئب بن عدي بن مازن بن غسان وكانت العرب تسمّيه الذئبي واياه عَني ميمون بن قيس الأعشى بقوله

ما نظرتْ ذاتُ أشفارٍ كنظرتها * حقا كما نطق الذئبيّ اذ سجعا

وانما قيل له سطيح لانه كان له جسدا مُلْقى له راس وليس له

جوارح فيما ذكروا وكان لا يقدر على الجلوس فإذا غضب انتفخ وجلس وذكر انه قيل له أنّى لك هذا العلم فقال لي صاحب من الجنّ استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلّم الله موسى منه فهو يؤدّي اليّ من ذلك ما يؤديه وعاش سطيح بعد هذا الحديث زمانا طويلا حتى أدرك مولد رسول الله صلعم

وذكر الخطابي وغيره من حديث هانئ بن هانئ المخزومي وأتت عليه مائة وخمسون سنة انه لما كانت الليلة التي وُلد فيها رسول الله صلعم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة وغاضت بحيرة ساوة وفاض وادي السماوة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك الف عام ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح كسرى أفزعه ذلك فصبر عليه تشجّعا حتى اذا عيل صبره رأى ألاّ يدّخر ذلك عن وزرائه ومرازبته فلبس تاجه وقعد على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النار وازداد غمّا الى غمّه ثم أخبر

بما رأى وما هاله من ذلك فقال الموبذان وأنا أصلح اللهُ الملكَ قد رأيتُ في هذه الليلة رؤيا ثم قصّ عليه رؤياه فقال اي شيء يكون هذا يا موبذان قال حدثٌ يكون من ناحية العرب وكان أعلمهم في أنفسهم فكتب عند ذلك كسرى الى النعمان بن المنذر ان يوجّه اليه برجل عالم بما يريد ان يسأله عنه فوجّه اليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بُقيلة الغسّاني فلما قدم عليه قال له الملك أَلَكَ علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليخبرني الملك عمّا أحبّ فإن كان عندي منه علم والّا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذي وجّه اليه فيه فقال له علم ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فسَله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى أتى سطيحاً وقد أشفى على الموت فسلّم عليه وكلّمه فلم يردّ عليه سطيح جواباً فأنشد عبد المسيح يقول

أَصَمُّ أَمْ يسمعُ غطريفُ اليمنْ * أَمْ فادَ فازْلَمَّ به شأوُ العننْ
يا فاصلَ الخُطّة أَعْيَتْ مَن ومَن * أتاكَ شيخُ الحيِّ من آلِ سَنَن
وأُمُّه من آلِ ذئبِ بن حجن * أزرق ممهى الناب صرّار الاذن

رسولُ قَيلِ العُجْمِ يَسْري للوَسَن ٭ لا يَرهَبُ الرَّعْدَ ولا رَيبَ الزمن

تجوبُ بي الأرضَ عَلَنْداةٌ شَزَن ٭ ترفعني وَجْنٌ وتهوي بي وَجُن

حتى أتى عاري الجآجي والقَطَن ٭ تَلُفُّه في الريح بَوغاءُ الدِّمَن

فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول، عبد المسيح، أتى إلى سطيح، على جُمَيل مشيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملكُ بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخُمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد قطعتْ دجلة وانتشرت في بلادها، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس فليست الشأم لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكاتٌ، على عدد الشُّرُفات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، ثم قضى سطيح مكانه فقدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قاله سطيح فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا قد كانت أمور فملك منهم عشرة إلى أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلك اليمن كله إلى حسان بن

تبّان أسعد أبي كرب وسار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض
العرب وأرض الأعاجم حتى اذا كان بأرض العراق كرهت حمير
وقبائل اليمن المسير معه وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهليهم فكلّموا أخا
له يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له اقتل أخاك حسان
ونملّكك علينا وترجع بنا الى بلادنا فأجابهم فاجتمعوا على ذلك الا
ذا رُعَين الحميري فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فقال ذو رعين

ألا من يشتري سهرا بنَوم * سعيدٌ من يبيت قرير عَين

فأمّا حميرٌ غدرت وخانت * فمعذرةُ الإله لذي رُعَين

ثم كتبهما في رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمرا فقال له ضع لي هذا
الكتاب عندك ففعل ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه
الى اليمن فلما نزل اليمن مُنع منه النوم وسلّط عليه السهر فلما جهده
ذلك سأل الأطباء والحُزاة من الكهّان والعرّافين عمّا به فقال
له قائل منهم والله ما قتل رجل قطّ أخاه او ذا رحمه بغيا على مثل
ما قتلت أخاك عليه الا ذهب نومه وسلّط عليه السهر فلما قيل له
ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن

حتى خاض الى ذى رُعَين فقال له ذو رعين انّ لى عندك براءةً قال
وما هى قال الكتاب الذى دفعتُ اليك فأخرجه فإذا فيه البيتان
فتركه ورأى انه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك
وتفرّقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال
له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة
منهم فقال قائل من حمير

تُقتّلُ أبناها وتَنفي سراتها * وتبني بأيديها لها الذُلَّ حميرُ
تُدمّرُ دنياها بطيش حُلومها * وما ضيّعتْ من دينها فهو أكثر
كذاك القُرونُ قبل ذاك بظلمها * وإسرافها تأتي الشُرورُ فتخسَرُ

وكان لخنيعة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط فكان يُرسل الى الغلام من
ابناء الملوك فيقع عليه فى مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك
بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك الى حرسه وجنده قد أخذ
مسواكا فجعله فى فيه علامة للفراغ من حديثه فعله حتى بعث الى
زُرعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسّان وكان صبيا صغيرا حين
قُتل حسان ثم شبّ غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل فلما أتاه رسوله

عرف ما يريد به فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً فخبأه بين قدمه ونعله ثم أتاه فلما خلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حزّ رأسه فوضعه في الكوّة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فسألوه فأشار لهم الى الرأس فنظروا فإذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجوا في أثر ذي نواس حتى أدركوه فقالوا ما ينبغي ان يملكنا غيرك اذ أرحتنا من هذا الخبيث فملّكوه فاجتمعت عليه حِمْيَر وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وسمّى يوسف وأقام في ملكه سنين قال ابن قتيبة ثمانيا وستين سنة الى ان كان منه في اهل نجران ما تقدّم ذكره فكان ذلك سبباً لاستئصال مُلكه واستيلاء الحبشة على اليمن.

*
* *

ذكر دخول الحبشة ارض اليمن

واستيلائهم على ملكها وذكر السبب في ذلك

مع ما يتصل به من امر الفيل

ولما انتهى زُرعة ذو نواس الى ما انتهى اليه في أهل نجران من التحريق والقتل افلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له فسلك الرمل فأعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر صاحب الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما بلغ منهم فقال له بَعُدت بلادك منا ولكني سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو اقرب الى بلادك فكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثاره فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمّر عليهم رجلا منهم يقال له أرياط ومعه في جنده أبرهة الأشرم فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس وسار اليه ذو نواس

في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه
فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجّه فرسه الى البحر ثم ضربه
فأدخله فيه فخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به الى غمره
فأدخله فيه وكان آخر العهد به ودخل أرياط اليمن فملكها فأقام بها سنين
في سلطانه ذلك ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهةُ الحبشي
حتى تفرّق الحبشة عليهما فانحاز الى كل واحد منهما طائفةٌ منهم
ثم سار أحدهما الى الآخر فلما تقارب الناس أرسل أبرهة الى أرياط
انك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا
فابرُزْ لي وأبرُزُ لك فأينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده فأرسل
اليه أرياط أنصفْتَ فخرج اليه أبرهة وكان رجلا قصيرا حادرا وكان
ذا دين في النصرانية وخرج اليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا
وفي يده حربة له وخلف أبرهة غلام له يقال له عتودة يمنع ظهره
فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على
جبهة أبرهة فشرمتْ حاجبه وأنفه وعينه وشفته فلذلك سُمّي
أبرهة الأشرم وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف

جند أرياط الى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة
أرياط فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضبا شديدا وقال عدا على
أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجزّ
ناصيته فحلق أبرهةُ رأسه وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به
الى النجاشي وكتب اليه ايها الملك انما كان أرياطُ عبدك وأنا
عبدك اختلفنا في أمرك وكل طاعتُه لك الا اني كنت أقوى على
أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه وقد حلقت رأسي كله حين بلغني
قسمُ الملك وبعثتُ اليه بجراب من تراب أرضي ليضعه تحت
قدميه فيبرّ قسمُه فيّ فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي
عنه وكتب اليه ان اثبُت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام بها
ثم ان أبرهة بنى القليس بصنعاء فبنى كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها
بشيء من الارض ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها
الملك كنيسة لم يُبْنَ مثلها لملك كان قبلك ولستُ بمنتهٍ حتى
أصرف اليها حجّ العرب فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة
ذلك الى النجاشي غضب رجل من النسأة أحد بني فُقَيم بن

عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم لحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة وحلف ليسيرنّ الى البيت حتى يهدمه ثم أمر الحبشة فتهيّأت وتجهّزت ثم ساروا وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقّا عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل كان من أشراف اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريد من هدمه وإخرابه فأجابه من أجابه الى ذلك ثم عرض له فقاتله فهُزم ذو نفر وأصحابه وأُخذ له ذو نفر وأُتي به أسيراً فلما أراد قتله قال له ذو نفر ايها الملك لا تقتلني فانه عسى ان يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي وكان أبرهة رجلاً حليماً فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان بأرض خَثعَم عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمي في قبيلَي خَثعَمَ شَهرَانٍ وناهِس ومَن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه

أبرهة وأخذ له نُفَيل أسيرًا فأُتي به فلما همّ بقتله قال له نفيل أيها
الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على
قبيلتي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلّى سبيله وخرج به
معه يدلّه حتى اذا مرّ بالطائف خرج اليه مسعود بن مُعَتّب بن
مالك الثقفي في رجال ثقيف فقالوا له ايها الملك انما نحن
عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس
بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذي
بمكّة ونحن نبعث معك من يدلّك عليه فتجاوز عنهم واللاتُ
بيت لهم بالطائف كانوا يعظّمونه نحو تعظيم الكعبة فبعثوا معه أبا
رغال يدلّه على الطريق الى مكّة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى
أنزله المغمّس فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمتْ قبره
العرب وهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمّس فلما نزل أبرهة المغمّس
بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى
انتهى الى مكّة فساق اليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم
وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطّلب بن هاشم وهو يومئذ كبير

قريش وسيدها فهمّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان بذلك الحرم
بقتاله ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث أبرهة حُناطة
الحميري الى مكة وقال له سَلْ عن سيّد أهل هذا البلد وشريفهم ثم
قل له ان الملك يقول لك اني لم آتِ لحربكم انما جئتُ لهدْم هذا
البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم
يُرِدْ حربي فأْتِني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش
وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة
فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة
هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم او كما قال فإن يمنعه منه
فهو بيته وحُرْمته وإن يخلّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال
حناطة فانطلقْ اليه فانه قد أمرني ان آتيه بك فانطلق معه
عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي
نفْر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر
هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير
في يدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيه ما عندي غناء في شيء

فما نزل بك الا ان أنيسا سائس الفيل صديق لي فسأرسل اليه فأوصيه بك وأعظم عليه حقّك وأسأله ان يستأذن لك على الملك فتكلّمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك قال حسبي فبعث ذو نفر الى أنيس فقال له ان عبد المطّلب سيد قريش وصاحب عير مكة يُطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذنْ له عليه وانفعْه عنده بما استطعت قال أفعلُ وكلّم أنيس أبرهة قال له ايها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك فأذنْ له فليكلّمك في حاجته ووصفه له بما وصفه ذو نفر لأنيس فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجمله وأعظمه فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه عن أن يُجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يردّ عليّ الملكُ مائتي بعير أصابها لي فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له قد كنتُ أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدتُ فيك

حين كلّمتني أتكلّمني فى مائتى بعير أصبتُها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتَ لتهدمه لا تكلّمني فيه قال عبد المطلب انى انا ربُّ الإبل وان للبيت ربّاً سيمنعه قال وما كان ليمتنع منّى قال أنت وذاك ويزعموا أهل العلم انه كان ذهب مع عبد المطلب الى أبرهة يعمّر بن نُفاثة بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى بَكر وخُويلد بن واثلة الهُذيلى وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثُلُثَ أموال تِهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم فالله أعلم أكان ذلك أم لا فردّ ابرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب الى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز فى شُعَب الجبال والشعاف تخوّفاً عليهم من معرّة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذٌ بحلقة باب الكعبة

لاَهُمَّ إنّ العَبْدَ يَمـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلالَكْ

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه وكان اسم الفيل محمودا وأبرهة مجمع لهدم البيت والانصراف الى اليمن فلما وجهوا الفيل الى مكة قام نفيل بن حبيب الى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى وضربوه في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا الا هلك وليس كلهم أصابت

وخرجوا فارين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله من نقمته بهم

أين المفرّ والإلهُ الطالبُ * والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبُ

وقال نفيل أيضا

ألا حُيّيتِ عنّا يا رُدينا * نَعِمْناكم مع الإصباح عينا

رُدينةُ لو رأيتِ ولا تريهِ * لدى جَنْب المحصّب ما رأينا

إذا لعذرتِني وحمدتِ أمري * ولَم تأسَي على ما فات بَيْنا

حمدتُ اللهَ إذ أبصرتُ طيراً * وخفْتُ حجارةً تُلقَى علينا

فكل القوم يسأل عن نُفَيلٍ * كأنّ عليّ للحُبشان دَينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأُصيب أبرهةُ في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملةً أنملةً كلما سقطتْ منه أنملةٌ اتبعتها منه مِدّةٌ تمُثُّ قيحاً ودماً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه فيما يزعمون ويقال انه

أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام وأنه أول ما رؤي بها مرائر الشجر والحرمل والحنظل والعشر ذلك العام فلما بعث الله محمد صلعم كان مما بعدّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم فقال تبارك وتعالى (١) الم ترى كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل فجعلهم كعصف مأكول

وقالت عائشة رضي الله عنها لقد رأيتُ قائد الفيل وسائسه بمكّة أعميين مُقعَدين يستطعمان

قال ابن اسحاق فلما ردّ الله الحبشة عن مكة وأصابهم ما أصابهم من النقمة أعظمت العرب قريشا وقالوا هم اهل الله قاتل اللهُ عنهم وكفاهم مؤنة عدوّهم فقالوا في ذلك أشعارا يذكرون ما صنع الله بالحبشة وما ردّ عن قريش من كيدهم فقال عبد الله بن الزبعري السهمي

---

(١) س ١٠٥

فتنكّبوا عن بطن مكّة إنها * كانت قديماً لا يُرام حريمُها
لم تُخلَق الشِعرى لياليَ حُرِّمَتْ * إذ لا عزيزَ من الأنام يرومها
سائلْ اميرَ الجيش عنها ما رأى * ولَسَوفَ يُنبى الجاهلين عليمها
ستون ألفاً لم يَؤُبوا أرضَهم * بل لم يَعِش بعد الإياب سقيمُها
كانت بها عادٌ وجُرْهُمُ قبلهم * والله من فوق العباد يُقيمُها

وقال ابو قيس بن الأسْلَت الأنصارى ثم الخطمى من قصيدة سيأتى ذكرها بجملتها

فقوموا فصَلّوا ربّكم وتمسّحوا * بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعِنْدَكم منه بلاءٌ ومَصْدَقٌ * غداةَ ابى يكسومَ هادى الكتائب
كتيبتُه بالسهل تُمسِى ورَجْلُه * على القاذفات فى رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصْرُ ذى العرش ردّهم * جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب
فوَلّوا سِراعاً هاربين ولم يَؤُب * الى اهله بالحُبش غيرُ عصائب

وقالتْ سُبَيعَة بنت الأحَبّ بن ربيعة من بنى نصْر بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور لابنها خارجة بن عبد مناف بن كعب بن

سعد بن تيم بن مرّة تعظّم عليه حُرْمة مكّة وتنهاه عن البغي فيها وتذكر تُبّعاً وتذلّله لها والفيل وهلاك جيشه عندها

أبُنَيّ لا تظلِمْ بمكـ * ـة لا الصغيرَ ولا الكبيرْ
واحْفَظْ محارِمَها بُنَيّ * ولا يَغُرَّنْكَ الغُرور
أبُنَيّ مَن يظلِمْ بمكّة * يَلْقَ أطرافَ الشرور
أبنيّ يضرب وجهه * ويلح بخدّيه السعير
أبنيّ قد جرّبتُها * فوجدتُ ظالمَها يبور
اللهُ آمَنَها وما * بُنِيَتْ بعرصتها قُصور
واللهُ آمن طيرها * والعُصْمُ تأمَن في ثبير
ولقد غزاها تُبّعٌ * فكسا بَنِيّتها الحبير
وأذلّ ربّي مُلكه * فيها فأوفى بالنُّذور
يمشي إليها حافياً * بفنائها ألفا بعير
ويظلّ يُطعمُ أهلها * لَحْمَ المَهارِي والجَزور
يَسْقيهم العسلَ المُصَفّى * والرحيضَ من الشعير

والفيلُ أهلكَ جيشه * يرمون فيها بالصخور

والمُلْكُ في أقاصي البلا * د وفي الأعاجم والجزير

فاسمعْ إذا حدّثتَ وافْـ * ـهمْ كيف عاقبةُ الأمور

ولم يزل شعراء أهل الجاهلية يذكرون ذلك في أشعارهم معدّدين لصُنْع الله فيه وقد جرى على ذلك شعراء الاسلام فقال الفرزدق بن غالب التميمي يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويعرض للحجّاج بن يوسف ويذكر الفيل وجيشه

فلما طغى الحجّاجُ حين طغى به * غنىً قال إني مُرتقٍ في السلالم

فكان كما قال ابن نوح سأرْتقي * الى جبل من خشية الماء عاصم

رمى اللهُ في جُثْمانه مثل ما رمى * عن القبلة البيضاء ذات المحارم

جُنودا تسوقُ الفيل حتى أعادهم * هباءً وكانوا مُطْرخمّي الطراخم

نُصرتَ كنصر البيت اذ ساق فيله * اليه عظيمُ المشركين الأعاجم

قال ابن اسحاق فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة وبه كان يُكنى فلما هلك يكسوم ملك اليمن في الحبشة أخوه

مسروق بن أبرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن
ذي يزن الحميري حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه ما هم
فيه وسأله ان يخرجهم عنه ويليهم هو ويبعث اليهم من شاء
من الروم فلم يُشكِه فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو
عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكى اليه أمر
الحبشة فقال له النعمان انّ لي على كسرى وفادةً في كل عام فأقم
حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان
كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل
القنقل العظيم فيما يزعمون يُضرب فيه الياقوت والزبرجد
واللؤلؤ بالذهب والفضّة معلّقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في
مجلسه ذلك وكانت عنقه لا تحمل تاجه انما يُستر بالثياب حتى
يجلس في مجلسه ذلك ثم يُدخل رأسه في تاجه فإذا استوى في
مجلسه كُشف عنه الثياب فلا يراه رجلٌ لم يره قبل ذلك الا برك
هيبة له فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك وقيل انه لما دخل عليه
طأطأ رأسه فقال الملك ان هذا لأحمق يدخل عليّ من هذا الباب

الطويل ثم يطأطئ راسه فقيل ذلك لسيف فقال انما فعلتُ هذا لهمّي
لانه يضيق عنه كل شيء ثم قال ايها الملك غَلَبَنا على بلادنا الأغربة فقال
كسرى اىّ الأغربة الحبشة ام الهند قال بل الحبشة فجئتُك لتنصُرَني
ويكون مُلك بلادي لك قال بَعُدَتْ بلادك مع قلّة خيرها فلم أكن
لأُورّطَ جيشاً من فارس بأرض العرب لا حاجة لي بذلك ثم أجازه
بعشرة الاف درهم وافٍ وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك
سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس فبلغ ذلك الملك فقال
ان لهذا لشأناً ثم بعث اليه فقال عمدتَ الى حباء الملك تنثُرُه للناس
فقال وما أصنعُ بهذا ما جبال أرضي التي جئتُ منها الا ذهب
وفضّة يرغّبه فيها فجمع كسرى مرازبته فقال ما ذا ترون في امر هذا
الرجل وما جاء له فقال قائل ايها الملك انّ في سجونك رجالاً
حبستَهم للقتل فلو انك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذي
أردتَ منهم وإن يظفروا كان ذلك مُلكاً ازددتَه فبعث معه كسرى
من كان في سجونه وكانوا ثماني مائة رجل واستعمل عليهم
وَهْرِزَ وكان ذا سنّ فيهم وافضلهم حسباً وبينما فخرجوا في ثماني

سفائن فغرقت سفينتان ووصلت الى ساحل عدن ست سفائن فجمع
سيف الى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلي مع رجلك
حتى نموت جميعا او نظفر جميعا قال وهرز أنصفت وخرج اليه
مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع اليه جنده فأرسل اليهم وهرز
ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم فقُتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم
فلما تواقف الناس على مصافّهم قال وهرز أروني ملكهم فقالوا له أترى
رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء قال نعم
قالوا ذاك ملكهم قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم قال على ما هو قالوا قد
تحوّل على الفرس قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم قال على ما هو
قالوا على البغلة قال وهرزُ بنتُ الحمار ذلّ وذلّ مُلكه اني سأرميه
فان رأيتم أصحابه لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أوذنكم فاني قد أخطأت
الرجل وان رأيتم القوم قد استداروا ولاذوا به فقد أصبتُ الرجل
فاحملوا عليهم ثم وتّر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها
وأمر بحاجبيه فعُصّبا له ثم رماه فصكّ الياقوتة التي بين عينيه فتغلغلت
النُشابة في رأسه حتى خرجتْ من قفاه ونكس عن دابته واستدارت

الحبشة ولاذت به وحملت عليهم الفرس وانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى اذا أتى بابها قال لا تدخل رايتي منكسة ابدا اهدموا الباب فهُدم ثم دخلها ناصبا رايته وقال في ذلك ابو الصلت بن ابي ربيعة الثقفي وتُروى لامية ابن ابي الصلت

لطلب الوتر امثال ابن ذي يزن * ريّم في البحر للأعداء أحوالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم * انك عمري لقد أسرعت قلقالا
لله درّهم من عصبة خرجوا * ما إن أرى لهم في الناس أمثالا
بيضا مرازبة غُلبا أساورةً * أسدا تربّب في الغيضات أشبالا
أرسلت أسْدا على سُود الكلاب فقد * أضحى شريدهم في الأرض فُلّالا
فاشربْ هنيئا عليك التاجُ مرتفقا * في راس غُمْدان دارا منك محلالا
واشربْ هنيئا فقد شالتْ نعامتُهم * وأسْبل اليوم في بُرديك إسبالا
تلك المكارمُ لا قعْبان من لبنٍ * شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

واقام وهرز في الفُرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس

الأبناء الذين باليمن اليوم وكان ملك الحبشة باليمن مند دخلها أرياط الى ان أخرجهم الفرس منها في اثنين وسبعين وفي ما ذكره سطيح وشق في تأويل رؤيا ربيعة بن نصر ثم مات وهرز فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التيحان بن المرزبان ثم مات فأمر كسرى ابن التيحان ثم عزله وولّى باذان فلم يزل عليها حتى بعث الله محمد صلعم فلما بلغ مبعثه كسرى كتب الى باذان انه بلغني ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبيّ فسر اليه فاستتبه فان تاب والاّ فابعث الىّ برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى رسول الله صلعم فكتب اليه رسول الله صلعم ان الله قد وعدني ان يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال ان كان نبيًا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى على يدي ابنه شيرويه في اليوم الذي قال رسول الله صلعم فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلعم فقالت الرسل من الفرس الى من نحن يا رسول الله قال انتم منا والينا اهل البيت

قال الزهرى فمن ثمّ قال رسول الله صلعم سَلْمانُ منّا أهلَ البيت

وكل هذه الأخبار وإن قطعتّ بعض ما كنّا بسبيله من امر بنى قُصَىّ فلها ايضا من الافادة بنحو ما قصدناه وحُسْن الأمتاع بالشأن المُناسب لما اعتمدناه ما يُحسِن اعتراضها وينظم فى سلك واحدٍ مع ما مرّ من ذلك او يأتى اغراضها وعايننا بمعونة الله فى تجديد الترتيب لذلك كله تطبيق المفصل وردّ هذه الأحاديث المفرّقة فى حكم الحديث المتّصل فنطيل ولا نملّ ونقصّر فلا نخلّ كل ذلك ببركة المختار الذى يمّمنا تخليد أوّليته ونيمّنا اظهار أوليته وقصدنا خدمة آثاره وسيرته صلى الله عليه وعلى آله الأكرمين وصحابته وكنّا انتهينا من شأن بنى قُصَىّ بعده الى ما تراضوا به بينهم من الصلح على ان تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف وتكون حجابة البيت واللواء والندوة لبنى عبد الدار على نحو ما جعله قُصَىّ الى ابنيهم

وولى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف وذلك ان عبد شمس كان رجلا سفّاراً قلّ ما يُقيم بمكّة وكان مُقِلاًّ ذا ولدٍ كثير وكان هاشم موسِراً وكان فيما يزعمون اذا حضر الحجّ قام صبيحةَ هلال ذى الحجّة

فيسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها فيحضّ قومه على رفادة الحاج التي سنّها لهم قصيّ ويقول لهم في خطبته يا معشر قريش انتم سادة العرب وأحسنها وجوهاً وأعظمها احلاما وأوسط العرب انساباً وأقرب العرب بالعرب ارحاماً يا معشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصّكم بجواره دون بني اسماعيل حفظ منكم أحسن ما حفظ جارٌ من جاره انه يأتيكم في هذا الموسم زوّارُ الله يعظّمون حرمة بيته وهم ضيفُ الله وأحقّ الضيف بالكرامة ضيفه فأكرموا ضيفه وزوّاره فانهم يأتون شعثاً غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح وقد أزحفوا وأرملوا فأقروهم وأغنوهم فورب هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرجٌ من طيب مالي وحلاله ما لم يُقطع فيه رحمٌ ولم يُؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعله واسألكم بحرمة هذا البيت ألّا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوّار بيت الله ومعونتهم الا طيبا لم يُقطع فيه رحمٌ ولم يُؤخذ غصبا فكانت د وكعب بن لؤي وسائر قريش يجتهدون في ذلك ويترافدون عليه ويخرجون ذلك من أموالهم حتى يأتوا به

هاشم بن عبد مناف فيضعه في داره حتى ان كان اهلُ اليسار ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم وكان هاشم يُخرِج في كل سنة مالا كثيرا وكان قوم من قريش اهل يسار وربّما أرسل كل انسان منهم بمائة مثقال هرقلية وكان هاشم يأمر بحياض من آدم فتجعل في موضع زمزم من قبل ان تحفر ثم يُستقى فيها من البئار التي بمكّة فيشرب الحاجّ وكان يُطعمهم اوّل ما يُطعِمهم بمكّة قبل التروية بيوم ثم بمِنًى وبجمْع وعرفة يثرد لهم الخُبز واللحم والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء فيُطعِمهم ويُسقِيهم حتى يصدروا

وكان اسم هاشم عمرا ويقال له عمرو العُلى وانما سُمّى هاشما لهشمه الخبز بمكّة لقومه وهو فيما يذكرون اول من سنّ الرحْلتَين لقريش رحلة الشتاء والصيف وفي ذلك يقول بعض شعرائهم

عمرو العُلى هشم الثريد لقومه ✻ قوم بمكّة مُسنتين عجاف

سُنّتْ اليه الرحْلَتان كلاهُما ✻ سفرُ الشتاء ورحْلةُ الأصياف

وذلك ان قريشا كانوا قوماً تجارا وكانت تجاراتهم لا تعدو مكّة انما تقدم

عليهم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ويتبايعون فيما بينهم ويبيعون ممّن حولهم من العرب فلم يزالوا كذلك حتى ذهب هاشم الى الشام وكان يذبح كل يوم شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله فيأكلون

وكان هاشم من أحسن الناس وأجملهم الى شرف نفسه وكرم فعاله فذُكر لقيصر فدعا به فلما رآه وكلّمه أعجب به وأدناه فلما رأى هاشم مكانه منه طلب منه امانا لقومه ليقدموا بلاده بتجارتهم فأجابه الى ذلك وكتب لهم قيصر كتاب امان لمن أتى منهم فأقبل هاشم بذلك الكتاب فكلّما مرّ بحيّ من أحياء العرب أخذ من أشرافهم ايلافا لقومه يأمنون به عندهم وفي أرضهم من غير حلف انما هو امان الطريق وامنه وفي اخذ ذلك ممّن بين مكّة والشام فأتى قومه بأعظم شيء أتوا به قطّ بركة فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم ليوفي بهم ايلافهم الذي أخذ لهم من العرب فلم يزل يوفيهم اياه ويجمع بينهم وبين العرب حتى قدم بهم الشام وهلك هاشم في سفره ذلك بغزّة من ارض الشام وكان اول بني عبد مناف هلكا

وخرج المطّلب بن عبد مناف وهو يسمى الفيض لسماحته وفضله

الى اليمن فأخذ من ملوكهم اماناً لمن تجر من قومه الى بلادهم ثم أقبل يأخذ لهم الإيلاف ممن كان على طريقه من العرب كما فعل اخوه هاشم حتى أتى مكّة ثم رجع الى اليمن فمات بردمان

وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى ملك الحبشة فأخذ منه اماناً كذلك لمن تجر من قريش الى بلاده ثم اخذ الايلاف من العرب الذين على الطريق حتى بلغ مكة وتوفّي بها فقبره بالحجون

وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد ابيه الى العراق فأخذ عهداً من كِسرى لتجار قريش ثم أقبل ياخذ الايلاف ممن مرّ به من العرب حتى قدم مكة ثم رجع الى العراق فمات بسلمان من ناحية العراق فجبر الله قريشاً بهولاء النفر الأربعة من بني عبد مناف فنمتْ اموالهم واتّسعتْ تجارتهم فكان بنو عبد مناف يسمّون لأجل ذلك المجبرين والعرب تسمّيهم أقداح النضار لطيب أحسابهم وكرم فعالهم

وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكيهم جمعاً حين أتاه نعيّ نوفل منهم وكان آخرهم مُلكاً

يا ليلةً هيّجت بلابلي * إحدى ليالي الشبابِ

وما أقاسي من همومٍ وما * عاينتُ من رُزء المعتاب

إذا تذكّرتُ أخي نوفلاً * ذكّرني بالأوّلتاب

ذكّرني بالأُزُر الحُمْرِ والـ * أرديةِ الصُّفْرِ القشاب

أربعةٌ كلّهمُ سيّدٌ * أبناء ساداتٍ لسادات

منهنّ برذمان ومنهنّ بن لُقمان ومنهنّ بن عرّاب

ومنهنّ أسكن خُذاً لدى * الحجون سوقَ النساب

أخاصهم عند سماق فيهم * من لوم من لام بمنتحاب

انّ المغراب وان ساءها * من جميع أجناسها وأصواب

وانما سمّاهم المُعراب لانّ عند مداق أباهم كان اسمه المعرة فعمل لمطرود فيما يزعمون لقد قلت فأحسنتَ ولو كان افضل مما ه وكان أحسن فقال اطربوني لسالي فمكث اياما ثم قال

يا عين جُودي وأذري الدمع وانهمري * وابكي على الستر من كعب المُعراب

يا عين واستعبري بالدمع واحتفلي * وابكي حمية نفسي في الملتاب

وابكي على كل فيّاضٍ أخي ثقةٍ * ضخمِ الدسيعة وقّاب الكرسلاب
محْض الضريبة عالي الهمّ مختلقٍ * جلْد النحيزة ناءٍ بالعظيمات
صعْب البديهة لا نكْسٍ ولا وكلٍ * ماضي العزيمة متلاف الكريمات
صقْرٍ توسّط من كعْبٍ اذا نُسبوا * بُحْبوحة المجد والشُمّ الرفيعات
ثم اندُبي الفيض والفيّاض مطلبا * واستخْرطي بعد فيضانٍ بتحنان
أمسى ببوْمان عنّا اليوم مُغْتربا * يا لهْف نفسي عليه دون أثواب
وابكي لك الويل إمّا كنت باكيةً * لعبد شمس بشرقيّ البُنيّات
وهاشم في ضريحٍ وسْط بلْقعةٍ * تسْفي الرياحُ عليه بين عرّات
ونوفلٍ كان دون القوم خالصتي * أمسى بسلْمان في رمْسٍ بموماة
لم ألق مثلهُمُ عُجْما ولا عربا * اذا استقلّت بهم أُدْمُ المطيّات
أمْست ديارهُمُ منهم مُعطّلةً * وقد يكونون زينا في السريّات
أفناهُمُ الدهرُ ام كلّتْ سيوفهُمُ * ام كل من عاش ازواد المنيّات
أصبحْتُ ارضى من الأقوام بعدهمُ * بسْط الوجوه وإلقاء التحيّات
داءٌ ن وابكي ابا الشُعْث الشحّاذ * بكينه حُسّرا مثل البليّات

يبكين أكرمَ من يمشي على قدمٍ * يُعْوِلْنَه بدموعٍ بعد عَبْرات

يبكين شخصاً طويلَ الباع ذا فَخَرٍ * آبي الهضيمة فرّاجَ الجليلات

يبكين عَمْرَو العُلا اذ حان مَصْرَعُهُ * سَمْحَ السجيّة بسّامَ العشيّات

يبكينه مُستكينات على حَزَنٍ * يا طُول ذلك من حُزْنٍ وعولات

يبكين لمّا جلاهُنّ الزمانُ له * خُضْرَ الخُدود كامثال الحميّات

محتزمات على اوساطهنّ لما * جرّ الزمانُ من احداث المصيبات

أبيتُ ليلى أُراعى النجمَ من ألَمٍ * ابكى ويبكى معى شجْوِى بُنَيّات

ما فى القُروم لهم عِدْلٌ ولا خَطَرٌ * ولا لمن تركوا شَرْوَى بقيّات

أبناؤهم خيرُ أبناءٍ وأنفُسُهم * خيرُ النفوس لدى جَهْدِ الأليّات

كم وَهَبوا من طِمِرٍّ سابحٍ أرِنٍ * ومن طِمِرّةِ نَهْبٍ فى طِمِرّات

ومن سيوفٍ من الهندىّ مُخْلَصةٍ * ومن رماحٍ كأشطان الركيّات

ومن سوابغ مما يُفضلون بها * عند المسائل من بذل العطيّات

فلو حسبتُ وأحصى الحاسبون معى * لم أُحْصِ أفعالَهم تلك الهنيّات

هُمُ المُدِلّون إمّا مَعْشَرٌ فخروا * عند الفخار بأنساب نقيّات

زينُ البيوت التى خلّوا مساكنَها * فأصبحَتْ منهمُ وَحْشاً خلِيّات
أقول والعين لا ترقى مدامعُها * لا يُبعِد الله أصحابَ الرزيّات

وكان هاشم بن عبد مناف قد قدم المدينة فتزوّج بها سَلمَى بنت عمرو احد بنى عدى بن النجّار وكانتْ قبله عند أُحَيحة بن الجلاح فيما ذكر ابن اسحاق قال وكانتْ لا تنكح الرجالَ لِشرفها حتى يشرطوا لها أن أمرها بيدها إن كرهتْ رجلاً فارقتْه فولدتْ لِهاشم عبد المطّلب فسمّتْه شَيبَة فتركه هاشمٌ عندها حتى كان وصيفاً او فوق ذلك ثم خرج اليه عمّه المطّلب ليقبضه فيُلحِقَه ببلده وقومه فقالتْ له سَلمَى لستُ بمُرسلة معك فقال لها المطلب انى غير منصرف حتى أخرج به معى انّ ابن اخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ونحن اهل بيت شرف فى قومنا نَلِى كثيراً من أمورهم وقومُه وعشيرتُه وبلدُه خيرٌ له من الإقامة فى غيرهم اوكما قال وقال شيبة لعمّه المطّلب فيما يزعمون لستُ بمفارقها الا ان تأذنَ لى فأذنتْ له ودفعتْه اليه فاحتمله فدخل به مكّة مُردِفَه على بعيره فقالتْ قريشٌ عبدُ المطّلب

ابتاعه فبها سُمّي شيبة عبد المطّلب فقال المطّلب . ويحك إنما هو ابن أخي هاشم قدمتُ به من يثرب

وذكر الزبير أن شيبة إنما سُمّي عبد المطّلب لأن عمّه المطلب لما قدم به من يثرب ودخل به مكة ضحوةً مُردفه خلفه والناس في أسواقهم ومجالسهم فقاموا يرحّبون به ويقولون من هذا معك فيقول عبدٌ لي ابتعتُه بيثرب فلما كان العشية ألبسه حلّة ابتاعها له ثم أجلسه في مجلس بني عبد مناف وأخبرهم خبره فجعل بعد ذلك يخرج في تلك الحلّة فيطوف في سكك مكّة وكان أحسن الناس فيقولون هذا عبد المطّلب لقول المطلب فيه ذلك فلجّ اسمه عبدُ المطلب وتُرك شيبةُ وكان يقال لعبد المطلب شيبة الحمد وإنما سمّي شيبة لأنه كانت في ذؤابته شعرة بيضاء

ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمّه المطلب فأقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون من أمره فيه وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحدٌ من آبائه وأحبه قومه وعظم خطرُه فيهم ويقال كان يُعرف في وجه عبد المطلب نور النبوة وهيبة الملك

قال الزبير ومكارم عبد المطلب اكثر من ان أحيط بها كان سيّد قريش غير مدافع نفساً وأباً وبيتاً وجمالا وبهاءً وفعالا وكمالا فصلّى الله على المنتخب من ذريته المخصوص بأولية الفخر وأخريته وعلى آله الأكرمين وعترته وسلّم تسليماً

***

ذكر حفر عبد المطلب زمــزم

وما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم

هد بعدّم الحىرعں رىرم ابها ىئىر اسماعىل ں ادوهىم علىهما السلام
الىى سعاه الله حىں طمىٔ وهو صعىر وكانت حُرُهُـم دفىتها حىں طعىوا
مں مكه ىں صمىٔ ورىش إساف وىائله عىد سْحر ورىش فىعى امرها
كدلـك الى ان أمِر عىد المطلىـ ں هاسم ىحفْرها

ىذكر اىں اسحاق وعىره مں حدىث على ں ابى طالـ رصىه
وال عىد المطلب ابى لىائم فى الححـر اد أتانى آتٍ فعال احفْرطىىه
فلىـ وما طىىه ىم دهىـ عىى فلما كان العىـد رحعىتُ الى مضْحعى
فىمىـ فىه فحاءىى فعال احفر المصىونه فلت وما المصىونه ىم دهىـ
عىى فلما كان العد رحعىـ الى مصحعى فىمت فىه فحاءىى فعال احفىر
زمْزم فلت وما زمزم وال لا ىُىرق ابدا ولا ىُدمّ، ىسعى الححىح الاعظم،
وهى ىىں العرث والدم، عىد ىعرة العراب الاعصم، عىد فرىه النمل

فلما بُيّن له شانها ودُلّ على موضعها وعرف انه قد صُدِق غدا بمِعوَله ومعه ابنه الحارث ليس له يومئذ ولدٌ غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطيّ كبّر فعرفتْ قريش انه قد أدرك حاجته فقاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسماعيل وانّ لنا فيها حقّا فأشرِكْنا معك فيها قال ما أنا بفاعل انّ هذا الأمر خُصِصتُ به دونكم وأُعطِيتُه من بينكم قالوا له فأنصِفْنا فانّا غير تاركِيك حتى نخاصمك فيها قال اجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمْكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هُذَيم قال نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والأرض اذ ذاك مَفاوِز قال فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه وظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا مَن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انّا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوّف على نفسه
وأصحابه قال ما ذا ترون قالوا ما رأيُنا الا تَبَعٌ لرأيك فمُرْنا بما شئت
قال فانّي أرى ان يحفر كل رجل منكم حفْرته لنفسه بما بكم الآن
من القوّة فكلّما مات رجل دفعه أصحابُه في حفرته ثم واروه حتى
يكون آخركم رجلًا فضَيْعةُ رجل واحد أيسرُ من ضيعة ركب جميعاً
قالوا نِعْمَ ما أمرت به فقام كل رجل منهم فحفر حفرته ثم قعدوا
ينتظرون الموت عطشا ثم ان عبد المطلب قال لأصحابه والله انّ
القاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا
لعَجْزٌ فعسى الله ان يرزقنا ماءً ببعض البلاد ارتحلوا فارتحلوا حتى اذا
فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون تقدّم
عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثتْ به انفجرتْ من تحت
خُفّها عينٌ من ماءٍ عذب فكبّر عبد المطلب وكبّر أصحابه ثم نزل فشرب
وشرب أصحابه واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش
فقال هلمّ الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاءوا فشربوا واستقوا
ثم قالوا قد والله قُضي لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك

فى زمزم أبداً انّ الذى سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزمَ فآرجع الى سقايتك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلّوا بينه وبينها

وفى غير حديث على بن ابى طالب رضه ان عبد المطلب قيل له حين أُمِر بحفر زمزم

ثم ادْعُ بالماء الـرّواء غير الكَدِر

يَسقى حجيجَ الله فى كل مَبَرّ * ليس يُخاف منه شىء ما عَمَرْ

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك الى قريش فقال تعلموا انى قد أُمرتُ ان أحفر زمزم قالوا فهَلْ بُيِّن لك أين هى قال لا قالوا فآرجعْ الى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت فإن يك حقّاً من الله يُبيَّن لك وإن يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأُتِى فقيل له احفر زمزم انّك إن حفرتَها لم تندَمْ ، وهى تُراثٌ من أبيك الأعظم ، لا تُنزَف أبداً ولا تُذَمّ ، تسقى الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسَم ، يُنذَرُ فيها ناذرٌ لمنعم ، تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهى بين

الفرث والدم ، وزعموا انه حين قيل له ذلك قال وأين هي قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغرابُ غدا فغدا عبد المطلب ومعه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهم فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت اليه قريش حين رأوا جدّه فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحارث ذبّ عنّي فوالله لأمضينّ لما أُمرتُ به فلما عرفوا انه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر وكفّوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطيّ فكبّر وعرف انه قد صُدِق فلما تمادى به الحفرُ وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جُرهُم فيها حين خرجت من مكّة ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلمّ الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال أجعلُ للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على

شيء كان له ومن تخلّف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفتَ فجعل قدحين أصفرين للكعبة وجعل قدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح الذي يضرب بها عند هُبَل وهبل صنم في جوف الكعبة وهو أعظم أصنامهم وهو الذي عنى ابو سفيان بن حرب لمّا نادى يوم أُحُد أعْلُ هبل اى اظهرْ دينك وقام عبد المطلب يدعو الله وضرب صاحبُ القداح فخرج الأصفرين على الغزالين وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلّف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أوّل ذهب حُلِيتْه الكعبةُ فيما يزعمون

وذكر الزبير ان عبد المطلب لما أنبط الماء في زمزم حفرها في القرار ثم بحرها حتى لا تنزف ثم بنى عليها حوضاً فطفق هو وابنه ينزعان عليها فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج وكان قوم حَسَدَة من قريش لا يزالون يكسرون حوضه ذلك بالليل ويغتسلون فيه ويُصلحه عبد المطلب حين يصبح فلما أكثروا فساده دعا عبد

المطلب ربّه فقيل له فى المنام قل اللهمّ انّى لا أُحِلُّها لِمغتسل وهى لِشارب حِلٌّ وبلٌّ فقام عبد المطلب فى المسجد فنادى بالذى رأى ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه احدٌ من قريش او يغتسل فيه الّا رُمِىَ فى جسده بداءٍ حتى تركوا حوضه ذلك وسقايته فرقاً

وذكر الزبير ايضا ان عبد المطلب لما حفر زمزم وأدرك منها ما ادرك وجدت قريش فى انفسها ممّا أُعطِى فلقيه خُوَيلد بن اسد بن عبد العُزّى فقال يا ابن سَلمَى لقد سُقِيتَ ماءً رِغدا ونثلت عاديةً حُتُداً قال يا ابن اسد أمَا انّك تشرك فى فضلها والله لا يساعفنى احدٌ عليها ببِرّ ولا يقوم معى بأزر الّا بذلتُ له خير الصهر فقال خويلد بن اسد

أقول وما قولى عليهم بِسُبّةٍ * اليك ابن سَلمَى انت حافِرُ زَمْزَمِ

حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر * وركْضة جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطلب ما وجدتُ أحداً ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد

ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئاراً بمكّة وكانت خارجاً من مكة آبار حفائرُ قديمة من عهد مُرّة بن كعب وكلاب بن مرّة وكبراء قريش الاوّل منها يشربون فعفّت زمزم على تلك البئار التي كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلّها وعلى سائر العرب

وكان عبد المطلب فيما يزعمون والله اعلم قد نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم لئن وُلِد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لَينحرنّ أحدَهم لله عند الكعبة فلما توافى بنوه عشرة وعرف انهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذْره ودعاهم الى الوفاء به فأطاعوه وقالوا كيف نصنع قال ليأخذْ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم آئتونى ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هُبَل فى جوف الكعبة وكان هبل على بئر فى جوف الكعبة يُجمَع فيها ما يُهدَى للكعبة وكان عند هبل قِداحٌ سبعة بها يضربون على ما يريدون والى ما تخرج به

القداح يسهون في أمورهم فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بنيّ هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذي نذر وأعطى كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أحبّ بني أبيه اليه فيما زعموا فكان عبد المطلب يرى ان السهم اذا أخطأه فقد أشوى فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضرب صاحبُ القداح فخرج القداح على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به الى إساف ونائلة ليذبحه فقامت اليه قريش من أنديتها فقالوا ما ذا تريد يا عبد المطلب قال أذبحُه فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه ابدا حتى تُعذِر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله ابن اخت القوم امه وأمّ ابيه الزبير وأبي طالب فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمران بن عائذ بن عمر بن مخزوم والله لا تذبحه ابدا حتى تعذر فيه وإن كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه لا تفعلْ وانطلِقْ به الى الحجاز فانّ

بها عرّافة لها تابعٌ فتسئلها ثم انت على راس امرك إن أمرتك بذبحه ذبحته وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرجٌ قبلته فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها فيما يزعمون بخيبر فركبوا حتى جاؤوها فسألوها وقصّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما اراد به ونذره فيه فقالت لهم ارجعوا عنّى اليوم حتى ياتينى تابعى فأسئله فرجعوا من عندها فلما خرجوا من عندها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم الدية فبكم قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قرّبوا صاحبكم وقرّبوا عشراً من الابل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح فإن خرجتْ على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربُّكم وإن خرجتْ على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربّكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما اجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قرّبوا عبد الله وعشرا من الابل وعبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل عشرين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا

فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل وما زالوا كذلك يزيدون عشرا فعشرا من الابل ويضربون عليها كل ذلك يخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت قريش قد انتهى رضى ربّك يا عبد المطلب فزعموا ان عبد المطلب قال لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرّات فضربوا على عبد الله وعلى الابل وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الابل ثم عادوا الثانية والثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله فخرج القدح في كلتيهما على الابل فنُحرت ثم تركت لا يُصدّ عنها انسانٌ ولا يُمنع ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله فمرّ به فيما يزعمون على امراة من بني اسد بن عبد العُزّى وهي اخت ورقة بن نوفل بن اسد وهي عند الكعبة

قال الراوي وكان عبد الله احسن رجل رؤي في قريش قط فقالت له حين نظرت الى وجهه اين تذهب يا عبد الله قال مع ابي قالت لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع عليّ الآن قال انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه

فخرج به عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن
زُهرة بن كلاب بن مرّة وهو يومئذ سيد بني زهرة سنّا وشرفا فزوّجه
ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ افضل امراة في قريش نسبا
وموضعا فزعموا انه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها
فحملت برسول الله صلعم ثم خرج من عندها فأتى المراة التي عرضت
عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين عليّ اليوم ما عرضت
بالامس قالت له فارقك النورُ الذي كان معك بالامس فليس
لي بك اليوم حاجةٌ وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل
وكان قد تنصّر واتّبع الكتب انه كائن في هذه الامة نبيّ وقد قال
ان عبد الله انما دخل على امراة كانت له مع آمنة ابنة وهب وقد
عمل في طين له وبه آثار من الطين فدعاها الى نفسه فأبطأت عليه
لما رأت به من اثار الطين فخرج من عندها فتوضّأ وغسل ما كان
به من ذلك ثم خرج عامدا الى آمنة فمرّ بها فدعته الى نفسها
فأبى عليها وعمد الى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملت بمحمد
رسول الله صلعم ثم مرّ بامراته تلك فقال لها هل لك قالت

لا مررتَ بى و بين عينيك غرّةٌ فدعوتُك فأبيتَ ودخلتَ على آمنة فذهبتْ بها فزعموا ان امرأته تلك كانت تحدّث انه مرّ بها وبين عينيه مثل غرّة الفَرَس قالت فدعوتُه رجاء ان تكون تلك لى فأبى علىّ ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلعم فكان رسول الله صلعم أوسط قومه نسباً وأعظمهم شرفاً من قبل ابيه وأمّه ويزعمون فيما يتحدّث الناس والله اعلم ان آمّه كانت تحدّث انها أُتِيَتْ حين حملتْ به فقيل لها انكِ قد حملتِ بسيّد هذه الأمّة فاذا وقع الى الارض فقولى أُعيذُه بالواحد من شرّ كلّ حاسد، ثم سمّيه محمداً، ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ابو رسول الله صلعم ان هلك وأمّه حامل به هذا قول ابن اسحاق وخالفه كثير من العلماء فقالوا ان النبى صلعم كان فى المهد حين توفى ابوه ذكره الدولابى وغيره

وذكر ابن ابى خيثمة انه كان ابن شهرين وقيل اكثر من ذلك والله اعلم

وولد رسول الله صلعم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول عام الفيل قيل بعد الفيل بخمسين يوما

وحكى الواقدى عن سليمان بن سُحيم قال كان بمكّة يهودى يقال له يوسف فلما كان اليوم الذى وُلد فيه رسول الله صلعم قبل ان يعلم به احدٌ من قريش قال يا معشر قريش قد وُلد نبى هذه الامّة فى بحّرتكم هذه فى بلدتكم هذه الليلة وجعل يطوف فى انديتهم فلا يجد خبراً حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له وُلد لابن عبد المطلب غلام فقال هو نبى والتوراة

وقال حسان بن ثابت والله انى لَغلام يَفَعَةٌ ابنُ سبع سنين او ثمان أعقِلُ كلّما اسمع اذ سمعتُ يهوديّاً يصرخ على أُطَمة بيَثْرِب يا معشر يهود حتى اذا اجتمعوا قالوا له ويلك ما لك قال طلع الليلةَ نجم احمد الذى وُلد به

وذكر ابن السكن من حديث عثمان بن ابى العاصى عن امّه فاطمة بنت عبد الله انها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله

صلعم لىىلاً قالت وما شى لاطر الىه من الىيت الا ىورٌ وانى لأنظر الى النحوم ىدنو حتى انى لأقول لىقعىنّ علىّ

وذكر ىحىىّ ىں محلّد فى ىفسىره ان ابليس رنّ ارىع رنّات رنّة حىں لُعں ورنّة حىں أُهبط ورنّة حىں وُلد رسول الله صلعم ورنّة حىں أُىزلت فاىحة الكىاب

قال ابن اسحاق فلما وضعته أُمّه أرسلت الى حدّه عىد المطلب انه قد وُلد لك غلام فأتِه فانظُرْ الىه فأتاه ونظر الىه وحدّثته ىما رأت حىں حملت ىه وما قىل لها فىه وما أُمِرتْ ان تُسمّىه

ىزعمون ان عىد المطلب احده فدحل ىه الكعىة فقام ىدعو الله وىشكر له ما اعطاه ثم حرح ىه الى أمّه فدفعه اليها

وىروى ان عىد المطلب انما سمّاه محمدا لرؤىا رآها زعموا انه أُرى فى منامه كأنّ سلسلة من فضّة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كانّها شجرة على كل ورقة منها نورٌ وإذا اهل المشرق والمغرب ىتعلّقون ىها فقصّها فعُبّرت له ىمولود ىكون من صُلبه ىتّبعه اهل

المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سمّاه محمداً مع ما حدثته به أمّه ولا يُعرف في العرب احدٌ تُسمّى بهذا الاسم قبله سوى نفر سمّوا به من اجله منهم محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي ومحمد بن أحيحة بن الجلاح وآخر من ربيعة وكان أباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك ممّن كان عنده علمٌ بالكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي صلعم وتقارُب زمانه وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً فنذر كل واحد منهم إن وُلد له ذَكَرٌ ان يسمّيه محمداً ففعلوا ذلك رجاءً ان يكون هو والله اعلم حيث يجعل رسالته

وقد وقع في موضع اخر ان هولاء النفر كانوا اربعة ولم يذكر فيهم محمد بن أحيحة وجدتهم مخالف لما ذكرناه خلافاً يسيرا

وروينا من حديث عبد الملك بن ابي سَوِيّة عن ابيه عن جدّه قال سالتُ محمد بن عديّ بن ربيعة كيف سمّاك ابوك محمداً فقال سالتُ ابي عمّا سالتني عنه فقال خرجتُ رابعَ اربعة من بني تميم انا فيهم وسفيان بن مجاشع بن دارم وأسامة بن

مالك بن جنيدق ويزيد بن ربيعة نُرِيد ابن جفنة ملك غسّان فلما شارفنا الشام نزلنا الى غدير عليه شجرات وقربه شخصٌ قائم فتحدّثنا فاستمع كلامنا وأشرف علينا فقال ان هذه لغةٌ ما هى لغة اهل هذه البلاد فقلنا نحن قوم من مُضَر قال من اىّ المضريين قلنا من خِندِق قال اما انه يُبعث فيكم وشيكاً نبىٌّ خاتم النبيين فسارعوا اليه وخذوا بحظّكم منه ترشدوا فقلتُ له ما اسمه قال محمد فرجعنا من عند ابن جفنة فوُلد لكلّ رجل منّا ابنٌ فسمّاه محمداً والتمس لرسول الله صلعم الرُضَعاء فاسترضع له امرأةٌ من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت ابى ذُؤَيب وكانت تحدّث انها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها تُرضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت وفى سنة شهباءَ لم تُبق لنا شيئاً قالت فخرجتُ على أتانٍ لى قمراء معنا شارفٌ لنا والله ما تبضّ بقطرة وما ننام ليلنا اجمع مع صبيّنا الذى معنا من بكائه من الجوع ما فى ثدييّ ما يُغنيه وما فى شارفنا ما تُغذّيه ولكنّا نرجو الغيثَ والفرج فخرجتُ على اتانى تلك ولقد أدمتُ بالركب حتى شقّ ذلك

عليهم ضعفاً وعجفاً حتى قدمنا مكّة نلتمس الرضعاء فما منّا امرأة الا وقد عُرض عليها رسول الله صلعم فتأباه اذا قيل لها انه يتيمٌ وذلك أنّا انما كنّا نرجو المعروف من ابى الصبىّ فكنّا نقول يتيمٌ ما عسى ان تصنع امّه وجدّه فكنّا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعاً غيرى فلما اجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبى والله انى لأكرَهُ ان ارجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعاً والله لاذهبنّ الى ذلك اليتيم فلآخذنّه قال لا عليكِ ان تفعلى عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبتُ اليه فاخذتُه وما حملنى على أخذه الا انى لم اجد غيره فلما اخذتُه رجعتُ به الى رحْلى فلما وضعتُه فى حجرى اقبل عليه ثدياىَ بما شاء من لبن فشرب حتى روى وشرب معه اخوه حتى روى ثم ناما وما كنّا ننام معه قبل ذلك وقام زوجى الى شارفنا تلك فاذا انها لحافلٌ فحلب منها ما شرب وشربتُ حتى انتهينا ريّاً وشِبعاً فبتنا بخير ليلة يقول صاحبى حين اصبحنا تعلّمِى والله يا حليمة لقد اخذتِ نسمة مباركة قلتُ والله انى لأرجو ذلك ثم خرجنا وركبتُ اتانى

وحملته عليها معي فوالله لَقطعتُ بالركب ما يقدر عليّ شيء من
حُمُرهم حتى ان صواحبي لَيَقُلْن لي يا بنت ابي ذُؤيب ويحك
اربعي علينا أليست هذه اتانك التي كنت خرجتِ عليها فأقول
لهنّ بلى والله انها لهي فيقُلْنَ والله ان لها لشأناً قالت ثم قدمنا
منازلنا من بني سعد وما اعلم ارضاً من ارض الله أجدب منها فكانت
غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شِباعاً لُبّناً فنحلب ونشرب وما
يحلب انسان قطرةً من لبن ولا يجدها في ضرْع حتى كان الحاضر
من قومنا يقولون لرُعيانهم ويْلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابي
ذؤيب فتروح اغنامُهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبّنا
فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سَنَتاه و فصلْته
وكان يشبّ شبابا لا يشبّه الغلمانُ فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً
جفْراً فقدمنا به على امّه ونحن أحرصُ شيء على مكثه فينا لما كنّا نرى
من بركته فكلّمنا امّه وقلتُ لها لو تركتِ بنيّ عندي حتى يغلظ
فاني اخشى عليه وباء مكّة فلم نزل بها حتى ردّته معنا فرجعنا به فوالله
انه بعد مقدمنا به بأشهُر مع اخيه لفي بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا اذ اتانا

اخوه يشتدّ فقال لي ولأبيه ذلك أخي القرشي قد اخذه رجلان
عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقّا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجتُ
انا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهُه قالت فالتزمتُه والتزمه ابوه
فقلنا ما لك يا بُنيّ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني
وشقّا بطني فالتمسا فيه شيئا ما ادري ما هو قالت فرجعنا به الى خبائنا
وقال لي ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أُصيب
فألحقيه بأهله قبل ان يظهر ذلك به قالت فاحتملناه فقدمنا به على
امّه فقالت ما اقدمك به يا ظئر ولقد كنتِ حريصة عليه وعلى مكثه عندك
قلتُ قد بلغ اللهُ بابني وقضيتُ الذي عليّ وتخوّفت الاحداث عليه
فأدّيته عليك كما تحبّين قالت ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك
قالت فلم تدعني حتى اخبرتُها قالت افتخوّفت عليه الشيطانَ
قلتُ نعم قالت كلّا والله ما للشيطان عليه سبيلٌ وان لبُنيّ لشأنا افلا
اخبرك خبره قلت بلى قالت رأيتُ حين حملتُ به انه خرج منّي
نورٌ اضاء لي قصور بُصرى من ارض الشام ثم حملتُ به فوالله ما رأيت

من حمل قط كان اخف ولا ايسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض رافع راسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدةً

ويروى ان نفرا من اصحاب رسول الله صلعم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك قال نعم انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء لها قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بعشرة فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من امته فوزنني بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها

وكان رسول الله صلعم يقول ما من نبي الا وقد رعى الغنم قيل وانت يا رسول الله قال وانا وكان يقول لأصحابه انا أعربكم انا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر

وزعم الناس فيما يتحدّثون والله اعلم ان امّه السعدية لما قدمتْ به مكّة أضلّها فى الناس وهى مُقبِلة به نحو اهله فالتمسته فلم تجده فأتتْ عبدَ المطلب فقالت له انى قدمتُ بمحمّد هذه الليلة فلما كنتُ بأعلى مكّة أضلّنى فوالله ما ادرى اين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله ان يَردّه فيزعمون انه وجده وَرَقةُ بن نوفل ورجلٌ اخر من قريش فأتيا به عبدَ المطلب فقالا هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة فأخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة ويعوّذه ويدعو له ثم ارسل به الى امّه آمنة

وذكر بعض اهل العلم ان ممّا هاج امّه السعدية على ردّه مع ما ذكرتْ لأمّه مما اخبرتْها عنه ان نفرًا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعتْ به بعد فطامه فنظروا اليه وسالوها عنه وقلّبوه ثم قالوا لها لَنأخُذَنّ هذا الغلام فلنَذهبَنّ به الى ملكنا وبلدنا فان هذا غلامٌ كائنٌ له شأنٌ نحن نعرف امره فلم تَكَدْ تنفلت به منهم

وذكر الواقدىّ أن امّه حليمة السعدية بعد ان رجعتْ به من عند امّه حضرت به سُوقَ ذى المجاز وبها يومئذ عرّافٌ من هوازن يُؤتى

الله بالصبيان سطر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلعم والى الحمرة فى عينيه والى خاتم النبوة صاح يا معشر العرب واجتمع اليه اهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبيّ وانسلّت به حليمة فجعل الناس يقولون اىّ صبيّ هو فيقول هذا الصبي فلا يرون شيئا وقد انطلقت به امّه فيقال له ما هو فيقول رايت غلاماً وآلهته ليغلبنّ اهل دينكم وليكسرنّ أصنامكم وليظهرنّ أمره عليكم فطُلب بعكاظ فلم يوجد ورجعت به حليمة الى منزلها فكانت بعد هذا لا تعرضه لأحد من الناس وقد نزل بهم عرّاف فأخرج اليه صبيان اهل الحاضر وأبت حليمة ان تخرجه اليه الى ان غفلت عن رسول الله صلعم فخرج من المظلّة فرآه العرّاف فدعاه فأبى رسول الله صلعم ودخل الخيمة فجهد بهم العراف ان يخرج اليه فأبت فقال هذا نبيّ

وقد عرضه عمّه ابو طالب على عائف من لهب كان اذا قدم مكة اتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم فأتاه به ابو طالب وهو غلام مع من ياتيه فقال فنظر الى رسول الله صلعم ثم شغله عنه شيء فقال ابن الغلام عليّ به فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيّبه عنه فجعل

يقول و ئلكم ردّوا على الغلام الذى رايتُ آنفاً فوالله ليكوننّ له شأن وانطلق به ابوطالب

وكانت حليمة بعد رجوعها به من مكّة لا تدعه ان يذهب مكاناً بعيداً فغفلت عنه يوماً فى الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت فى هذا الحرّ فقالت اختُه يا امّاه ما وجد اخى حرّاً رايتُ غمامةً تظلّه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع تقول امّها احقّ يا بُنيّة قالت اى والله و ان تقول حليمة اعوذ بالله من شر ما يحذر على ابنى

وكان ابن عباس رضه يقول رجع الى امّه وهو ابن خمس سنين وكان غيره يقول رُدّ اليها وهو ابن اربع سنين هذا كلّه من الواقدى

قال ابن اسحاق فكان رسول الله صلعم مع امّه آمنة وجدّه عبد المطلب فى كلاءة الله وحفظه ويُنبته الله نباتاً حسنا لما يريد به من كرامته فلما بلغ رسول الله صلعم ست سنين توفيت امّه بالأبواء بين مكة والمدينة وكانت قد قدمت به على اخواله من بنى عدى بن النجّار تُزيره اياهم فماتت وهى راجعة به الى مكّة وكان رسول الله

صلعم مع جدّه عبد المطلب وكان يُوضَع لعبد المطّلب فراش في ظلّ الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه احدٌ من بنيه اجلالاً له فكان رسول الله صلعم يأتي وهو غلام جفرٌ حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامُه ليؤخّروه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشأناً ثم يُجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسرّه ما يراه يصنع

قالوا وكانت أم أيمن تحدّث تقول كنتُ أحضن رسول الله صلعم فغفلتُ عنه يوما فلم أدرِ الا بعبد المطلب قائماً على راسي يقول يا بركة قلتُ لبّيك قال تدرين اين وجدتُ ابني قلتُ لا ادرى قال وجدتُه مع غلمان قريباً من السدرة لا تغفلي عن ابني فانّ اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبيّ هذه الامّة وأنا لا آمن عليه منهم وكان لا ياكل طعاما الا قال عليّ بابني فيُؤتى به اليه

وحدث كعب بن مالك عن شيوخ من قومه انهم خرجوا عمّاراً وعبد المطلب يومئذ حيّ بمكّة ومعهم رجل من يهود تيماء صحبهم للتجارة يريد مكّة واليمن فنظر الى عبد المطلب فقال انّا نجد في

كتابنا الذي لم يبدل انه يخرج من ضئضئي هذا نبيٌّ يقتلنا وقومه قتل عاد

وجلس عبد المطلب يوما في الحجر وعنده أسقف نجران وكان صديقا له وهو يحادثه ويقول انا نجد صفة نبيّ بقي من ولد اسمعيل هذا مولده من صفته كذا وكذا وأتى رسول الله صلعم على هذا الحديث فنظر اليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال هو هذا فقال الأسقف ما هذا منك قال ابني قال الأسقف لا ما نجد اباه حيّاً قال عبد المطلب هو ابن ابني مات ابوه وامّه حُبلى به قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه

وخرج رسول الله صلعم يوما يلعب مع الغلمان حتى بلغ الردْم فرآه قوم من بني مُدْلج فدعوه فنظروا الى قدميه والى اثره ثم خرجوا في طلبه حتى صادفوا عبد المطلب قد لقيه فاعتنقه فقالوا لعبد المطلب ما هذا منك قال ابني قالوا فاحتفظْ به فانا لم نرَ قدما قطّ أشبه بالقدم الذي في المقام من قدمه فقال عبد المطلب لأبي طالب اسمعْ ما يقول هؤلاء فكان ابو طالب يحتفظ به

وقد روى ابو داوود السجستاني من حديث ابن عباس رضه قال ابى نفر من قريش امرأةً كاهنة فقالوا اخبرينا بأقربنا شبهاً بصاحب هذا المقام فقالت ان جررتم على السهلة عباءةً ومشيتم عليها أنبأتكم بأقربكم شبهاً به فجرّوا عليها عباءةً ثم مشوا عليها فرأت أثر قدم محمد صلعم فقالت هذا والله اقربكم شبهاً به

قال ابن عباس فمكثوا بعد عشرين سنة ثم بُعث محمد صلعم

ولما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة وذلك بعد مولد النبي صلعم أتته وفود العرب وأشرافها وعرفوا له تهنئته ويمدحونه ويذكرون ما كان من حسن بلائه وطلبه بثار قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم في اناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء فأذن لهم فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه واستأذنه في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال عبد المطلب ان الله قد احلّك ايها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً وأنبتك نباتاً طابت أرومته وعزّت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم موطن وأطيب

معدن، وأنت أيها الملك رأسُ العرب الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومَعقِلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفُك خير سلف، وأنت لنا منه خير خلف، فلن يخمل من أنت سلفُه، ولن يهلك من أنت خلفه، نحن أيها الملك أهلُ حرمِ الله وسدنةُ بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا، بكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفدُ التهنئة، ولا وفد المرزئة، فقال له مَن وأيّهم أنت أيها المتكلم فقال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم قال أدْنُه فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال لهم مرحبا وأهلاً قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم وأنتم أهل الليل والنهار ولكُم الكرامة ما أقمتم والحِباء إذا ظعنتم ثم انهضوا إلى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهراً لا يَصِلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فقال له إني مفوِّضٌ إليك من سرّ علمي سرّاً لو يكون غيرك لم أَبُح له به ولكني رأيتُك معدنه فأطلعتُك عليه فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغُ أمرَه، إني أجِدُ في الكتاب المكنون،

والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا، خبراً
عظيماً، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامّة،
ولرهطك كافّة، ولك خاصّة، فقال له عبد المطلب مثلك ايها
الملك سرّ وبرّ فما هو فداك اهل الوبر زُمَراً بعد زمر، فقال
له اذا وُلد بتهامة، غلامٌ بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم
به الزعامة، الى يوم القيامة، فقال له عبد المطلب لقد أُبْتَ بخير ما
آبَ بمثله وافد ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته
اياي ما ازدادُ به سرورا فقال له ابن ذي يزن هذا حينه الذي يُولد
فيه او قد وُلِدَ، اسمه محمدٌ، يموت ابوه وأمّه، ويكفله جدّه وعمّه، قد
ولدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعلٌ له منّا أنصارا، يعزّ بهم أولياءه،
ويذلّ بهم أعداءه، يضرب بهم الناسَ عن عُرُض، ويستبيح بهم كرائم
الأرض، ويكسر الصلبان، ويخمد النيران، ويعبد الرحمان، ويدحر
الشيطان، قوله فصْل، وحكمه عدْل، يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن
المنكر ويبطله، فقال له عبد المطلب، عزّ جدُّك، وعلا كعبُك، ودام
مُلكُك، وطال عمرك، فهل الملك ساري بإفصاح، فقد أوضح لي

ىعض الافصاح، فقال لـه ابن ذى ىرن، والىىت ذى الحُجُب، والعلامات والنُصُب، انّك ىا عبد المطلب، لَجدّه عىر الكذِب، فخرّ عبد المطلب ساجداً فقال لـه ارفعْ راسكْ، ثلج ىدرك، وعلا امرك، هل أحسَسْتَ ىشىء ممّا ذكرتُ لكْ، فقال عبد المطلب كان لى ابن وكنت ىه راعىاً فزوّجتُه كرىمةً من كرائم قومه فجاءت ىغلام فسمّىتُه محمداً فمات ابوه وأمّه وكفلتُه انا فقال له ابن ذى ىزن انّ الذى قلتُ لك كما قلتُ فاحفظ ابنك واحذرْ علىه الىهود فانّهم أعداؤه ولن ىجعل الله علىه سىىلا واطْو ما ذكرتُ لك دون هؤلاء الرهط الذىن معك فانّى لا آمن ان ىدخلهم النفاسة من ان ىكون لكم الرئاسة فىطلبون لـه الغوائل و ىنصبون له الحبائل وهُم فاعلون وأبناؤهم ولولا انى أعلم ان الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرتُ بخىلى ورَجْلى حتى أصىر ىىثرب دار مُلكه فانّى اجدُ فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان ىىثرب استحكام أمره وأهل النصرة لـه وموضع قبره ولولا انى اتّقى علىه الآفات واحذرُ علىه العاهات لأعلنتُ على حداثة سنّه ىذكره ولاوطىء صارقُ ذلك الىك من غىر تقصىر ىمن معك ثم

أمر لكلّ رجل من القوم بعشرة أعبُد وعشرة اماءٍ وحِلّس من البرود ومائة من الإبل وخمسة أرطال ذهباً وعشرة أرطال فضّة وكرش مملوءة عنبراً وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك كلّه وقال له اذا حال الحول فائتني فمات ابن ذي يزن قبل ان يحول الحول وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول يا معشر قريش لا يغبطني احدُكم بجزيل عطاء الملِك وإن كثر فانّه الى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكرُه وفخْره وشرفه فاذا قيل له ما ذلك قال لهم ستعلمون نبأه ولو بعد حين وحديث سيف بن ذي يزن هذا عن غير ابن اسحاق وهو عندنا بالاسناد

وقد تقدّم ما ألقاه تبّع الاحبار الى ملوك حِميَرَ وأبنائهم من امر رسول الله صلعم وان علْم سيف بذلك انما كان من تلك الجهة والله اعلم

ثم ان عبد المطلب بن هاشم هلك عن سنّ عالية مختلف في حقيقتها أدْناها فيما ادّعى الحقّ ووقفتُ عليه خمس وتسعون سنة ذكره الزبير وأعلاها فيما ذكره الزبير ايضا عن نوفل بن عُمارة قال كان عبد بن

الأشرف بيثرب عبد المطلب وبلغ عمه مائة وعشرين سنة وبقي عبد المطلب بعده عشرين سنة

وقال محمد بن سعيد بن المسيّب رح لمّا حضرت الوفاة عبدَ المطلب وعرف انه ميتٌ جمع بناته وكُنّ ستًّا صفيّة وبرّة وعاتكة وأم حكيم البيضاء وأُمَيمة وأَرْوَى فقال لهنّ ابكين عليّ حتى أسمع ما تَقُلْن قبل ان أموت فقالت كل واحدة منهنّ شعرا ترثيه به وأنشدته اباه فأشار برأسه وقد أُصمِتَ ان هكذا فابكينني

وذكر ابن اسحاق تلك الأشعار وقال ابن هشام انه لم ير احداً من اهل العلم بالشعر يعرفها

وقال ابن اسحاق وقال حُذيفة بن غانم اخو بني عدي بن كعب يبكي عبد المطلب بن هاشم ويذكر فضله وفضل قُصَيّ على قريش وفضل ولده من بعده عليهم

أعَينيّ جُودا بالدموع على الصدر * ولا تسأما أُسقيتما سَبَلَ القطر
وجودا بدمع واسفحا كلّ شارق * بُكاءَ امرئٍ لم يشوه نائبُ الدهر
وسُحّا وجُمّا واسجما ما بقيتما * على ذي حياء من قريش وذي ستر

على رجلٍ جلدِ القوى ذي حفيظة * جميل المُحَيّا غير نِكْس ولا هذْر

على خير حافٍ من مَعَدّ وناعل * كريم المساعي طيّب الخِيم والنجْر

على شيبة الحمد الذي كان وجْهُه * يُضيءُ سواد الليل كالقمر البدر

وساقي الحجيج ثم للخير هاشم * وعبد مناف ذلك السيّد الفهر

طَوَى زمزماً عند المقام فأصبحَتْ * سقايتُه فخراً على كل ذي فخر

لِيَبْكِ عليه كلّ عانٍ بكُرْبَةٍ * وآل قُصَيّ من مُقِلّ وذي وفر

بنوه سَراةٌ كَهْلُهُم وشبابُهم * تَفلّقُ عنهم بيضةُ الطائر الصقر

قُصَيّ الذي عادَى كنانة كلَّها * ورابط بيت الله في العُسْر واليُسْر

فإن تك غالته المنايا وصرْفُها * فقد عاش ميمونَ النقيبة والأمر

وأبقَى رجالاً سادةً غير عُزّلٍ * مصاليتَ أمثال الرُّدَينيّة السُمْر

أبو عُتبة المُلْقِي إليّ حِباءَه * أغَرّ هِجَانُ اللون من نَفَرٍ غُرّ

وحمزةُ مثْلُ البدر يهتزّ للنّدى * نَقِيُّ الثياب والذمام من الغدر

وعبد مناف ماجد ذو حفيظة * وصولٌ لذي القربى رحيمٌ بذي الصهر

كُهولُهمُ خير الكهول ونَسْلُهم * كنَسْل الملوك لا تَبورُ ولا تَحْري

متى ما تُلاقي منهمُ الدهرَ نائبًا * تجِدْه بإحرازٍ اوائلهُ تجري
هُمُ مَلَكوا البطحاء مجدًا وعِزّةً * اذا استُبِقَ الخيراتُ في سالف العصر
وهُمْ حضروا والناسُ بادٍ فريقُهم * وليس بها الا شيوخ بني عمرو
بَنَوها ديارًا جمّةً وطَوَوا بها * بئارًا تَسُحّ الماءَ من ثَبَجٍ بحر
لكي يشرب الحجّاجُ منها وغيرهم * اذا ابتدروها صُبْحَ تابعة النحر
ثلاثة ايام تظلّ ركابهم * مُخيّسةً بين الأخاشب والحِجْر
وقِدْمًا غنينا قبل ذلك حِقْبةً * ولا نستقي الا بخُمٍّ او الحَفْر
هُمُ يغفرون الذنبَ يُنقَمُ دونه * ويعفون عن قول السفاهة والهُجْر
أخارجُ امّا أهلكنّ فلا تزل * لهم شاكرًا حتى تُغيَّبَ في القبر
ولا تنسَ ما أسدى ابنُ لبنى فإنّه * قد أسدى يدًا محقوقةً منك بالشكر
وأنت ابنُ لبنى من قُصَيٍّ اذا انتموا * بحيث انتهى قصدُ الفؤاد من الصدر
وأمّك سرٌّ من خزاعة جوهرٌ * اذا حصّل الأنسابَ يومًا ذوو الخُبْر
الى سبأ الأبطال تُنمى وتنتمي * وأكرمْ بها منسوبةً في ذُرى الزُهْر

ابن لُبنى هو ابو لهب عبد العُزى بن عبد المطلب وهو ابو عتبة الذي

ذكره قبل فى هذا الشعر وكانت امّه امراة من خزاعة اسمها لُبْنَى بنت هاجر ولذلك قال وأمّك سِرٌّ من خزاعة ونمّاها الى سباء الأبطال بناءً على ما قدمناه فى انتماء خزاعة الى عمرو بن عامر من غسّان وانتفائهم من المُضَرِيّة والبد التى ذكرها هذا الشاعر انها ترتّبت عليه لأبى لهب

وذكر ابن اسحاق انه كان أخذ بغُرم اربعة آلاف درهم بمكّة فوقف بها فمرّ به ابو لهب فافتكّه وسبب الزبير هذا الشعر لحذافة بن غانم ودليله قوله أخارِجَ إمّا أهلِكَنّ البيت فانّ خارجة هو ابن حذافة وحُذَيفة الذى نسب ابن اسحاق اليه الشعر هو اخو حذافة ولا نعرف له ابنٌ يُسَمّى خارجة وانما هو والد ابى جهم بن حذيفة واسم ابى جهم عبيد وهو الذى بعث اليه رسول الله صلعم بالخميصة ذات الأعلام التى الهته عن صلاته وأمر ان يؤتى بأنبجانية

ولما هلك عبد المطلب ولى زمزم والسقاية عليها ابنه العبّاس وهو يومئذ من أحدث اخوته سنًّا فلم تزل اليه حتى قام الاسلام وهى بيده فأقرّها له رسول الله صلعم له على ما مضى من ولايته وكان رسول الله صلعم يُجلّه إجلال الولدِ الوالدَ ولذلك يقول كُرَيبٌ مولى ابن عباس

وما سعى لرسول الله صلعم ان نُجلّ الا والداً او عمّا فصلهُ خصّ اللهُ بها العباسَ دون من سواه وقال صلعم احفظونى فى عمّى العباس فانّ عمّ الرجل صِنْوُ أبيه وطلع يوماً على رسول الله صلعم فقال هذا العباس أجوَدُ قريش كفّا وأوصلها ولم يزل العباس سيّداً فى الجاهلية والاسلام يمنع الجارَ ويبذل المال ويعطى فى النوائب وقال الزبير وكان يقال كان للعباس بن عبد المطلب ثوب لعارى بنى هاشم وجفنة لجائعهم ومقطرة لجاهلهم والمقطرةُ خشبةٌ ذات سلسلة يُحبَس فيها الناس وفى ذلك يقول ابراهيم بن على بن هرمة

وكانت لِعبّاسٍ ثلاثٌ نَعُدّها * اذا ما جنابُ الحىّ أصبح أشهَبا
فسلسلةٌ تنهى الظلوم وجفنةٌ * تُباحُ فيكسوها السنام المرعّبا
وحُلّةُ عَصْب ما تزال معدّةً * لِعارٍ ضريكٍ ثوبه قد تهذّبا

وقال ابن شهاب لقد جاء الله بالاسلام وإنّ جفنة العباس لتدور على فقراء بنى هاشم وانّ قيده وسوطه لَمعدّ لِسفهائهم قال وكان ابن عُمَر يقول هذا والله السرف نُطعِم الجائع ونؤدّب السفيه وكان ابو

بكر وعُمَر رصهما فى ولابهما لا تلقى العباس واحدٌ سهما وهو راكب الا سرل من دابته وقادها ومشى مع العباس حتى تبلغ منزله أو مجلسه فىفارقه ١

وبقى رسول الله صلعم بعد مهلك جدّه عبد المطلب مع عمّه ابى طالب فكان عبد المطلب يوصيه به فيما يزعمون وذلك ان عبد الله ابا رسول الله صلعم وأبا طالب اخوان لأب وأمّ فكان ابو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلعم بعد جدّه فكان اليه ومعه

وذكر الواقدى ان ابا طالب كان مُقِلًّا من المال وكانت له قطعة من الابل يكون بعُرَنة فيبدو اليها فيكون فيها ويؤتى بلبنها اذا كان حاضراً بمكّة فكان عيال ابى طالب اذا اكلوا جميعا او فُرادى لم يشبعوا وإذا اكل معهم رسول الله صلعم شبعوا فكان ابو طالب اذا اراد ان يغدّيهم او يعشّيهم يقول كما انتم حتى يأتى ابنى فيأتى رسول الله صلعم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم وإن كان لبناً شرب رسول الله صلعم أوّلهم ثم يتناول العيال القعب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم من القعب الواحد وإن كان احدهم ليشرب قعباً وحده

فيعول ابو طالب انه لمبارك . كان الصبيان يُصبحون شعثاً رمْصاً ويُصبح رسول الله صلعم دهيناً كحيلاً

. قالت ام ايمن وكانت تحضن رسول الله ما رايت رسول الله صلعم شكا جوعاً قط ولا عطشا وكان يغدو اذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربّما عرضنا عليه الغداء فيقول لا أريده انا شبعان

قال ابن اسحاق ثم ان ابا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيّأ للرحيل صبّ به رسول الله صلعم فيما يزعمون فرّق له ابو طالب وقال والله لأخرجنّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه ابدا او كما قال فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها راهبٌ يقال له بحيرا في صومعة له وكان اليه علم اهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهبٌ اليه يصير علمُهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرّون به قبل ذلك فلا يكلّمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته

يزعمون انه رأى رسول الله صلعم فى الركب حين اقبلوا وغمامةٌ تُظلّه من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه فنظر الى الغمامة حين اظلّت الشجرة وتهصّرتْ اغصانُ الشجرة على رسول الله صلعم حتى استظلّ تحتها فلما راى ذلك بَحيرا نزل من صومعته وقد امر بذلك الطعام فصُنع ثم ارسل اليهم فقال انّى قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش وأُحبُّ ان تحضروا كلّكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرّكم فقال رجل منهم والله والله يا بَحيرا ان لك اليوم لشأناً ما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كُنّا نمرّ بك كثيراً فما شانك اليوم قال له بَحيرا صدقتَ قد كان ما تقول ولكنّكم ضيفٌ وقد احببتُ ان أُكرمَكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلّكم فاجتمعوا اليه وتخلّف رسول الله صلعم من بين القوم لحداثة سِنّه فى رحال القوم فلما نظر بَحيرا فى القوم لم يرَ الصِفَة التى يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلّفنّ احدٌ منكم عن طعامى قالوا له يا بَحيرا ما تخلّف عنك احدٌ ينبغى له ان ياتيك الا غلامٌ وهو احدثُ القوم سنّاً فتخلّف فى رحالهم قال لا تفعلوا آدْعوه فليحضرْ هذا الطعامَ

معكم فقال رجل من قريش واللّات والعُزّى ان كان للؤماً بنا ان يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام اليه بحيرا فقال له يا غلام اسالك بحق اللّات والعزّى الّا ما أخبرتني عمّا أسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانّه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا ان رسول الله صلعم قال لا تسالني باللّات والعزّى شيئاً فوالله ما أبغضتُ شيئاً قط بُغْضَهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عمّا أسالك عنه قال له سَلْني عما بدا لك فجعل يساله عن اشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره ويُخبره رسول الله صلعم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوّة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده فلما فرغ اقبل على عمّه ابي طالب فقال ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بآبنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيّا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وأمّه حُبلَى به قال صدقتَ فارجع

بابن أخيك إلى بلده واحذرْ عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ليبغنّه شرًّا فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم فأسرعْ به إلى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكّة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا أن نفرا من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلعم مثل ما رأى بحيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمّه أبي طالب فأرادوه فردّهم عنه بحيرا وذكّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفاته وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدّقوا بما قال فتركوه وانصرفوا عنه فشبّ رسول الله صلعم والله يكلَؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءةً وأحسنهم خُلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنّس الرجال تنزّها وتكرّما حتى ما اسمُه في قومه إلا الأمينُ لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة وكان رسول الله صلعم يحدّث عمّا كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما

يلعب به الغلمان كلّما قد تعرّى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة وانّي لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكمٌ ما اراه لكمةً وجيعةً ثم قال شُدّ عليك إزارك قال فاخذته فشددته عليّ ثم جعلتُ احمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي

وذكر البخاري عنه صلعم انه قال ماهممتُ بشيءٍ من امر الجاهلية الا مرّتين وروى عنه ان احدى المرّتين كان في غنمٍ يرعاها هو وغلام من قريش فقال لصاحبه اكفني امر الغنم حتى آتي مكّة وكان بها عرس فيه لهو فلما دنا من الدار ليحضر ذلك أُلقِيَ عليه النوم فنام حتى ضربته الشمس عصمةً من الله له والمرّة الاخرى مثل الأولى سواءً

وذكر الواقدي عن امّ ايمن قالت كانت بُوانه صنما تحضره قريش وتعظّمه وتنسك له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب يحضره مع قومه وكلّم رسول الله صلعم ان يحضر ذلك العيد معهم فيأبى ذلك قالت حتى رايت ابا طالب غضب عليه ورايتُ عمّاته غضبنَ يومئذ اشدّ الغضب وجعلن يقلنَ انّا لنخاف عليك ممّا تصنع من اجتناب آلهتنا ويقلن ما تريد يا محمد ان تحضر

لقومك عبداً ولا تكثر لهم جمعاً فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوباً فزعاً فقلن له ما ذهاك قال اني أخشى ان تكون لي لمم فقلن ما كان الله عز وجل ليسلطك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت قال اني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى نبئ صلوات الله عليه وعلى آله

ولما بلغ رسول الله صلعم خمساً وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد فيما ذكره غير واحد من اهل العلم

وذكر الواقدي بإسناد له الى نفيسة بنت منية اخت يعلى بن منية وقد رويناه ايضاً من طريق ابي علي بن السكن وحديث احدهما داخل في حديث الآخر مع تقارب اللفظ وربما زاد احدهما الشيء اليسير وكلاهما ينمي الى نفيسة قالت لما بلغ رسول الله صلعم خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسمٌ الا الامين لما تكاملت فيه من خصال الخير قال له ابو طالب يابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتدّ الزمان علينا والحّتْ علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا

التجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت اليك وفضّلتك على غيرك لما بلغها عنك من طهارتك وإن كنت لاكره ان تاتي الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا تجد من ذلك بُدًّا وكانت خديجة رضها امراة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فيكون عيرها كعامّة عير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع لهم المال مضاربة وكانت قريش قوماً تجاراً ومن لم يكن تاجراً من قريش فليس عندهم بشيء فقال رسول الله صلعم فلعلّها ترسل اليّ في ذلك فقال ابو طالب اني اخاف ان تولي غيرك فتطلب امراً مدبراً فافترقا وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمّه له وقبل ذلك ما قد بلغها من صدق حديثه وعظم امانته وكرم أخلاقه فقالت ما علمتُ انه يريد هذا ثم أرسلت اليه فقالت انه دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك ففعل رسول

الله صلعم ولقى ابا طالب وذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه
الله اليك فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدم الشام وجعل عمومته
يوصون به اهل العير حتى قدم الشام فنزلا فى سوق بُصرَى فى ظلّ
شجرة قريباً من صومعة راهبٍ يقال له نَسْطورا فاطّلع الراهب الى
ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة مَن هذا الذى نزل تحت هذه
الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب
ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبىّ ثم قال له فى عينيه حُمْرة
قال ميسرة نعم لا تفارقه فقال الراهب هو هو وهو آخر الأنبياء ويا ليت
انى أدركه حين يُؤمَر بالخروج فوَعَى ذلك ميسرة ثم حضر رسول الله
صلعم سوق بُصرَى فباع سِلْعَته التى خرج بها واشترى سلعة فكان
بينه وبين رجلٍ اختلاف فى سلعة فقال الرجل احلف باللات والعُزّى
فقال رسول الله صلعم ما حلفتُ بهما قطّ فقال الرجل القول قولك ثم
قال لميسرة وخلا به يا ميسرة هذا نبىّ والذى نفسى بيده انه لهو
تجده أحبارُنا منعوتا فى كتبهم فوَعَى ذلك ميسرة ثم انصرف اهل

العير جميعاً وكان ميسرة يرى رسول الله صلعم اذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ يرى مَلَكَين يظلّانه من الشمس وهو على بعيره

قال وكان الله عز وجل قد القى على رسول الله صلعم المحبّة من ميسرة فكان كأنّه عبدٌ لرسول الله صلعم فلما رجعوا وكانوا بمرّ الظهران تقدّم رسول الله صلعم حتى دخل مكّة في ساعة الظهيرة وخديجة في علّيّة لها معها نساء فيهنّ نفيسة بنت مُنية فرأت رسول الله صلعم حين دخل وهو راكب على بعيره وملَكان يظلّان عليه فأرتْه نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلعم فخبّرها بما ربحوا فسُرّت بذلك فلما دخل عليها ميسرةُ اخبرته بما رأت فقال لها ميسرة قد رايتُ هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول الراهب نسطورا وقول الاخر الذي خالفه في البيع قالوا وقدم رسول الله صلعم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح واضعفت له ما سمّت له فلما استقرّ عندها هذا وكانت امراةً حزمة شريفة لبيبة مع ما اراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهنّ شرفاً وأكثرهنّ مالاً وكلّ قومها كان حريصاً على نكاحها لو يقدر عليه

عرضت عليه نفسها فقالت له فيما يزعمون يا ابن عمّى انى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فلما قالت له ذلك ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمّه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله حتى دخل على خُويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوّجها هكذا ذكر ابن اسحاق

وذكر الواقدى وغيره من حديث نفيسة ان خديجة أرسلتها دسيساً فدعته الى تزوّجها فلما أجاب رسول الله صلعم ارسلت الى عمّها عمرو بن أسد فحضر وحضر ولد رسول الله صلعم فى عمومته فزوّجه احدُهم وقال عمرو هذا الفحل لا يُقدع انفه

قال ابن هشام وأصدقها رسول الله صلعم عشرين بكرة وكانت اوّل امراة تزوّجها ولم يتزوّج عليها غيرها حتى ماتت

قال ابن اسحاق فولدت خديجة لرسول الله صلعم ولده كلّهم الّا ابراهيم القاسم وبه كان يكنى صلعم والطاهر والطيّب وزينب ورُقيّة وأم كلثوم وفاطمة وأما القاسم والطاهر والطيّب فهلكوا فى الجاهلية وأمّا

بناته فكلّهنّ أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه هذا قول ابن اسحاق في ذكور البنين انهم هلكوا في الجاهلية

وقال الزبير بن بكّار وهو من أئمّة هذا الشان ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطاهر والطيّب وُلد بعد النبوّة ومات صغيرا

وفي مسند الفريابي ما يدلّ على انه مات قبل ان يتمّ رضاعة وبعد النبوّة وذلك ان خديجة دخل عليها رسول الله صلعم بعد موت القاسم وهي تبكي عليه فقالت يا رسول الله لو كان عاش حتى يكمّل رضاعة لهوّن عليّ فقال انّ له مُرضعا في الجنّة يستكمل رضاعته فقالت لو أعلمُ ذلك لهوّن عليّ فقال ان شئت أسمعتُك صوته في الجنة فقالت بل أصدّق الله ورسوله

وقال ابن هشام وأمّا ابراهيم فأمّه مارية سُرّيّة النبي صلعم التي أهداها اليه المُقوقس من حفن من كورة أنصِنا وهي قرية من قبط مصر وهذا هو الصهر الذي ذكره لهم رسول الله صلعم في قوله الله الله في اهل الذمّة اهل المدرَة السوداء السُحْم الجعاد فإنّ لهم نسباً وصهرا

قال مولى غُفْرة نسبهم ان ام اسمعيل النبى عم منهم وصهْرُهم ان رسول الله صلعم تسرّر فيهم

وفى حديث اخر ان رسول الله صلعم قال اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإنّ لهم ذمّةً ورَحِماً

قال ابن اسحاق وكانت خديجة بنت خُوَيلد قد ذكرت لوَرَقة بن نوفل بن اسد بن عبد العُزّى وكان ابنَ عمّه وكان نصرانيا قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامُها مَيسَرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلّانه فقال وَرَقة لئن كان هذا حقّا يا خديجة ان محمداً لَنبىُّ هذه الأمّة قد عرفتُ انه كائنٌ لهذه الأمّة نبىٌّ يُنتظَر هذا زمانه او كما قال فجعل ورقةُ يستبطئ الأمر ويقول حتى متى وقال فى ذلك

لَجِجتُ وكنتُ فى الذِكرَى لَجوجاً * لِهَمٍّ طال ما بعث النَشيجا

ووَصْفٍ من خديجة بعد وصفٍ * فقد طال انتظارى يا خديجا

ببطن المكّتين على رجائى * حديثَكِ أن ارى منه خروجا

بما خبّرتِنا من قول قَسٍّ * من الرُهبان أكرهُ ان يَعوجا

بأن محمداً سيسود يوماً * ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نورٍ * يقيم به البرية ان تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً * ويلقى من يسالمه فلوجا
فيا ليتني اذا ما كان ذاكم * شهدتُ فكنتُ أولهم وُلوجا
ولوجاً في الذي كرهتْ قريش * ولو عجّتْ بمكتها عجيجا
أُرجّي بالذي كرهوا جميعاً * الى ذي العرش ان سفلوا عُروجا
وهل امرُ السفاهة غير كُفرٍ * بمن يختار مَن سمك البُروجا
فإن يبقوا وأبقَ تكن أمورٌ * يضجّ الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلِكْ فكلّ فتى سيلقى * من الأقدار متلفةً خُروجا

وقال ورقة بن نوفل ايضا في ذلك وهو مما رواه يونس بن بكير عن ابن اسحاق

أَبَاكرٌ أم انت العشية رائحُ * وفي الصدر من اضمارك الحزن قادحُ
لفرقة قوم لا أحبّ فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح
واخبار صدقٍ خبّرتْ عن محمد * يخبّرها عنه اذا غاب ناصح
فتاكِ الذي وجّهتِ يا خير حُرّة * بغورٍ وبالنجدين حيث الصحاصح

الى سوق بُصرى في الركاب التي غدت * وهنّ من الأحمال قُعْصٌ دوالح

فخبّرنا عن كلّ حَبْرٍ بعِلمه * وللحقّ أبواب لهنّ مفاتح

بأنّ ابن عبد الله أحمد مُرسل * الى كلّ من ضمّت عليه الأباطح

وظنّي به أن سوف يبعث صادقا * كما أُرسل العبدان هُود وصالح

ومُوسى وابراهيم حتى يُرى له * بهاءٌ ومنشورٌ من الذكر واضح

ويتبعه حيّا لُؤيّ بن غالب * شبابهمُ والأشيبون الجحاجح

فإن أبْقَ حتى يدرك الناس دهره * فإنّي به مستبشر الود فارح

وإلا فإنّي يا خديجة فاعلمي * عن أرضك في الأرض العريضة سائح

*
**

ذكر بنيان قريش الكعبة

مع ذكر ما أحدثوه في المناسك

ولما بلغ رسول الله صلعم خمساً وعشرين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة

قال موسى بن عقبة وانما حمل قريشا على بنائها ان السيل كان اتى من فوق الردم الذي صنعوا فأخربه فخافوا ان يدخلها الماء وكان رجل يقال له مُليح سرق طيب الكعبة فأرادوا ان يشدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاؤوا وأعدّوا لذلك نفقة وعمّالاً ثم غدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر من ان يمنعهم الله الذي ارادوا

قال ابن اسحاق وكانوا يهمّون بذلك ويهابون هدمها وانها كانت رضماً فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفراً سرقوا كنز الكعبة وانما كان يكون في بئر في جوف الكعبة قال وكان الذي وُجد عنده الكنز دُويك مولى لبني مُليح بن عمرو من

خزامة فقطعت قريش يده وتزعم قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيك قال وكان البحر قد رمى بسفينة الى جُدّة لرجل من تجار الروم فتحطّمت فأخذوا خشبها فأعدّوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قِبْطيّ نجّار فتهيّأ لهم في انفسهم بعض ما يُصلحها وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح فيها ما يُهدى لها فتتشرّق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك انه كان لا يدنو منها احدٌ الا احزألّت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي يوماً تتشرّق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائراً فاختطفها فذهب بها فقالت قريش انا لنرجو ان يكون الله قد رضي بما أردنا عندنا عاملٌ رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحيّة فلما أجمعوا امرهم في هدمها وبنيانها قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تُدخلوا في بنيانها من كسبكم الا طيّبا لا تُدخلوا فيها مهْرَ بغي ولا بيع رباً ولا مَظلِمة احد من الناس والناس ينحلون هذا الكلامَ الوليدَ بن المغيرة بن عبد

الله بن عمر بن مخزوم ثم ان قريشاً جزّأت الكعبة فكان شقّ الباب
لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني
لبني مخزوم وقبائل من قريش انضمّوا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني
جُمَح وبني سهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني
اسد بن عبد العزّى بن قصي ولبني عدي بن كعب وهو الحطيم ثم
ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منها فقال الوليد بن المغيرة انا ابدأكم
في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم تُرعْ ويقال لم
نُزغْ اللهم انا لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربّص
الناسُ تلك الليلة وقالوا ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً
ورددناها كما كانت وإن لم يُصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا
فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله فهدم وهدم الناسُ معه حتى
اذا انتهى الهدمُ بهم الى الأساس اساس ابراهيم عم أفضوا الى
حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضاً

قال ابن اسحاق فحدثني بعض من يروي الحديث ان رجلا
من قريش ممن كان يهدمها ادخل عَتَلة بين حجرين منها ليقلع بها

احدَهما فلما تحرّكت الحجرُ تنقضت مكّةُ بأسْرها فانتهوا عن ذلك الأساس قال وحُدِّثتُ ان قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود وإذا هو انا الله ذو بكّة خلقتُها يوم خلقتُ السموات والأرض وصوّرتُ الشمس والقمر وحففتُها بسبعة أملاك حُنفاء لا تزول حتى تزول أخشابها مباركٌ لأهلها فى الماء واللبن وحُدِّثتُ انهم وجدوا فى المقام كتاباً فيه مكّة الله الحرام يأتيها رزقُها من ثلاث سُبُل لا تُحِلّها أوّل من أهلها

وزعم ليث بن ابى سُليم انهم وجدوا حجرا فى الكعبة قبل مبعث النبى صلعم بأربعين سنة إن كان ما ذُكر حقاً مكتوباً فيه من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شرًّا يحصد ندامة تعملون السيّئات وتُجزَون الحسنات أجل كما يُجتنَى من الشوك العنَبُ

قال ابن اسحاق ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كلّ قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كلّ قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدّوا للقتال فقرّبت بنو عبد الدار جفنةً مملوءةً دماً ثم

تعاقدوا هم وبنو عدى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسُمّوا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك اربع ليال او خمساً ثم انهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض اهل الرواية ان ابا امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسنّ قريش كلّها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اوّل من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم ففعلوا فكان اوّل داخلٍ رسول الله صلعم فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمدٌ فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلعم هلمّ الىّ ثوباً فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلعم ثم بُنى عليه

وكانت الكعبة على عهد النبى صلعم ثمانى عشرة ذراعا كانت تُكسى القباطىّ ثم كُسيت البُرود وأوّل من كساها الديباج الحجاج بن يوسف هذا قول ابن اسحاق وقال الزبير بل اول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير وذكر جماعة سواهما منهم الدارقُطنى ان نُتيلة بنت

حباب امّ العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس وهو يومئذ صغير فنذرت إن هي وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته وذكر الزبير ان الذي أضلته نُتَيلة بنت جناب انما هو ابنها ضرار بن عبد المطلب شقيق العباس نذرت أن تكسو البيت إن وجدته فكسته حين وجدته ثياباً بيضا فالله تعالى اعلم

قال ابن اسحاق ، كانت قريش لا ادري أقَبْل الفيل ام بعده ابتدعت امر الحُمْس رأيا رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحُرْمة وولاة البيت وقاطنُ مكّة وساكنها فليس لأحد من العرب مثل حقّنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظّموا شيئا من الحِلّ كما تعظّمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفّت العربُ بحرمتكم وقالوا قد عظّموا من الحلّ مثل ما عظّموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرّون انها من المشاعر والحجّ ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها الا انهم قالوا نحن اهل الحرم فليس ينبغي لنا ان نخرج من الحرمة ولا نعظّم غيرها كما نعظّمها نحن الحُمس والحمس اهل الحرم

ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحلّ والحرم مثل الذى لهم
بولادتهم اياهم يحلّ لهم ما يحلّ لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم وكانت
كِنانة وخُزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك ثم ابتدعوا فى ذلك اموراً لم
تكن لهم حتى قالوا لا ينبغى للحمس ان يأتقطوا الأقط ولا يسألوا
السمْن وهم حُرُم ولا يدخلوا بيتاً من شَعَر ولا يستظلّوا إن استظلّوا الا فى
بيوت الأدم ما كانوا حُرُماً ثم رفعوا فى ذلك فقالوا لا ينبغى لاهل الحلّ
أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا
حُجّاجاً او عُمّاراً ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا اوّل طوافهم الا فى ثياب
الحُمس فان لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةً فان تكرّم منهم
متكرّم من رجل او امراة ولم يجد ثياب أحمس فطاف فى ثيابه التى
جاء بها من الحلّ القاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسّها
هو ولا احد غيره ابداً فكانت العرب تسمّى تلك الثياب اللَّقَى فحملوا
على ذلك العربَ فدانت به فوقفوا على عَرَفات وأفاضوا منها وطافوا
بالبيت عُراةً اما الرجال فيطوفون عراة وأما النساء فتضع احداهنّ ثيابها

كلّها لا ثوباً مفرّجاً عليها ثم يطوف فيه وكانوا كذلك حتى بعث الله رسوله صلعم وأنزل الله عليه حين احكم له دينه وشرع له سنن حجّه ثم افيضوا من حيث افاض الناس الآية (١) يعني قريشاً والناس العرب فرفعهم في سنّة الحجّ الى عرفات والوقوف عليه والإفاضة منها وأنزل عليه فيما كانوا حرّموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عند البيت عُراة وحرّموا ما جاءوا به من الحلّ من الطعام (٢) يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا انه لا يحبّ المسرفين قُلْ من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيّبات من الرزق الآية كلها فوضع الله امر الحمس وما كانت قريش ابتدعت منه على الناس بالاسلام حين بعث الله رسوله ولم يكن رسول الله صلعم بالموافق قومه على بعض مشاعر الحجّ والعدول عن مواقف الناس قال جُبير بن مُطعم لقد رأيت رسول الله صلعم قبل ان ينزل عليه

---

(١) س ٢ آ ١٩٥

(٢) س ٧ آ ٢٩

الوحى وانه لوافق على نعمة نعرفات مع الناس من بين قومه حتى ندفع معهم بوصفا من الله له وقد تقدم ما أحدثوه فى النسىء وما أبطل الله من حكمه بقوله سبحانه (١) انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما و يحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين فأمسى ذلك عن اعادته

***

(١) س ٩ آ ٣٧

ذكر ما حفظ عن الاحبار والرهبان

والكهان من امر رسول الله صلعم قبل مبعثه سوى ما تقدّم من ذلك مع ذكر شيء مما سُمِع من ذلك عند الأصنام او هتفت به الهواتف

قال ابن اسحاق وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلعم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد انبيائهم اليهم وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تُحجَب عن ذلك وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض اموره لا تُلقِي العربُ لذلك فيه بالًا حتى بعثه الله ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها فلما تقارب امر رسول الله صلعم وحضر مبعثه حُجِبت الشياطين عن السمع وحِيلَ بينها وبين المقاعد التي

كانت نقعد فيها لاستراقه فرُموا بالنجوم فعرفت الجنّ ان ذلك لأمر حدث من امر الله فى العباد يقول الله لنبيّه محمد صلعم حين بعثه يقص عليه خبر الجنّ اذ حُجبوا (١) قل أوحى الىّ انه استمع نفر من الجنّ فقالوا انّا سمعنا قراناً عجباً يهدى الى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا احداً وانه تعالى جدّ ربّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً وانه كان يقول سفيهنا على الله شططاً وانّا ظننّا ان لن تقول الإنس والجنّ على الله كذباً وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً وانهم ظنّوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احداً وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً وانّا لا ندرى أشرّ أريد بمن فى الأرض ام اراد بهم ربّهم رشداً فلما سمعت الجنّ القران عرفت انها انما مُنعت من السمع قبل ذلك لئلا يُشكِل الوحىُ بشىء من خبر السماء فَيلبَس على اهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجّة وقطع الشبهة فأمنوا وصدّقوا

(١) س ٧٢ آ ١

ثم (١) ولّوا الى قومهم مُنذِرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي الى الحق وإلى طريق مستقيم وقول الجنّ (٢) وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً هو ان الرجل من العرب من قريش وغيرهم كان اذا سافر فنزل بَطن وادٍ من الأرض ليبيت فيه قال انى أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجنّ الليلة من شرّ ما فيه

وذكر ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رُمي بها ثقيف وانهم جاءوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بنى علاج وكان أدهى العرب وانكرها رأياً فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يُهتدى بها في البرّ والبحر وتُعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يُصلح الناس في معائشهم هي التي يُرمى بها فهو والله طيّ الدنيا

---

(١) س ٤٦ آ ٢٨

(٢) س ٧٢ آ ٦

وهلاكُ هذا الخلق الذى فيها وان كانت نجوماً غيرها وهى ثابتة على
حالها فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق فما هو

وقد قال رسول الله صلعم فيما رُوى عنه لنفر من الأنصار ما كنتم
تقولون فى هذا النجم الذى يُرمَى به قالوا يا نبى الله كنّا نقول
حين رأيناها يُرمَى بها مات مَلِكٌ مُلِّكَ مَلِكٌ وُلِدَ مولودٌ مات مولودٌ
فقال رسول الله صلعم ليس ذلك كذلك ولكنّ الله تبارك وتعالى
كان اذا قضى فى خلقه امراً سمعه حملة العرش فسبّحوا فسبّح من
تحتهم لتسبيحهم فسبّح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى
ينتهى الى السماء الدنيا فيسبّحوا ثم يقول بعضهم لبعض مِمّ سبّحتم
فيقولون سبّح من فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم فيقولون ألا تسألون من
فوقكم مِمّ سبّحوا فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا الى حملة العرش
فيقال لهم مِمّ سبّحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا للأمر الذى
كان فيهبط به الخبرُ من سماء الى سماء حتى ينتهى الى السماء الدنيا
فيتحدّثوا به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهّم واختلاف ثم يأتون
به الكهّان من اهل الأرض فيحدّثونهم فيُخطئون ويصيبون فيتحدّث

به الكهّان فيُخطئون بعضاً ويصيبون بعضاً ثم ان الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقذَفون بها فانقطعت الكهانةُ اليوم فلا كهانة

وذكر ابو جعفر العُقَيلي بإسناد له الى لُهَيب بن مالك اللهبي قال حضرتُ عند رسول الله صلعم فذُكِرت عنده الكهانة فقلتُ بأبي انت وأمّي يا رسول الله نحن اول مَن عرف حراسة السماء وزجْر الشياطين ومنعْهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك انّا اجتمعنا الى كاهنٍ لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائة سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهّاننا فقُلْنا يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التي يُرمَى بها فانّا قد فزعنا لها وخفْنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحرٍ اخبركم الخبرَ أبخير ام ضررٍ او امن او حذرٍ قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر اتيناه فإذا هو قائم على قدميه شاخصٌ في السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا ان أمسكوا فأمسكنا وانقضّ نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعاً صوته أصابه أصابه، خامره عقابه، عاجَله عذابُه، أحرقه شهابه، زائله جوابه، يا وَيْلَهُ ما حاله، بَلْبَلَه بلباله، عاوَدَه خَباله، تقطّعت حباله، وغُيّرت أحواله،

ثم أمسك طويلا وقال يا معشر بني قحطان· اخبركم بالحق والبيان، اقسمت بالكعبة والأركان، والبلد المؤتمن والسدّان، انه مُنِع السمع عُتاة الجان، بشاقب بأمر ذي سلطان، من اجل مبعوث عظيم الشان، يُبعَث بالتنزيل والقران، وبالهدى وفاصل الفرقان، تَبطُل به عبادةُ الأوثان، قال فقلتُ يا خطر انّك لتذكر أمراً عظيماً فما ذا ترى لقومك قال أرى لقومي ما أرى لنفسي، ان يتبعوا خير بني الانس، برهانه مثل شعاع الشمس، يبعث في مكّة دار الحُمس، بمحكم التنزيل غير اللبس، فقلنا له يا خطر وممّن هو فقال والحياة والعيش، انه لَمِن قريش، ليس في حكمه طيش، ولا في خلقه هيش، يكون في جيش، واىّ جيش، من آل قحطان وآل ايش، فقلنا له بيّنْ لنا من اىّ قريش هو فقال والبيت ذي الدعائم، انه لَمِن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم، ثم قال هذا هو البيان، أخبرني به رئيسُ الجان، ثم قال الله اكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجنّ الخبر، ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق الا بعد ثالثة فقال لا اله الا الله فقال رسول الله

صلعم سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوّة وانه أيبعث يوم القيامة أمّةً وحده

قال ابن اسحاق وحدثني بعض اهل العلم ان امراة من بني سهم يقال لها الغيطلة كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقضّ تحتها ثم قال يدر ما يدر، يوم عقر ونحر، فقالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ثم جاءها ليلة اخرى فانقضّ تحتها ثم قال شَعوبُ ما شعوب، تُصرَع فيه كعبٌ لجنوب، فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا ما ذا يريد انّ هذا لأمرٌ هو كائنٌ فانظروا ما هو فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأُحُد بالشعْب فعرفوا انه كان الذي جاء به الى صاحبته

قال وحدثني على بن نافع الجُرشي ان جنْباً بطْنا من اليمن كان لهم كاهنٌ في الجاهلية فلما ذُكر امر رسول الله صلعم وانتشر في العرب قالت له جنبُ انظُرلنا في امر هذا الرجل واجتمعوا له في اسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له فرفع راسه الى السماء طويلاً ثم جعل ينزو ثم قال ايها الناس ان الله اكرم

محمداً واصطفاه وطهّر قلبه وحشاه ومكّثه فيكم ايها الناس قليلٌ ثم أسند في جبله راجعاً من حيث جاء

قال وحدثني من لا أتهمُ ان عمر بن الخطاب رضه بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلعم اذ اقبل رجل من العرب يريد عمر فلما نظر اليه عمر قال ان الرجل لعَلى شِرْكه ما فارقه بعد او لقد كان كاهناً في الجاهلية فسلّم عليه الرجل ثم جلس فقال له عمر هل أسلمتَ قال نعم يا امير المؤمنين قال فهل كنت كاهناً في الجاهلية فقال له الرجل سبحان الله يا امير المؤمنين لقد خِلْتَ فيّ واستقبلتني بأمر ما اراك قُلْته لأحد من رعيّتك منذ وليت فقال عمر اللهم غفرا قد كنّا في الجاهلية على شرّ من هذا نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان حتى اكرمنا الله برسوله وبالاسلام قال نعم والله يا امير المؤمنين لقد كنتُ كاهنا في الجاهلية قال فاخبرني بما جاءك به صاحبُك قال جاءني قبيل الاسلام بشهر او شَيعه فقال الم تر الى الجنّ وإبلاسها وإياسها، من دينها ولُحوقها بالقلاص وأحلاسها، قال ابن هشام هذا الكلام سجع وليس بشعر وأنشدني بعض اهل العلم بالشعر

عَجِبتُ للجنّ وإبلاسها * وشدّها العيسَ بأحلاسها
تَهوِى الى مكّة تبغى الهُدَى * ما مؤمن الجنّ كأنجاسها

فقال عمر عند ذلك بحدّث الناسَ والله انّى لَعند وثنٍ من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا فنحن ننتظر قسْمه ليُقسَم لنا منه اذ سمعتُ من جوف العجل صوتاً ما سمعت قط انفذ منه وذلك قبيل الاسلام بشهر او شيعه يقول يا ذريح، امرٌ نجيح، رجلٌ يصيح، يقول لا اله الا الله

قال ابن هشام ويقال رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول لا اله الا الله

وهذا الرجل الذى ظنّ به عمر رضه ما ظنّ هو سَواد بن قارب الدَوسى وكان يتكهّن فى الجاهلية وقد ذكر خبرَه غير ابن اسحاق فساقه سياقة احسن من هذه وأتمّ وذكروه انه كان قائماً على جبل من جبال السراة ليلة من الليالى فأتاه آتٍ فضربه برجْله وقال قُم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لُوىّ بن غالب، قال فرفعتُ راسى وجلست فأدبر وهو يقول

عَجِبتُ للجنّ وتطلابها * وشدّها العيسَ بأقتابها
تهوى الى مكّة تبغي الهدى * ما صادق الجنّ ككذّابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

وأتاه في الليلة الثانية فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب أتاك رسول من لوي بن غالب، قال فرفعت راسي فجلست فأدبر وهو يقول

عجبت للجنّ وأخبارها * ورَحْلِها العِيسَ باكوارها
تهوى الى مكّة تبغي الهدى * ما مؤمنوها مثل كفّارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كأدبارها

وأتاه في الليلة الثالثة بعد ما نام فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لوي بن غالب، قال فرفعت راسي وجلست فأدبر وهو يقول

عجبتُ للجنّ وإبلاسها * ورحْلها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمنوها مثل أرجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * وآرم بعينيك الى راسها

قال فلما اصبحت اقعدت بعيري وأتيت مكة فاذا رسول الله صلعم قد ظهر فأخبرته الخبر روايته نسبه

وفي بعض طرق حديثه انه أنشد رسول الله صلعم شعرا منه في معنى ما جاء به رئيّه

أتاني رئيّي بعد هدء ورقدة * ولم يك فيما قد بلوتُ بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك نبي من لوي بن غالب
فرفعتُ أذيال الإزار وشمّرتْ * بي العِرْمس الوجناء وسْطَ السباسب
فأشهد ان الله لا ربّ غيره * وأنّك مأمونٌ على كل غائب
وانّك ادنى المرسلين وسيلةً * الى الله يابن الأكرمين الأطائب
فمُرْنا بما يأتيك من وحي ربّنا * وإن كان فيما جئت شيبُ الذوائب
وكُنْ لي شفيعا يوم لاذو شفاعة * بمغنٍ فتيلًا عن سواد بن قارب

ولسواد بن قارب هذا مقامٌ حمدٌ في قومه دوس حين بلغهم وفاة رسول الله صلعم ثبّتهم في الدين وحضّهم على التمسّك بالاسلام . نذكره ان شاء الله مع نظائره بعد استيفاء الخبر عن وفاة رسول الله صلعم

وذكر السواد بن جابر قال كان ابو هريرة يحدّث ان قوما من

خثعم كانوا عند صنمهم لهم جلوساً وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فقيل لأبي هريرة هل كنت انت تفعل ذلك فيقول قد والله فعلت وأكثرت فالحمد لله الذي انقذني بمحمّد صلعم قال ابو هريرة فبينا الخثعميون عند صنمهم اذ سمعوا هاتفاً يهتف بابياته ايها الناس ذوو الأجسام، ومُسنِدو الحكم الى الأصنام، أكلّكم أوْرَه كالكهام، ألا ترون ما أرى أمام، من ساطع يجلوا دُجى الظلام ذاك نبيّ سيّد الأنام، من هاشم في ذروة السنام، مستعلِنٌ بالبلد الحرام، جاء يهدّ الكفر بالاسلام، أكرمه الرحمن من إمام، قال ابو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرّقوا فلم تمض بهم الثالثة حتى فجاءهم خبر رسول الله صلعم انه قد ظهر بمكة قال فما أسلم الخثعميون حتى استأخر اسلامُهم ورأوا عبراً عند صنمهم

وذكر الواقدي ايضا ان رجلاً من الأنصار حدّث عمر بن الخطاب رضه قال انطلقت انا وصاحبان لي نريد الشام حتى اذا كنّا بقفرة من الأرض نزلنا بها فبينا نحن كذلك اذ لحقنا راكبٌ وكنّا اربعة وقد أصابنا سغبٌ شديد والتفتُ فإذا انا بظبية عضباء ترتع فقمنا

حتى قومت اليها فقال الرجل الذى ليحفها احلّ سبيلها لا ابا لك
والله لقد راد بها ونحن بالك هذه الطريق ونحن عشرة او اكثر
فما طلب بعضنا فما هو الا ان كانت هذه الطلبة فما يهاج بها احد
فأبيت وقلت لا لعمر الله لا أحلّيها وارتحلنا وقد شددتها معى حتى
اذا ذهب شدوا من الليل اذا هاتف يهتف بنا ويقول

يأيها الركب السراع الأربعة * خلّوا سبيل الناقة المرتعة
خلّوا عن العضباء فى الوادى سعة * لا يذبحن الطيبة المربّعة
فيها لأيتام صغار منفعة

قال فخلّيت سبيلها ثم انطلقنا حتى أتينا الشام فقضينا حوائجنا ثم
أقبلنا حتى اذا كنّا بالمكان الذى كنّا فيه هتف بنا هاتف من خلفنا

اتاك لا تعجل وخذها من ثقة * وانّ شرّ السير سير الحقحقة
قد لاح نجمٌ فأضاء مشرقه * يخرج من ظلما عسوف موبقه
ذاك رسولٌ مفلحٌ من صدّقه * الله أعلى أمره وحققه

قال الرجل فأتيت مكّة فإذا رسول الله صلعم يدعو الى الاسلام فقال
عمر رح الحمد لله الذى اكرمنا بمحمّد صلعم

وَرَوينا عن ابي المنذر هشام بن محمد الكلبي باسناد متّصل اليه قال لقد لقيتُ شيوخاً من شيوخ طيء المقدّس فسألتهم عن قصة مازن يعني مازن بن الغضوبه الطائي وسبب اسلامه ووفوده على رسول الله صلعم واقطاعه أرض عمان وذلك بمنّ الله وفضله وكان مازن بأرض عمان بقريه تُدعى سَمائل قال مازن فعترتُ ذات يوم عتيرة هي الذبيحه فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول يا مازن اقبل اقبل، واسمعْ ما لا يجهل، هذا نبيّ مُرسَل، جاء بحقّ مُنزَل، فآمِنْ به كي تعدل، عن حرّ نارٍ تُشعَل، وقودُها بالجندل، قال مازن فقلتُ ان هذا والله لعجبٌ ثم عترتُ بعد ايام عتيرة اخرى فسمعتُ صوتاً أبين من الاول وهو يقول يا مازن اسمعْ تسرّ، ظهَرَ خيرٌ وبَطَن شرّ، بُعث نبيّ من مُضر، بدين الله الأكبر، ودَعْ نحيتاً من حجر، تسلم من حرّ سقر، قال مازن فقلتُ انّ هذا والله لعجب وانه لخيرٌ يُراد بي وقدم علينا رجل من اهل الحجاز فقلنا ما الخبر وراءك قال خرج بتهامة رجل يقول لمن أتاه أجيبوا داعيَ الله يقال له احمد فقلتُ هذا والله نبأ ما سمعتُ

فثرتُ الى الصنم فكسرتُه جذاذاً وشددتُ راحلتي ورحلتُ حتى أتيت رسول الله صلعم فشرح لي الاسلام فأسلمتُ وأنشدتُ أقول

كسّرتُ باجُر أجذاذاً وكان لنا * ربّاً نطيف به ضلاً بتضلال
بالهاشميّ هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينُهُ منّا على بال
يا راكباً بلّغن عمراً وإخوتها * انّي لمن قال ربّي باجرٍ قال

وقلتُ يا رسول الله انّي امرؤ مولع بالطرب وبشرب الخمر وبالهلوك الى النساء وألحّتْ علينا السنون فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري والرجال وليس لي ولدٌ فادعُ الله ان يُذهب عنّي ما أجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولداً فقال النبي صلعم اللهمّ أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وآته بالحياء وهبْ له ولداً قال مازن فأذهب الله عنّي كل ما أجد وأخصبتْ عُمانُ وتزوّجتُ اربع حرائر ووهب الله لي حيّان بن مازن وأنشأتُ أقول

اليك رسول الله خبّتْ مطيّتي * تجوب الفيافي من عُمان الى العرْج
لتشفعَ لي يا خير من وطئ الثرى * فيغفر لي ربّي وأرجع بالفلْج
الى معشرٍ خالفتُ في الله دينهم * فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي

وكنتُ امرءًا باللهو والخمر مُولعاً * سنانيَ حتى أذن الجسمُ بالنهج
فأصبحتُ همّي في جهادٍ ونيّتي * فلله ما صومي ولله ما حجّي

ومما يلحق بهذا الباب من حسان أخبار الكهان، وان كان بعد المبعث بزمان، ولاكنه يجتمع مع الأحاديث السابقة في الدلالة على صدق الرسول، والإعلام بالغيب المجهول، والإرشاد الى سَواء السبيل، ما ذكره ابو على اسمعيل بن القاسم في أماليه بإسنادٍ له الى ابن الكلبي عن ابيه قال كان خُنافر بن التوأم الحميري كاهنا وكان قد أوتي بسطةً في الجسم وسَعَةً في المال وكان عاتياً فلما وفدت وفود اليمن على النبي صلعم وظهر الاسلام أغار على ابل لمرادٍ فاكتسحها وخرج بأهله حتى لحق بالشِحْر فحالف جُودان بن يحيى الفرضمي وكان سيداً منيعاً ونزل بوادٍ من أودية الشِحْر مُخصِب كثير الشجر من الأيك والعرين قال خُنافر وكان رَئِيّي في الجاهلية لا يغيب عنّي فلما شاع الاسلام فقدتُه مدّة طويلة وساءني ذلك فبينا انا ليلةً بذلك الوادي نائماً اذ هوى هُويّ العُقاب فقال خنافرُ فقلتُ شِصار فقال اسمعْ أقُلْ قلتُ قُلْ أسمعْ فقال عِهْ تغنم، لكلّ مدة نهاية، وكلّ ذي أمد الى غاية،

قلتُ أجَل، فقال كلّ دولة الى أجَلٍ، ثم يُتاح لها حِوَل، أنسيتَ
البُخل، ورجعتَ الى حقائقها المِلَل، أتُرى سحرك موصول، والنُّجح
لك مبذول، انّي آنستُ بأرض الشام، نفراً من أهل الأقدام، حكّاماً
على الحُكّام، يتذاكرون ذا رونق من الكلام، ليس بالشعر المؤلف، ولا
بالسجع المكلّف، فأصغيتُ فرجوتُ، فعاودتُ فطمعتُ، فقلتُ بِمَ
تهتمّون، والامَ تعبرون، فقالوا خطابٌ كُتّاب، جاء من عند الملك
الجبّار، فاسمعْ بإبصار، عن أصدق الأخبار، واسلك أوضح الآثار،
تنجُ من أُوار النار، فقلتُ وما هذا الكلام، قالوا فرقانٌ بين الكفر
والايمان، رسول من مُضَر، من أهل المدر، ابتُعث فظهَر، فجاء بقول قد
بَهَر، وأوضح منهجاً قد دثر، فيه مواعظ لمن اعتبر، ومعاذ لمن ادّكر، أُلِّف
بالآي الكُبَر، فقلتُ ومَن هذا المبعوث من مضر، قالوا أحمد خير البشر،
فإن آمنتَ أعطيتَ البُشر، وإن خالفتَ أُصليتَ سقر، فآمنتُ بما
حضَر، وأصلتُ الكفر أبادر، فجانبتُ كلّ نجس كافر، وتابعتُ كلّ مؤمن
طاهر، وإلّا فهو الفراق، لا عن تلاقٍ، قلتُ من أين أتعبّ هذا الدين
قال من ذات الأخرين، والنفر الميامين، أهل الماء والطين، قلتُ أوضحْ

قال الحق بيثرب ذات النخل، والحرّة ذات النعل، فهنالك أهل الطول والفضل، والمواساة والبذل، ثم املّس عنّي فبتّ مذعوراً اراعي الصباح فلما برق لي النور امتطيتُ راحلتي وآذنتُ أعبُدي واحتملتُ بأهلي حتى وردتُ الجوف فرددتُ الابل على أربابها بحولها وسقابها وأقبلتُ أريد صنعاء فاصبتُ بها معاذ بن جبل اميراً لرسول الله صلعم فبايعتُه على الاسلام وعلّمني من القرآن فمنّ اللهُ عليّ بالهُدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة وقلتُ في ذلك

ألم تر أن الله عاد بفضله * فأنقذ من لفح الزخيخ خُنافرا
وكشّف لي عن جُحْمَتَيّ عماهما * وأوضح لي نهجي وقد كان دائرا
دعاني شِصارٌ للتي لو رفضتها * لأصْليتُ جمراً من لظى الهوب واهرا
فأصبحتُ والاسلام حشوُ جوانحي * وجانبتُ من أمسى عن الحق نائرا
وكان مُضلّي مَن هُديتُ برُشده * فلله مُغْوٍ عاد بالرشد آمرا
نجوتُ بحمد الله من كل قُحْمة * تورّث هُلكاً يومَ شايعتُ شاصرا
فقد أمنتني بعد ذاك يُحابرٌ * بما كنتُ أغشي المُنديات يُحابرا
فمن مبلغ فتيان قومي ألوكة * بأنّيَ من أقتال من كان كافرا

عليكم سواء القصد لا فُلّ حدّكم * فقد أصبح الاسلام للشرك قاهرا

وذكر ابن هشام ان بعض اهل العلم حدّثه انه كان لمرداس ابي العبّاس بن مرداس السلميّ وثنٌ يعبده وهو حجرٌ يقال له ضمار فلما حضر مرداس قال للعباس اي بُنيّ اعبُدْ ضمار فانه ينفعك ويضرّك فبينا العباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

قل للقبائل من سُليم كلّها * أَوْدى ضمار وعاش اهلُ المسجد

ان الذي ورث النبوّة والهُدى * بعد ابن مريم من قريش مُهتد

أوْدى ضمارُ وكان يُعبد مرّةً * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرّق العباس ضمارا ولحق بالنبي صلعم فأسلم

والاخبار في هذا الباب ممّا نُقل من ذلك عن الكهان او سمع عند الأصنام او هتفت به هواتف الجانّ كثيرة جدا وقد أثبتنا منها ما استحسنّاه ممّا ذكره ابن اسحاق او ذكره سواه

قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا ان ممّا دعانا الى الاسلام مع رحمه الله لنا وهُداهُ لما كنّا

نسمع من احبار يهود كنّا اهل شرك أصحابَ أوثان وكانوا اهل كتاب عندهم عِلمٌ ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرورٌ فإذا نِلْنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبيّ يُبعَث الآن نقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرَمَ فكنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمد صلعم أجبناه حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرْناهم اليه فآمنّا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات من البقرة ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (١)

قال وحدثني صالح بن ابراهيم بن محمود بن لبيد عن سَلَمة بن سلامة بن وقش كان من اصحاب بدر قال كان لنا جارٌ من يهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنّة والنار فقال ذلك

(١) س ٢ آ ٨٣

لقومٍ من اهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون ان بعثاً كائنٌ بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أترى هذا كائناً انّ الناس يُبعثون بعد موتهم الى دارٍ فيها جنّةٌ ونار يُجزَون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يُحلَف به ولَوَدّ أنّ له بحظّه من تلك النار اعظمُ تنورٍ فى الدار يُحمونه ثم يُدخِلونه اياه فيُطيِنونه عليه بأن يَنجُوَ من تلك النار غداً فقالوا له ويحك يا فلان وما آية ذلك قال نبيّ مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكّة واليمن قالوا ومتى نراه قال فنظر الىّ وأنا من أحدثهم سنّاً فقال إن يستنفدْ هذا الغلام عمرَه يُدركْه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله محمداً صلعم وهو حيّ بين أظهرنا فآمنّا به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له ويحك يا فلان ألستَ بالذى قلتَ لنا فيه ما قلتَ قال بلى ولكن ليس به

قال وحدثنى عاصم بن عمر عن شيخ من بنى قُرَيظة قال قال لى هل تدرى عمّ كان اسلام ثعلبة بن سَعيَة وأُسَيد بن سعية وأسد بن عُبَيد نفرٍ من هذل اخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا سادتهم فى الاسلام قال قلتُ لا قال فانّ رجلاً من يهود من اهل الشام يقال له

ابن الهيّبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحلّ بين أظهرنا لا والله ما راينا رجلاً قطّ لا يصلّي الخمس افضل منه فأقام عندنا فكنّا اذا قحط عنّا المطر قلنا له اخرجْ يا ابن الهيّبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدّموا بين يدي مخرجكم صدقةً فنقول له كم فيقول صاعاً من تمر ومُدّين من شعير فنُخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرّتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمرّ السحاب ويُسقى قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرّتين ولا ثلاث ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الخمر والخمير الى ارض البؤس والجوع قُلنا انت اعلم قال فانما قدمتُ هذه البلدة اتوكّف خروج نبيّ قد اظلّ زمانه وهذه البلدة مُهاجَرُه فكنتُ ارجو ان يُبعث فأتّبِعَه وقد اظلّكم زمانه فلا تُسبَقُنّ اليه يا معشر يهود فانه يُبعث بسفك الدماء وسَبْي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعنّكم ذلك منه فلما بُعث رسول الله صلعم وحاصر بني قريظة قال هاؤلاء الفتية وكانوا شباباً أحداثاً يا بني قريظة والله انه للنبيّ الذي

فهذا اليوم فيه ابنُ الهيّبان قالوا ليس به قالوا بلى والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم

قال ابن اسحاق فهذا ما بلغنا عن اخبار يهود

قال وحدثني عاصم عن محمود عن ابن عباس رضه قال حدثني سلمان الفارسي من فيه قال كنتُ رجلاً فارسياً من اهل اصبهان من اهل قرية يقال لها جيٌّ وكان ابي دِهْقان قريته وكنتُ احبَّ خلق الله اليه لم يزل به حُبُّه اياي حتى حبسني في بيته كما تُحبَس الجارية واجتهدتُ في المجوسية حتى كنتُ قَطِنَ النار الذي يُوقدها لا يتركها تخبو ساعةً وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمة فشُغل في بنيان له يوماً فقال لي يا بُنيّ اني قد شُغلتُ في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهبْ اليها فاطّلعْها وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي لا تحتبس عنّي فانّك ان احتبستَ عني كنت أهمّ اليّ من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من امري فخرجتُ أريد ضيعته التي بعثني اليها فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يصلّون وكنتُ لا أدري ما أمرُ الناس لحبس ابي اياي في بيته فلما

سمعت أصواتهم دخلت اليهم انظرُ ما يصنعون فلما رايتُهم أعجبتني صلاتُهم و رغبتُ في امرهم وقلتُ هذا والله خيرٌ من الذي نحن عليه فوالله ما برحتُهم حتى غربت الشمس وتركتُ ضيعة ابي فلم آتِها ثم قلتُ لهم اين أصلُ هذا الدين قالوا بالشام فرجعتُ الى ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كلّه فلما جئتُه قال اي بنيّ اين كنتَ الم اكن عهدتُ اليك ما عهدتُ قلتُ يا ابه مررتُ بأناس يصلّون في كنيسة لهم فأعجبني ما رايتُ من دينهم فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمس قال اي بنيّ ليس في ذلك الدين خيرٌ دينُك ودين ابائك خيرٌ منه فقلتُ له كلّا والله انه لخير من ديننا قال فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته وبعثتُ الى النصارى فقلتُ لهم اذا قدم عليكم ركبٌ من الشام فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلتُ لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فآذنوني بهم قال فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم فألقيتُ الحديد من رجلي ثم خرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام فلما قدمتُها قلتُ مَن افضلُ اهل هذا الدين قالوا

قالوا لأسقف في الكنيسة فجئته فقلتُ انى قد رغبتُ في هذا الدين وأحببتُ ان اكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلّم منك وأصلّي معك قال ادخل فدخلتُ معه فكان رجلَ سوءٍ يامرهم بالصدقة ويرغّبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يُعطيه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورِق فابغضته بُغضاً شديداً لما رايته يصنع ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه فقلتُ لهم ان هذا كان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغّبهم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يُعطِ المساكين منها شيئاً فقالوا لي وما علمك بذلك قلت انا أدلّكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه ابداً فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاءوا برجل اخر فجعلوه مكانه فما رايتُ رجلاً لا يصلّي الخمس ارى انه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا ارغب في الاخرة ولا أدأبَ ليلا ونهاراً منه فأحببته حبّاً لم احبّه شيئاً قبله فأقمتُ معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلتُ له يا فلان انى قد كنت معك واحببتك حبّا لم أحبّه شيئا قبلك وقد حضرك من امر الله

ما ترى فإلى من توصي بي وبمَ تأمرني فقال اي بنيّ والله ما أعلم
اليوم احداً على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدّلوا الا رجلاً
بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغُيّب لحقت
بصاحب الموصل فقلت له يا فلان ان فلاناً أوصاني عند موته ان
ألحق بك وأخبرني انك على أمره فقال أقِمْ عندي فأقمتُ عنده
ووجدتُه خير رجل على امر صاحبه فلم يلبث ان مات فلما حضرته
الوفاة قلت له يا فلان ان فلاناً أوصاني اليك وأمرني باللحوق بك
وقد حضرك من امر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبمَ تأمرني قال يا
بنيّ والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه الا رجلاً بنصيبين وهو فلان
فالحق به فلما مات وغُيّب لحقتُ بصاحب نصيبين فأخبرتُه خبري
وما أمرني به صاحبي فقال اقِمْ عندي فأقمتُ عنده فوجدته على
امر صاحبه فأقمتُ مع خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت
فلما حُضِرَ قلتُ له يا فلان ان فلاناً كان أوصى بي الى فلان ثم أوصى
بي فلان اليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بنيّ والله ما
أعلمه بقي احدٌ على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمّورية من

ارض الروم وانه على مثل ما نحن عليه فان احببت فأته فلما مات
وغُيّب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري فقال اقم عندي
فأقمتُ عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم واكتسبتُ حتى
كانت لي بقراتٌ وغُنيمة ثم نزل به أمرُ الله فلما حُضر قلت له يا فلان
اني كنت مع فلان فأوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان الى
فلان ثم أوصى بي فلان اليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني قال
اي بنيّ والله ما أعلمه اصبح على مثل ما كنّا عليه احدٌ من الناس
آمرك ان تأتيه ولكنه قد أظل زمانُ نبيّ مبعوث بدين ابراهيم
يخرج بأرض العرب مهاجرُه الى ارض بين حرّتين بينهما نخلٌ به
علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم
النبوّة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعلْ ثم مات وغُيّب
فمكثتُ بعمورية ما شاء الله ان أمكث ثم مرّ بي نفرٌ من كلب تجارٌ
فقلت لهم احملوني الى ارض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه
قالوا نعم فأعطيتُموها وحملوني معهم حتى اذا بلغوا وادي القُرى ظلموني
فباعوني من رجل يهودي عبدا فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت

إن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم تحق فى نفسى فبينا انا
عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى
منه فاحتملنى الى المدينة فوالله ما هو الا ان رأيتها فعرفتها بصفة
صاحبى فأقمت بها وبُعث رسول الله صلعم وأقام بمكة ما أقام لا
أسمعُ له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة
فوالله انى لفى راس عذق لسيّدى اعملُ له فيه بعض العمل
وسيّدى جالس تحتى اذ اقبل ابنُ عمّ له حتى وقف عليه وقال
يا فلان قاتل الله بنى قيلة والله انهم لمجتمعون بقُباء على رجل
قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبى فلما سمعتُها اخذتنى العُرواء
حتى ظننتُ انى سأسقط على سيدى فنزلتُ عن النخلة فجعلتُ
أقول لابن عمّه ذلك ما ذا تقول فغضب سيدى فلكمنى
لكمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا أقبلْ على عملك فقلتُ
لا شيء انما أردتُ ان أستثبته عما قال وقد كان عندى شىء جمعتُه
فلما أمسيتُ أخذتُه ثم ذهبتُ به الى رسول الله صلعم وهو بقُباء
فدخلتُ عليه فقلت له انه قد بلغنى انك رجل صالح ومعك

اصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرايتكم احق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلعم لأصحابه كُلوا وأمسك يده فلم ياكل فقلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفتُ عنه فجمعتُ شيئاً وتحوّل رسول الله صلعم الى المدينة ثم جئته به فقلت انى قد رايتك لا تاكل الصدقة وهذه هديةٌ أكرمتُك بها فأكل رسول الله صلعم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلتُ في نفسي هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلعم وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازةً من أصحابه عليّ شملتان لى وهو جالس في أصحابه فسلمتُ عليه ثم استدرتُ أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى فلما رآنى رسول الله صلعم استدبرتُ به عرف انى استثبتُ في شيء وُصِفَ لى فألقى الرداء عن ظهره فنظرتُ الى الخاتم فعرفته فأكببتُ عليه أقبّله وأبكى فقال لى رسولُ الله صلعم تحوّلْ فتحوّلتُ فجلستُ بين يديه فقصصتُ عليه حديثى كما حدّثتُك يا ابن عباس فأعجب رسول الله صلعم ان يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمانَ الرقُّ حتى فاته مع رسول الله صلعم بَدْر وأُحد .

قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلعم كاتبْ يا سلمان فكاتبتُ
صاحبي على ثلاث مائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين أوقية
فقال رسول الله صلعم أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين
وديّة والرجل بعشرين وديّة والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر يُعين
الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعتْ لي ثلاث مائة وديّة فقال لي
رسول الله صلعم اذهبْ يا سلمان ففقّرْ لها فاذا فرغتَ فائتني أكن
انا أضعُها بيدي ففقّرتُ وأعانني أصحابي حتى اذا فرغتُ
جئتُه فأخبرتُه فخرج معي اليها فجعلنا نقرّب اليه الوديَّ ويضعُه
رسول الله صلعم بيده حتى فرغتُ فوالذي نفس سلمان بيده ما
ماتت منها وديّةٌ واحدة فأدّيتُ النخل وبقي عليّ المال فأُتيَ رسول
الله صلعم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال
ما فعل الفارسيّ المكاتبُ فدُعيتُ له فقال خذْ هذه فأدّها مما عليك
يا سلمان قلتُ وأين تقعُ هذه يا رسول الله مما عليّ قال خذْها فان
الله سيُؤدّي بها عنك فأخذتُها فوزنتُ لهم منها والذي نفس

سلمان سيده اربعين أوقيه فأوفيتهم حقّهم فشهدتُ مع رسول الله صلعم الخندق حُرًّا ثم لم تَفُتني معه مشهد

وعن سلمان ايضا انه قال لمّا قلتُ وأين تَقَعُ هذه من الذي عليّ يا رسول الله أخذها رسول الله صلعم فقلّبها على لسانه ثم قال خذها فأوفهم منها فأخذتُها فأوفيتُهم منها حقّهم كلّه اربعين أوقيه وعنه ايضا انه قال لرسول الله صلعم حين أخبره خبره ان صاحب عمّوريه قال له إئتِ كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلاً بين غيضتين يخرج في كل سنه من هذه الغيضه الى هذه الغيضه مستجيزاً يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحد منهم الا شُفِيَ فسله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يُخبرك عنه

قال سلمان فخرجتُ حتى جئتُ حيث وُصِفَ لي فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك حتى خرج لهم تلك الليله مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شُفِيَ وغلبوني عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الغيضه التي يريد ان يدخل الا مَنْكِبُهُ فتناولتُه فقال من هذا

والبقيت التّى قلتُ برحمك الله احبرنى عن الكسعه دبن ابراهيم قال انك لتسأل عن شىء ما يسال عنه الناس اليوم وقد أظلّك نبىّ يُبعث بهذا الدين من اهل الحرم فائته فهو يحملك عليه ثم دحل فقال رسول الله صلعم لئن كنت صدقتنى يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم

ومن حديث عمر ابن اسحاق عن ابى سفيان بن حرب قال حرجتُ انا وأميّة بن ابى الصلت وآخر سقط اسمهُ من كتابى تجاراً الى الشام قال ابو سفيان فكلّما نزلنا منزلاً أخرج أميّة سفْراً يقرأه علينا وكنّا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى قال فرأوه وعرفوه واهدوا له فذهب معهم الى بيعتهم ثم رجع فى وسط النهار وطرح ثوبيْه واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ثم قال يا ابا سفيان هل لك فى عالم من علماء النصارى اليه انتهى علمُ الكتب نسألْه عما بدا لك قال قلتُ لا أرب لى فيه والله لئن حدّثنى ما أُحبّ لا أثق به ولئن حدثنى ما أُكْره لأوجلنّ منه قال وذهب و بحالفه شيخ من النصارى ودخل علينا فقال يعنى له يا للاحر الذى كان معه ما يمنعكما ان تذهبا

الى هـذا الشيخ قُلنـا لسنـا على دينه قال وانّ فانّكما تسمعان عجباً وترياته قال قُلنا لا أرَبَ لنا فى ذلك قال أثقفيّانِ انتما قلنا لا ولكن من قريش قال فما منعكما من الشيخ فوالله انـه ليُحبّكم ويُوصِى بكم وخرج من عندنـا ومكث أميّـة عنا حتى جاءنـا بعد هـدأةٍ من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما قام ولا نـام حتى أصبح قال فأصبح كئيباً حزيناً ساقطاً غبوقُـه على صبوحـه ما يكلّمنا ثم قال ألا تَـرحَلانِ قلنـا وهل بك من رحيل قال نعم فآرحلا فرحلنـا فسِرْنـا بذلك ليلتين من همّه وبثّه ثم قال ليلةً ألا نتحدّث يا ابا سفيـان قلت وهل بك من حديث فوالله ما رايتُ مثل الـذى رجعتَ بـه من عند صاحبك قال لست فيه انمـا ذلك شىءٌ وجلتُ بـه من منقلبى قلت وهل لك من منقلبٍ قال إى والله لأموتنّ ولأحاسبـنّ قلت فهلْ انت قائل امانى قال وعلى ما ذا قلتُ على انك لا تبعث ولا تحاسب فضحك ثم قال بلى والله يا ابا سفيان لَتبعثنّ ولَتُحاسبنّ وليدخلنّ فريق فى الجنّـة وفريق فى النـار قلتُ فى أيّتهمـا انـت أخبرَك صاحبُك قـال لا عِلْم لصاحبى فى ذلك فىّ ولا فى نفسـه

وكنّا في ذلك ليلتنا يعجب منّا ونضحك منه حتى قدمنا غوطة
دمشق وأتاها كنّا نريد فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين ثم ارتحلنا حتى
نزلنا بمالك القرية من قرى النصارى فلما رأوه جاءوه وأهدوا له
وذهب معهم الى بيعهم حتى جاءنا مع نصف النهار فلبس ثوبيه
الأسودين فذهب ولم يدعُنا الليلة كما دعانا أوّل مرّة حتى جاءنا بعد
هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمى بنفسه على فراشه فوالله ما نام
ولا قام فأصبح مسوياً حزيناً لا يكلّمنا ولا نكلّمه ثم قال لي ألا ترحلان
قلت بلى إن شئت قال فأرحِل فرحلنا فسرنا كذلك من بثّه وحزنه
ليالي ثم قال لي ليلةً يا أبا سفيان هل لك في المسير ونتخلّف هذا
الغلام نستأنس بأصحابنا ويستأنسون به قلتُ له ما شئت قال فسِرْ
فسرنا حتى برزنا قال هيه يا صخر قلتُ ما لك قال هيه عن عُتْبة بن
ربيعة أيجتنب المحارم والمظالم قلتُ إي والله قال ويصل الرحم
ويأمر بصلتها قلت نعم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قال وكريم الطرفين
واسطٌ في العشيرة قلت كريم الطرفين واسط في العشيرة قال فهل تعلم
قُرشيّاً أشرف منه قلت لا والله ما أعلم قال أمُحْوِجٌ هو قلتُ لا بل

دو مال قال فكمْ أتى له قلت هو ابن سبعين نطر اليها قد قاربها هو لها هوادبها قال السنّ والشرف أزريا به قلت وما لهما أزريا به لا والله بل هما زاداه خيراً قال هو ذاك هل لك في المبيت قلت هل لك فيه حاجه قال فاضطجعنا حتى مرّ الثقل فسرْنا حتى نزلنا فبتْنا في المنزل وبتْنا ثم رحلنا فلما كان الليل قال يا ابا سفيان قلت لبّيك قال هل لك في البارحه قلت هل لى قال فسرْنا على ناقتين نجيبتين حتى اذا برزنا قال يا صخر إيه عن عتبه قلت إيه عنه قال أيجتنب المحارم والمظالم ويأمر بصلة الرحم ويصلها قلت ويفعل قال ومحوح قلت ومحوح قال تعلم قُرشيا أسود منه قلت والله ما أعلمه قال وكمْ أتى له قلت سبعون قد قاربها هو ادبها قد أوقعها قال فانّ السنّ والشرف ازريا به قلت لا والله ما ازريا به ولكنّهما زاداه وأنت قائل شيئا فقُلْه قال والله لا تذكر حديثى حتى يأتى ما هو آت قلت والله لا أذكره قال الذى رأيتُ أصابنى وإنّى جئتُ هذا العالم فسألتُه عن أشياء قلت اخبرنى عن هذا النبى الذى يُنتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمتُ فمن أىّ العرب قال هو من اهل بيت تحجّه

العرب قلت فمنا نبيٌّ يحتجّه العرب قال لا هم إخوتكم وجيرانكم من قريش قال فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وقد كنت أرجو ان أكون انا هو فاذا كان ما كان فصفْه لي قال هو شابّ حين دخل في الكهولة بدؤ أمره انه يجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو محوج ليس بسارع شرفا كريمُ الطرفين متوسّط في العشيرة أكثرُ جنده من الملائكة قال قلت وما آية ذلك قال قد رجفت بالشام منذ هلك عيسى بن مريم عشر رجفات كلّها فيهم مصيبةٌ عامّةٌ وبقيت رجفة عامّة فيها مصيبة يخرج على أثرها قال ابو سفيان قلت وان هذا هو الباطل لئن بعث الله رسولاً لا يأخذه الا شريفا مُسنّا قال والذي تحلف به ان هذا لهكذا يا ابا سفيان هل لك في المبيت فبتنا حتى مرّ بنا الثقل فرحلنا حتى اذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا الحمرُس خلفنا أصاب الشام بعدكم رجفةٌ دمّرت أهلها وأصابتهم فيها مصيبة عظيمة قال وكيف ترى يا ابا سفيان قلت أرى والله ما أظنّ صاحبك الا صادقا وقدمنا مكّة فقضيتُ ما كان معي ثم انطلقتُ حتى جئتُ

ارض الحبشة تاجراً فمكثتُ بها خمسة أشهر ثم أقبلتُ حتى قدمتُ مكّة فبينا انا في منزلي جاءني الناس يسلّمون عليّ حتى جاءني في اخرهم محمد بن عبد الله صلعم وعندي هِنْدُ جالسة تلاعب صبية لها فسلّم عليّ ورحّب بي وسألني عن سفري ومقدمي ثم انطلق فقلت والله انّ هذا الفتى لعجبٌ ما جاءنا احدٌ من قُرَيش له معي بضاعة الا سألني عنها وما بلغتْ و والله انّ له معي لبضاعةً ما هو بأغناهم عنها ثم ما سألني فقالتْ او ما علمتَ بشأنه قلتُ وفزعتُ ما شانُه قالت والله انه ليزعم انه رسول الله قال فوَقَّرَني ذلك وذكرني قول النصراني ووجمتُ حتى قالت لي ما لك فانتبهتُ وقلتُ ان هذا والله لَهُو الباطل لهو أعقل من ان يقول هذا قالت بلى والله انه ليقوله ويُدعى عليه وانّ له لَصاحبةً معه على أمره قلتُ هو والله باطل فخرجتُ فبينما انا أطوف اذ لقيتُه فقلت انّ بضاعتك قد بلغتْ وكان فيها خيرٌ فأرسِلْ اليها فخُذْها ولستُ آخذاً فيها ما اخذُ من قومك قال فانّي غير آخذها حتى تاخذ مني ما تاخذ من قومي قلتُ ما انا بفاعل قال فوالله إذاً لا اخذها قلتُ فأرسِلْ اليها فأخذتُ منها ما كنتُ اخذ

وبعثتُ اليه ببضاعته ولم أنشب ان خرجتُ تاجراً الى اليمن فقدمتُ الطائف فنزلنا على أميّة فتغدّيتُ معه ثم قلتُ يا ابا عثمان هل تذكر حديث النصرانى قال أذكره قلتُ فقد كان قال ومَن قلتُ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ثم قصصتُ عليه خبر هند قال فالله يعلم انه لَصبّب عرقاً ثم قال يا ابا سفيان لعلّه وإن صِفَتَه لَهِيَهْ ولئن ظهر وأنا حيّ لأبلين الله فى نصرته عُذراً ومضيتُ الى اليمن فلم أنشب ان جاءنى هناك استهلاله وأقبلتُ حتى قدمتُ الطائف فنزلنا على أميّة بن ابى الصلت قلت قد كان من هذا الرجل ما قد بلغك وسمعتَ قال قد كان قلتُ فأين انت قال ما كنتُ لأُومن برسولٍ ليس من ثقيف قال ابو سفيان فأقبلتُ الى مكّة والله ما انا منه ببعيد حتى جئتُه فوجدتُه هو وأصحابه يُضرَبون ويُقهَرون فجعلتُ أقول فأين جُنْدُه من الملائكة ودخلني ما دخل الناس من النفاسة

ووقع فى هذا الحديث من قول ابى سفيان ان عتبة بن ربيعة ذو مال ووقع بعد ذلك من قول ابى سفيان ايضا انه مُحوِج ولا يصحّ ان يجتمع الأمران وأحدُهما غلطٌ من الناقل والله أعلم والمشهور من

حال عتبة انه كان فقيراً وكان يقال لم يسدّ من قريش مُملِقٌ الا عتبة وأبو طالب فانّهما سادا بغير مال

وأما أميّة بن ابى الصلت فرجلٌ من ثقيف لم يَرضَ دين اهل الجاهلية ولا وفّقه الله للدخول في السمحة الحنيفية فكان كما رُوى عن عُروة بن الزبير قال سُئِل رسول الله صلعم عن أمية بن ابى الصلت فقال أوتى علماً فضيّعه وكما رُوى عن الحسن وقتادة انّهما قالا في قول الله تعالى (١) واتلُ عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين انه أمية بن ابى الصلت

قال ابن اسحاق واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظّمونه وينحرون له ويعكفون عنده فخلص منهم اربعة نفر نجيّاً ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وَلْيَكْتُمْ بعضكم على بعض قالوا أجَلْ وهم وَرَقَة بن نوفل وعُبيد الله بن جحش وعثمان بن الحُوَيرث بن أسد بن عبد العزّى وزيد بن عمرو بن نُفَيل فقال بعضهم

---

(١) س ٧ آ ١٧٤

لبعض تعلّموا والله ما قومُكم على شيء لقد أخطئوا دين أبيهم ابراهيم ما حَجَرٌ نُطيف به لا يسمع ولا يُبصر ولا يضرّ ولا ينفع يا قوم التمسوا لأنفسكم [دينا] فانّكم والله ما انتم على شيء فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم وأمّا ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتّبع الكتب من أهلها

وذكر الزبير بن بكّار باسناد له الى عروة بن الزبير قال سُئل رسول الله صلعم عن ورقة بن نوفل فقال لقد رايته في المنام عليه ثياب بيض فقد أظنّ انه لو كان من اهل النار لم أر عليه البياض وكان يذكر الله في شعره في الجاهلية ويسبّحه وهو الذي يقول

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم * انا النذير فلا يغرركم احدُ
لا تعبدن إلاهاً غير خالقكم * فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذي العرش سبحانا ندوم له * ربّ البريّة فرْد واحدٌ صمد
سبحان ذي العرش سبحانا نعود له * وقبل سبّحه الجوديّ والجمد
مسخّرٌ كلّ ما تحت السماء له * لا ينبغي ان يُناوي ملكه احدُ
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه * والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا

ولا سليمان اذ تجرى الرياح به * والانس والجنّ فيما بينها بُرُد

اين الملوك التى دانت لعزّتها * من كل أوب اليها وافدٌ يفد

حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذب * لا بدّ من ورده يوماً كما وردوا

وفى هذا الشعر ألفاظ عن غير الزبير والبيت الأخير كذلك وفيه أبيات تُروى لأمية بن ابى الصلت

قال ابن اسحاق وأما عبيد الله بن جحش فانه أقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى أرض الحبشة ومعه امرأته أمّ حبيبة بنت ابى سفيان مُسلِمةً فلما قدماها تنصّر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانياً وخلف رسولُ الله صلعم بعده على امرأته أم حبيبة وكان حين تنصّر يمرّ بأصحاب رسول الله صلعم فيقول فقّحْنا وصأصأتم اى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد وأما عثمان بن الحُوَيرث فقدم على قَيصَر ملك الروم فتنصّر وحسنت منزلته عنده

وذكر الزبير ان قيصر ملّكه على اهل مكّة وكتب له اليهم فأنفت قريش ان يدينوا لأحدٍ وصاح فيهم ابن عمّه ابو زمعة الأسود بن المطلب بن اسد والناسُ فى الطواف انّ قريشاً لا تَملِكُ ولا تُملك فمضتْ قريش على كلامه ومنعوا عثمان ما جاء يطلب فرجع الى قيصر ومات بالشام مسموماً يقال سَمَّه عمرو بن جفْنة الغسّانى الملك وكان يقال لعثمان هذا البطريق ولا عقب له

قال ابن اسحاق وأما زيد بن عمرو بن نُفَيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تُذبَح على الأوثان ونَهى عن قتل المَوْؤودَة وقال أعبُدُ ربَّ ابراهيم وبَادَى قومَه بعَيب ما هم عليه

قالتْ أسماء بنت ابى بكر الصديق رضها لقد رايتُ زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مُسنِداً ظهرَه الى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحدٌ على دين ابراهيم غيرى ثم يقول اللهم لو انّى أعلم ايَّ الوجوه أحبُّ اليك عبدتُك به ولكن لا أعلم ثم يسجد على راحلته وسأل ابنُه سعيد بن زيد وابن عمّه

عمر بن الخطّاب بن نفيل رضهما رسول الله صلعم أَستغفِرُ لزيد بن عمرو قال نعم فإنه يُبعث أُمّةً وحده وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه

أَربًّا واحدًا أم أَلفَ ربٍّ * أَدينُ إذا تَقسّمتِ الأمورُ
عزلتُ اللاتَ والعُزّى جميعًا * كذلك يفعل الجَلْدُ الصبورُ
فلا العزّى أدينُ ولا ابنتيها * ولا صنمَيْ بني عمرٍو أزورُ
ولا غَنْمًا أدينُ وكان ربًّا * لنا في الدهر إذ حلمي يسيرُ
عجبتُ وفي الليالي مُعجِباتٌ * وفي الأيام يعرفها البصيرُ
فإنّ الله قد أفنى رجالًا * كثيرًا كان شأنَهمُ الفجورُ
وأبقى آخرين ببِرِّ قومٍ * فيربُلُ منهم الطفلُ الصغيرُ
وبينا المرءُ يعثر ثاب يومًا * كما يتروّح الغُصنُ المطيرُ
ولكن أعبُدُ الرحمنَ ربّي * ليغفرَ ذنبيَ الربُّ الغفورُ
فتقوى الله ربِّكمُ احفظوها * متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرارَ دارهمُ جِنانٌ * وللكفّارِ حاميةٌ سعيرُ
وخِزيٌ في الحياة وإن يموتوا * يلاقوا ما تضيقُ به الصدورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل وذكر ابن هشام ان اكثرها لأمية بن ابي الصلت في قصيدة له

الى الله أهدي مِدحتي وثنائيا * وقولاً رصيناً لا يني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه * إلهٌ ولا ربٌّ يكون مُدانيا
ألا ايّها الانسان اياك والرَّدى * فانّك لا تُخفي من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره * فانّ سبيل الرُّشد أصبح باديا
حنانيك ان الجنّ أنت رجاؤهم * وأنت إلهي ربّنا ورجائيا
رضيتُ بك اللهم ربّاً فلن أرى * أدينُ الاهاً غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل منٍّ ورحمةٍ * بعثتَ الى موسى رسولاً مناديا
فقلت له يا اذهبْ وهارون فادْعُوا * الى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقُولا له أأنت سوّيت هذه * بلا وتدٍ حتى اطمأنّتْ كما هيا
وقولا له أأنت رَفعتَ هذه * بلا عمدٍ أَرْفِقْ اذا بك بانيا
وقولا له أأنت سوّيت وسطها * مُنيرا اذا ما جنّه الليلُ هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوةً * فيصبح ما مسّتْ من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحبّ في الثرى * فيُصبح منه البقلُ يهْتزّ رابيا

ويخرج منه حبّه في رؤوسه * وفي ذاك آياتٌ لِمَن كان واعيا

وأنت بفضلٍ منك نَجّيت يُونُساً * وقد باتَ في أضعافِ حوتٍ لياليا

وانّي وإن سبّحتُ باسمِكَ رَبّنا * لأُكثِرُ إلّا ما غَفَرْتَ خطائيا

فربَّ العِباد أَلْقِ سَيْباً ورحمةً * عليّ وبارِكْ في بَنِيَّ وماليا

وقال زيد بن عمرو ايضا ·

اسلمتُ وجْهي لِمَن أسلمَتْ * له الأرضُ تحمِلُ صخْراً ثقالا

دَحاها فلمّا رآها استوَتْ * على الماء أرْسَى عليها الجبالا

وأسلمتُ وجهي لمن اسلمتْ * له المُزْنُ تحمل عَذْباً زُلالا

إذا هيَ سِيقَتْ الى بلدةٍ * أطاعتْ فصبّتْ عليها سِجالا

ويُروى ان زيداً كان اذ استقبل الكعبة داخِل المسجد قال لبّيكَ حقّاً حقّاً، تعبّداً ورِقّاً، عُذتُ بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم اذ قال أنفي لكَ عانٍ راغِم مهْما تجشّمني فانّي جاشم البرّ أبغي لا الخال، ليس مهجّر كمَنْ قال، ويقال البرّ أبغي لا الخال، وكان الخطّاب بن نفيل قد آذى زيداً حتى أخرجه الى أعلى مكّة فنزل حِراءَ مقابل مكّة وكان الخطّاب عمّه وأخاه لأمّه ووكّل به شباباً من

بشاب قريش وسفهائهم فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها الا سرًّا منهم فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطّاب فأخرجوه وآذوه مخافةً ان يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه احدٌ منهم على فراقه وكان زيد قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين ابراهيم وكانت امرأته صفيّة بنت الحضرمي كلّما رأته قد تهيّأ للخروج وأراده آذنت به الخطّاب بن نفيل وكان الخطاب وكّلها به وقال اذا رأيته همّ بأمرٍ فآذنيني به ثم خرج يطلب دين ابراهيم ويسال الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلّها ثم أقبل فجال الشامَ كلّها حتى انتهى الى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهي اليه علمُ أهل النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انّك لتطلُب دينا ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلّك زمانُ نبيّ يخرج في بلادك التي خرجت منها يُبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحقْ به فانّه مبعوث الآن هذا زمانُه وقد كان زيد شامّ اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منها فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال

يريد مكة حتى اذا توسّط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يبكيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانّما * تجنّبتَ تنّوراً من النار حاميا
بدينك ربّا ليس ربٌّ كمثله * وتركك أوثان الطواغي كما هيا
فأصبحت في دار كريمٍ مُقامُها * تُعلّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تُلاقي خليل الله فيها ولم تكن * من الناس جبّاراً الى النار هاويا
وقد تُدرِكُ الانسان رحمةُ ربّه * ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

قال ابن اسحاق وكان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله صلعم مما أثبت يحنّس الحواريّ لهم حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسى ابن مريم اليهم في رسول الله صلعم انه قال من ابغضني فقد ابغض الرب ولولا اني صنعتُ بحضرتهم صنائع لم يصنعها احدٌ قبلي ما كانت لهم خطيئةٌ ولكن من الآن بطروا وظنّوا انهم يعزّونني وأيضاً للرب ولكن لا بدّ من ان تتمّ الكلمة التي في الناموس انهم ابغضوني مجّاناً اي باطلاً فلو قد جاء المنحمنّا هذا الذي يُرسله الله اليكم من

عند الربّ روح القِسْط هو الذي من عند الربّ خرج فهو شهيدٌ عليّ وأنتم أيضا لانّكم قديماً كنتم معي هذا قلتُ لكم لِكيلا تشكّوا فالمنحمّنا بالسريانية هو محمد صلعم وهو بالرومية البَرَقْليطس

قال ابن هشام وبلغني ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتاباً عندهم فكلّما مات رئيس منهم وأفضت الرياسةُ الى غيره خَتَمَ على ذلك الكتاب خاتماً مع الخواتم التي قبلها ولم يكسرها فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلعم يمشي فعثر فقال ابنه تَعِسَ الأبعد يريد النبي صلعم فقال له ابوه لا تفعل فانه نبيٌّ واسمه في الوصائع يعني الكتب فلما مات لم تكن لابنه همّةٌ الا ان شدّ فكسر الخواتم فوجد ذكر النبي صلعم فأسلم فحسن اسلامه وحجّ وهو الذي يقول

اليك تعدو قلِقاً وضينُها

معترضاً في بطنها جنينُها ✻ مخالفاً دينَ النصارى دينُها

وقد جاءت أحاديث حِسانٌ بما وقع من صفة النبي صلعم في التوراة لم يذكر ابن اسحاق منهم شيئا فمن ذلك ما ذكره الواقدي عن عطاء بن يسار قال لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاصي فقلت اخبرني

من صفة رسول الله صلعم في التوراة فقال اجل والله انه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن يا ايها النبي انّا أرسلناك شاهداً ومبشّرا ونذيراً (١) وحِرْزاً للأميين انت عبدي ورسولي سمّيتُك المتوكّل ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يدفع السيّئة بالسيّئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملّةَ العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله يفتح بها أعيناً عُمْياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً قال عطاء ثم لقيتُ كعب الأحبار فسألته فما اختلفا في حرف

وذكر الواقدي انضا عن النعمان السبائي قال كان من أحبار اليهود باليمن فلما سمع بذكر النبي صلعم قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال ان أبي كان يختم على سِفْر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبيّ قد خرج بيثرب فإذا سمعتَ به فافتحه فقال نعمان فلما سمعتُ بك فتحتُ السِفر فإذا فيه صفتُك كما أراك الساعة وإذا فيه ما تُحلّ وما تحرّم وإذا فيه انك خير الأنبياء وأمّتك

---

(١) س ٣٣ آ ٤٤

خير الأمم واسمك أحمد صلى الله عليك وسلم وأمتك الحمادون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم لا يحصرون قبالاً الا وجبريل معهم يحنن الله عليهم كتحنن الطير على أفراخه ثم قال لي اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدّق به فكان النبي صلعم يحب ان يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوماً فقال له النبي صلعم يا نعمان حدّثنا فابتدأ النعمان الحديث من اوّله فرئي رسول الله صلعم يبتسم ثم قال اشهد اني رسول الله ويقال ان النعمان هذا هو الذي قتله الأسود العنسي وقطعه عضواً عضواً وهو يقول أشهد ان محمداً رسول الله وانك كذّاب مفتر على الله عز وجل ثم حرقه بالنار

***

ذكر المبعث

قال ابن اسحاق فلما بلغ رسول الله صلعم اربعين سنة بعثه الله رحمةً للعالمين وكافّة للناس وكان الله تعالى قد أخذ له الميثاق على كل نبيّ بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم ان يؤدّوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول الله تعالى لنبيه محمد صلعم (١) وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي اي ثقل ما حمّلتكم من عهدي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له والنصر وأدّوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم من اهل هذين الكتابين

(١) س ٣ آ ٧٥

فعن عائشة رضها ان اول ما ابتُدِئ به رسول الله صلعم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يُرَى رويا الا جاءت كفَلَق الصُّبح وحبّب الله اليه الخلوةَ فلم يكن شيء أحبَّ اليه من ان يخلو وحده

وعن بعض أهل العلم ان رسول الله صلعم حين أراده الله بكرامته وابتدائه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسرَ عنه البيوتُ ويُفضِيَ الى شعاب مكة وبطون اوديتها فلا يمرّ رسول الله صلعم بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله فيلتفت رسول الله صلعم حوله عن يمينه وشماله فلا يرى الا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله ان يمكث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحِرَاءٍ في شهر رمضان

وعن عُبيد بن عُمير بن قتادة الليثي يحدث كيف كان بدء ما ابتُدِئ به رسول الله صلعم من النبوة حين جاءه جبريل قال كان رسول الله صلعم يجاور في حراء من كل سنة شهراً وكان ذلك ممّا تحنّث به قريش في الجاهلية والتحنُّث التبرّر فكان يجاور ذلك

الشهر من كلّ سنة نُطعِم من جاءه من المساكين فإذا قضى جوارهُ من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته فيطوف بها سبعاً او ما شاء الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي اراد الله به فيه ما اراد من كرامته وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلعم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى اذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحمَ العباد بها جاءه جبريل بأمر الله قال رسول الله صلعم فجاءني وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قلت ما أقرأ فغتّني به حتى ظننتُ انه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أقرأ فغتّني به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أقرأ فغتّني به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ماذا أقرأ ما أقول ذلك الا افتداءً منه ان يعود لي بمثل ما صنع فقال اقرأ بأسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببتُ من نومي فكأنما كُتبتْ في قلبي كتابا فخرجت حتى

إذا كنت في وَسَطٍ من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد
أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا
جبريل في صورة رجل صافٍّ قدميه في أُفُق السماء يقول يا محمد
أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر
وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها
إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع
ورائي حتى بعثت خديجة رُسُلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا
إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت
راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مُضيفا إليها
فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك
حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت أبشر
يا ابن عمي واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن
تكون نبي هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت
إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع
من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلعم

انه رأى وسمع فقال ورقة قُدّوس قُدّوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الامة فقولى له فليثبت فرجعت خديجة الى رسول الله صلعم فأخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله صلعم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن اخي اخبرني بما رايت وسمعت فأخبره رسول الله صلعم فقال له ورقة والذى نفسي بيده انك لنبي هذه الامه ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتُكَذَّبَنّه ولتؤذَيَنّه ولتقاتَلَنّه ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصُرَنّ الله نصراً يعلمه ثم أدنى راسه منه فقبّل يافوخه ثم انصرف رسول الله الى منزله

ويروى عن خديجة انها قالت لرسول الله صلعم أيْ ابْنَ عَمّ استطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فاخبرني به فجاءه جبريل كما كان يصنع فقال رسول الله صلعم يا خديجة هذا جبريل قد جاءني قالت قم يا ابن

عم فأجلس على فخذى اليسرى فقام فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحوّل فاقعد على فخذى اليمنى فتحوّل فقعد على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحوّل فأجلس فى حجرى فتحوّل فجلس فى حجرها ثم قالت له هل تراه قال نعم فتحسّرت وألقت خمارها ورسول الله صلعم جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم أثبتْ وأبشرْ فوالله انه لَمَلَكٌ وما هذا بشيطان

ويروى ان خديجة أدخلت رسول الله صلعم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل

وابتُدِئ رسول الله صلعم بالتنزيل فى رمضان يقول الله عز وجل (١) شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلْفُرْقَانِ وقال (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ الى خاتمة

(١) س ٢ آ ١٨١

(٢) س ٩٧ آ ١

السورة وقال(١) حمٓ وَالكِتَابِ المُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وقال (٢) إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ يعني ملتقى رسول الله صلعم والمشركين ببدر وذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان

هكذا أورد ابن اسحاق رح هذه الآيات كالمستشهد بها على ابتداء التنزيل في شهر رمضان على رسول الله صلعم وفي صورة هذا الاستشهاد نظر فإن ظاهر قوله سبحانه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن عموم نزول القرآن بجملته فيه وكذلك قوله إنا أنزلناه في ليلة القدر وإنا أنزلناه في ليلة مباركة ولم يقع الأمر في إنزاله على رسوله صلعم هكذا بل أنزله الله عليه في رمضان وفي غيره مفرقاً آيات وسوراً بحسب سؤال السائلين أو أحداث المحدثين أو ما شاء

---

(١) س ٤٤ آ ١-٤

(٢) س ٨ آ ٤٢

الله من هدايته العالمين وقد قيل في قوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن اى الذى انزل فى شانه القرآن اى نزل الامر من الله عزّوجلّ بصيامه كتابا يُتلى وقرآنا لا يُدرس ولا يبلى كما يقال نزل القرآن بالصلاة اى نزل حكمها بفرضها ونزل القرآن فى عائشة واذا نزلت فيه آيات براءتها من الإفك ومثل هذا الاطلاق موجود فى الاحاديث والآثار كثيراً واسلّم ان معنى قوله انزل فيه القرآن اى ابتدئ فيه إنزاله وقد قيل ذلك وليس ببعيد فى المفهوم ولا مما يضيق عنه سعة الكلام ثم يجرى ذلك المجرى فى الآيتين الأخريين وهما (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ (٢) وَإِنَّا أَنزَلْنَاهُ فى ليلة القدر وإن بعد ذلك فيهما اما ورد من الآثار الصحيحة بحكم عمومها حسبما نذكره بعد مما بال الاية الاخرى التى هى (٣) وما

---

(١) س ٤٤ آ ٢

(٢) س ٩٧ آ ١

(٣) س ٨ آ ٤٢

أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى الجَمْعَانِ تنتظم في هذا النظام وقد اعقبها مفسّراً بان المعنى بذلك يوم بدر وهو الحق وهل كان يوم بدر الا في السنة الثانية من الهجرة وبعد اثنتي عشرة سنة من البعث ونزول الوحي او بعد خمس عشرة سنة ما ورد من الخلاف في مدة مكث رسول الله صلعم بمكة بعد النبوة وما زال القران المكّي والمدنيّ ينزل فيما مضى بتلك السنين فإن كان ابن اسحاق عنى ما ذكرناه عنه ونسبناه اليه فقد بيّنّا وجه ردّه واستوفينا التنبيه عليه وإن كان عنى غير ذلك فقصّر عنه تحرير عبارته او سقط على الناقل من كلامه ما كان يفي لو بقي افهامه فالله تعالى اعلم والرجل أولى منا بان يصيب ويسلم الا انه لا يُنكر ان يغلط هذا البشر ونعوذ بالله ان نقصد بهذا الاعتداء على ذي علم او الغض من ذي حق فان العلماء هم أباؤنا الاقدمون وهداتنا المتقدمون بأنوارهم نسري فنُبصر ونستبصر والى غاياتهم نجري فطورا نصل وأطوارا نقصر فلهم دوننا قصب السبق، ولهم علينا في كل الاحوال أعظم الحق، اذا أصابوا اهتدينا، وإذا أخطؤا استفدنا، واذا أفادوا استمددنا، فجزاهم

الله عنا أفضل الجزاء، ووفّقنا لتوفية حقوق الائمة والعلماء، وبعد فمن أحسن ما يتعلق بتلك الايات الثلاث التى صدر بها كلامه مما يحفظ حكم عمومها، ويطابق ظاهر مفهومها، ما رواه سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضه ان القران أُنزل جملة واحدة فى شهر رمضان الى سماء الدنيا فجعل فى بيت العِزّة ثم أنزل على النبى صلعم شيئاً فشيئاً الى حين وفاته

وقيل للشعبى شهر رمضان الذى أنزل فيه القران اما كان ينزل فى سائر السنة قال بلى ولكن جبريل عم كان يعارض محمدا صلعم فى شهر رمضان ما انزل فى ماضى السنة فيمحو الله ما يشاء ويُثبت

قال ابن اسحاق ثم تتابع الوحىُ الى رسول الله صلعم وهو مؤمن بالله مصدِّق لما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمّل منه ما حُمّله على رضا العباد وسَخَطِهم وللنبوة اثقال ومؤونة لا يحملها ولا يستطيع بها الا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقَوْن من الناس وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله عزوجل فمضى رسول الله صلعم على امر الله على ما يَلْقى من قومه من الخلاف والاذى وآمنت

به خديجة ابنة خُوَيْلِد وصدّقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره . فكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدّق بما جاء منه فخفّف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك الّا فرّج اللهُ عنه بها اذا رجع اليها تثبّته وتخفّف عليه وتصدّقه وتهوّن عليه امر الناس رحمها الله

ثم فتر عن رسول الله صلعم الوحيُ حتى شق عليه وأحزنه فجاءه جبريل بسورة وَالضّحى يُقسم له ربّه جل تعالى وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ما ودّعه وما قلاه فقال (١) والضّحى واللّيل إذا سجى ما ودّعك ربّك وما قلى يقول ما صَرَمك فتركك وما أبغضك منذ أحبّك وللآخرة خيرٌ لك من الأولى اي لما عندي من مرجعك اليّ خير لك مما عجّلتُ لك من الكرامة في الدنيا ولسوف يُعطيك ربّك فترضى من الفَلْج في الدنيا والثواب في الآخرة ألم يجدك يتيما فآوى ووَجدك ضالًّا فهدى ووجدك

---

(١) س ٩٣ آ ١ — ١١

عائلاً فأغنى، يعرفه ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومَنّه عليه في يُتمه وعَيلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته فأمّا اليتيم فلا تقهر وأمّا السائل فلا تنهر اي لا تكن جبّاراً ولا متكبّراً ولا فحّاشاً فظّاً على الضعفاء من عباد الله وأمّا بنعمة ربّك فحدّث اذكرها وادعُ اليها فجعل رسول الله صلعم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً الى من يطمئنّ اليه من أهله

وافتُرضت عليه الصلاة فصلّى صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته قالت عائشة رضي الله عنها افتُرضت الصلاة على رسول الله صلعم أول ما افتُرضت ركعتين ركعتين كل صلاة ثم ان الله أتمّها في الحضر اربعاً وأقرّها في السفر على فرضها الاول ركعتين

وقال بعض أهل العلم ان الصلاة حين افتُرضت على رسول الله صلعم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضّأ جبريل ورسول الله ينظر اليه ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضّأ رسول الله صلعم كما رأى جبريل توضّأ ثم قام

به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلعم بصلاته ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها ثم صلّى بها كما صلى به جبريل وصلت بصلاته

وعن نافع بن جُبير بن مُطْعم وكان كثير الرواية عن ابن عبّاس رضه قال لما افترضت الصلاة على رسول الله صلعم أتاه جبريل فصلى به الظهر حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان ظلّه مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشّفَق ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ثم صلى به الظهر حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليْه ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالامس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الاول ثم صلى به الصبح مُسْفِراً غير مُشْرِق ثم قال يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالامس

قال ابن اسحاق ثم كان أوّل ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلعم وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تبارك وتعالى عليّ بن ابى

طالب رضه وهو ابن عشر سنين يومئذ وكان مما أنعم الله به عليه انه كان فى حجر رسول الله صلعم قبل الاسلام وذلك ان قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدةٌ وكان ابو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلعم للعباس عمه وكان من أيسر بنى هاشم يا عباس ان أخاك ابا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله آخُذُ من بنيه رجلا وتاخذ انت رجلا فنكفُلهما عنه قال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا ابا طالب فقالا انا نريد ان نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما ابو طالب اذا تركتما لى عقيلاً فاصنعا ما شئتما ويقال عقيلا وطالباً فأخذ رسول الله صلعم عليّاً فضمّه اليه وأخذ العباس جعفراً فضمه اليه فلم يزل علىّ مع رسول الله صلعم حتى بعثه الله نبياً فاتبعه على وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه

وذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلعم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على بن ابى طالب مستخفياً من

ابي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله ان يمكثا ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله يا ابن اخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال اي عمّ هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم او كما قال صلعم بَعَثَني الله به رسولا الى العباد وأنت اي عم أحقّ مَنْ بذلتُ له النصيحة ودَعَوْتُه الى الهدى وأحق من أجابني اليه وأعانني عليه او كما قال فقال ابو طالب اي ابن اخي اني لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يُخلص اليك بشيء تكرهه ما بقيتُ

وذكروا انه قال لعلي اي بُنيّ ما هذا الدين الذي انت عليه فقال يا أبت آمنتُ برسول الله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته فزعموا انه قال له أما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه

قال ابن اسحاق ثم أسلم زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلعم وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن ابي طالب ومن غير ابن اسحاق ان زيدا أصابه في الجاهلية ... فاشتراه حكيم بن حزام

لعمّته خديجة بنت خويلد وقيل بل وهبته لها فوهبته خديجة لرسول الله صلعم فاعتقه وتبنّاه وذلك قبل ان يُوحَى اليه وكان ابوه حارثة قد جزع عليه جزعاً شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعلْ * أحيٌّ فيُرجى ام اتى دونه الأَجلْ
فوالله ما أدري وإني لسائلٌ * أغالك بعدي السهلُ ام غالك الجبلْ
ويا ليت شعري هل لك الدهر اوبةٌ * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بَجلْ
تذكّرنيه الشمسُ عند طلوعها * وتعرض ذكراه اذا قرنُها أفلْ
وإن هبّت الأرواح هيّجن ذكره * فيا طول ما حُزني عليه وما وجلْ
سأعمل نصّ العيس في الارض جاهدا * ولا أسأم التطواف او تسأم الإبلْ
حياتي او تأتي عليّ منيّتي * فكل آمرئ فانٍ وإن غرّه الأملْ

ثم ان أناسا من كلب حجّوا فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فأعلموا اباه ووصفوا له موضعه وعند من هو فخرج ابوه حارثة وعمّه كعب ابنا شراحيل لفدائه وقدما مكة فسألا عن النبي صلعم فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه انتم اهل حرم الله وجيرانه تفكّون العاني وتطعمون الاسير جئناك في ابننا عندك

فآمْنُنْ علينا وأحسِنْ الينا في فدائه قال من هو قالا زيد بن حارثة فقال رسول الله صلعم فهلاّ غير ذلك قالا ما هو قال ادعوه فاخيّروه فإن اختاركم فهو لكم وإن اختارني فوالله ما انا بالذي أختارُ على من اختارني أحداً قالا قد زِدتَّنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء قال نعم قال من هذا قال ابي وهذا عمي قال قد علمتَ ورأيت صحبتي لك فآخترني او اخترهما قال زيد ما انا بالذي اختار عليك أحداً انت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد اتختار العبودية على الحرّية وعلى ابيك وعمك وأهل بيتك قال نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما انا بالذي أختار عليه أحداً ابداً فلما رأى ذلك رسول الله صلعم أخرجه الى الحِجْر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وأرثه فلما سمع ذلك ابوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا ودُعِيَ زيد بن محمد حتى جاء الله بالاسلام ونزلت (١) أُدْعُوهم لِآبَائِهِمْ هُوَ اقْسَطُ عِنْدَ ٱللّٰهِ فدُعِيَ من يومئذ زيد بن حارثة

---

(١) س ٣٣ آ ٥

قال ابن اسحاق ثم أسلم ابو بكر بن ابى قُحافة رضه واسمه عَتيق وقيل عبد الله وعتيق لقبٌ لحُسْن وجهه وعتقه فيما قال ابن هشام واسم ابى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لُؤَىّ فلما أسلم أظهر اسلامه ودعا الى الله والى رسوله وكان ابو بكر رضه رجلا مألفاً لقومه محبّباً سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر وكان رجلا تاجراً ذا خُلُق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر لعلمه وتجارته وحُسْن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه و يجلس اليه فأسلم بدعائه فيما بلغني عثمان بن عفان بن ابى العاصى بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَىّ والزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب وسعد بن ابى وقّاص مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فجاء بهم

الى رسول الله صلعم حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا فكان رسول الله صلعم يقول فيما بلغني ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوةٌ ونظرٌ وتردّدٌ الا ما كان من ابي بكر بن ابي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردّد فيه قال فكان هولاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام وصلّوا وصدّقوا رسول الله صلعم بما جاءه من الله

ثم أسلم ابو عُبَيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أُهَيب بن ضبّة بن الحرث بن فهر وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والارقم بن ابي الارقم بن أسد ابي جُندَب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون وعبيدة بن الحرث بن المطّلب بن عبد مناف بن قُصيّ وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤي وامرأته فاطمة

بنت عمه الخطاب بن نفيل أخت عمر بن الخطاب وأسماء بنت أبي بكر الصدّيق وعائشة بنت أبي بكر الصديق وهي يومئذ صغيرة وخبّاب بن الأرتّ حليف بني زهرة وعُمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة وجماعة سوى هؤلاء سمّاهم ابن إسحاق قال ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتُحُدّث به

ثم إن الله عز وجل أمر رسوله أن يصدع بما جاءه منه وأن يُنادي الناس بأمره ويدعو إليه وكان ما أخفى رسولُ الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهاره ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه ثم قال له الله اصدعْ بما تؤمر وأعرض عن المشركين ثم قال وأنذرْ عشيرتك الأقربين واخفضْ جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقُل إني أنا النذير المبين قال وكان أصحاب رسول الله صلعم إذا صلّوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلعم في شعب من شعاب مكة إذ ظهر

عليهم ناس من المشركين وهم يصلّون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بِلَحْىِ بَعِيرٍ فشجّه فكان أول دم هُرِيقَ فى الاسلام فلما بادى رسول الله صلعم قومه بالاسلام وصَدَعَ به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه حتى ذكر آلِهَتَهُمْ وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته الا مَنْ عصم اللهُ منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحَدِبَ على رسول الله صلعم عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلعم على امر الله مُظهِراً له لا يرده عنه شىء

فلما رات قريش ان رسول الله صلعم لا يُعتِبهم من شىء انكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا ان عمه ابا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يُسلِمه لهم مشى رجال من أشرافهم الى ابى طالب عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب وأبو البَخْتَرى بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قُصىّ والاسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزى وابوجهل بن

هشام بن المغيرة ونُبيئهُ ومُنبّهُ ابنا الحجاج والعاصى بن وائل او من مشى منهم فقالوا يا ابا طالب ان ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلل آباءنا فإما ان تُخلّيَ بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقاً وردّهم ردّاً جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلعم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه ثم شَرِيَ الامر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلعم بينها فتذامروا فيه وحضّ بعضهم بعضاً عليه ثم انهم مشوا الى ابى طالب مرة أخرى فقالوا له يا ابا طالب ان لك سنّا وشرفاً ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن اخيك فلم تَنْهَهُ عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكُفّه عنا او ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك احدُ الفريقين او كما قالوا ثم انصرفوا عنه فعظُم على ابى طالب فراقُ قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلعم ولا خذلانه وذكر ان ابا طالب حين قالت له قريش هذه

المقالة بعث الى رسول الله صلعم فقال له يا ابن اخي ان قومك
قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي قالوا له فأبق عليّ وعلى نفسك
ولا تحملني من الامر ما لا أطيق فظن رسول الله صلعم انه قد
بدا لعمه فيه بداء وانه خاذله ومسلمه وانه قد ضعف عن نصرته
والقيام معه فقال له والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في
يساري على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله او أهلك فيه
ما تركته ثم استعبر رسول الله صلعم فبكى ثم قام فلما ولّى ناداه ابو
طالب فقال أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن
اخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء ابدا

ثم ان قريشا حين عرفوا ان ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله
صلعم وإسلامه مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا ابا
طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله فخذه
فلك عقله ونصره واتخذه ولدا وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي
خالف دينك ودين آبائك وفرّق جماعة قومك وسفّه أحلامهم

فتقبله فإذا هو رجل كرجل قال والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبداً فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً فقال له أبو طالب والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال فحقب الأمرُ وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضاً

قال ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلعم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذّبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله تبارك وتعالى رسوله منهم بعمه أبي طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلعم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي لهب

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جهدهم وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره فقال

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها

وإن حصلت أشراف عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكنا قديما لا نقر ظلامة * إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

ونحمي حماها كل يوم كريهة * ونضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العود الذواء وإنما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا قالوا فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا

نقول فيه قال بل انتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد راينا الكُهّان فما هو بزَمْزَمة الكاهن ولا سجْعه قالوا فنقول مجنون قال وما هو بمجنون لقد راينا الجنون وعرفناه فما هو بخَنْقه ولا تخالُجه ولا وَسْوَسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر قد راينا السُّحّار وسحرهم فما هو بنَفْثه ولا عُقده قالوا فما نقول يا ابا عبد شمس قال والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة وما انتم بقائلين من هذا شيئاً الا عرف انه باطل وان أقرب القول فيه لان تقولوا ساحر جاء بقول هو سِحْر يفرّق به بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسُبُل الناس حين قدموا الموسم لا يمرّ بهم احد الا حذّروه اياه وذكروا لهم أمره وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلعم وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها

فلما خشِيَ ابو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته

التي تعوّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله صلعم ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه وأولها

لما رأيت القوم لا وُدّ فيهم * وقد قطعوا كل العُرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وقد حالفوا قوما علينا أظنّة * يعضّون غيظا خلفنا بالأنامل

صبرتُ لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تُراث المقاول

وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي * وأمسكت من أثوابه بالوصائل

قياما معا مستقبلين رتاجه * لدى حيث يقضي حلفه كل نافل

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم * بمُفضى السيول من إساف ونائل

موسّمة الأعضاد أو قصراتها * مخيّسة بين السديس وبازل

ترى الودع فيها والرخام وزينة * بأعناقها معقودة كالعثاكل

أعوذ بربّ الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو مُلحّ بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن مُلحق في الدين ما لم نُحاول

وَثَوْرٍ ومن أَرْسَى ثبيراً مكانه * وراقٍ ليَرْقَى فى حراءٍ ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
وبالحجر الاسود اذ يمسحونه * اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل
وموطىء ابراهيم فى الصخر وَطْئَةً * على قدميه حافياً غير ناعل
ومَنْ حجّ بيت الله من كل راكب * ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له * إلال الى مُفْضَى الشراج القوابل
وتَوْقافِهم فوق الجبال عشية * يقيمون بالايدى صُدورَ الرواحل
وليلةِ جمْعٍ والمنازل من مِنًى * وهل فوقها من حُرْمة ومنازل
وجمعٍ اذا ما المُقْرَبات أَجَزْنَهُ * سراعاً كما يخرجن من وَقْع وابل
وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها * يؤمّون قذفاً رأسها بالجنادل
وكندة اذ هم بالحِصاب عشية * تُجيز بهم حُجّاج بكر بن وائل
حليفان شدّا عقد ما احتلفا له * وردّا عليه عاطفات الوسائل
وحطْمِهم سُمْرَ الصفاح وسَرْحه * وشِبْرِقَهُ وَخْد النَّعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذٍ * وهل من مُعيذ يتقى اللهَ عادلِ
يُطاعُ بنا العِدَى ووَدّوا لو اننا * تُسَدّ بنا أبواب تُرْك وكابُلِ

كذبتم وبيت الله نترك مكة * ونظعن الا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نُبزَى محمداً * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونُسلمه حتى نُصرَّع حوله * ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد اليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه * من الطعن فعْل الانكب المتحامل
وانّا لعمرُ الله ان جدّ ما أرى * لتلتبسنْ أسيافنا بالاماثل
بكفّيْ فتى مثل الشهاب سميْدعٍ * أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
وما تَرْكُ قوم لا ابالك سيداً * يحوط الذمار غير ذرب مُواكل
وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه * ثمالُ اليتامى عِصْمة للارامل
يلوذ به الهُلّاك من آل هاشم * فهم عنده في رحمة وفواضل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شرّ عاجلا غير آجل
بميزان قسْطٍ لا يُخِسُّ شعيرةً * له شاهدٌ من نفسه غير عائل
لقد سفهتْ أحلامُ قوم تبدّلوا * بني خلف قيْضاً بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قُصيّ في الخطوب الاوائل
وسهْمٌ ومخزوم تمالوا وألّبوا * علينا العِدى من كل طِمْلٍ وخامل

فعبد مناف أنتمُ خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كلّ واغل

لعمري لقد وهنتمُ وعجزتمُ * وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل

فإن تك قوماً نتّقد ما صنعتمو * وتحتلبوها لقحة غير باهل

وأبلغ قصيّا ان سيُنشر أمرنا * وبشّر قصيّاً بعدنا بالتخاذل

ولو طرقت ليلا قصيّا عظيمة * اذا ما لجأنا دونهم في المداخل

ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم * لكُنّا أُسى عند النساء المطافل

فإن تك كعب من لؤي صغيرة * فلا بدّ يوماً مرة من تزايل

وكل صديق وابن اخت نعدّه * لعمري وجدنا غبّه غير طائل

سوى أنّ رهطا من كلاب بن مرة * براء الينا من معقّة خاذل

ونعم ابن اخت القوم غير مكذّب * زهيرٌ حساما مُفردا من حمائل

اشمّ من الشمّ البهاليل ينتمي * الى حسب في حومة المجد فاضل

لعمري لقد كُلّفتُ وجدا بأحمد * وإخوته دأب المُحبّ المُواصل

فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها * وزينا لمن والاه ربّ المشاكل

فمن مثله في الناس أيّ مؤمّل * اذا قاسه الحكّام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش * يوالي إلاها ليس عنه بغافل

فأيّده رب العباد بنصره * وأظهر ديناً حقّه غير ناصل
فوالله لولا ان اجيء بسُبّة * تُجَرّ على أشياخنا في القبائل
لكنا آتّبعناه على كل حالة * من الدهر جِدّاً غير قول التهازُلِ
لقد علموا أنّ آبْننا لا مكذَّبٌ * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا أحدُ في أُرومة * يُقصّر عنها سَوْرةُ المتطاول
حدبْت بنفسي دونه وحميته * ودافعت عنه بالذَّرَى والكلاكل

وذكر ابن هشام ان بعض اهل العلم بالشعر ينكر أكثر هذه القصيدة قال وحدثني من اثق به قال أَقْحَطَ اهل المدينة فأتوا رسول الله صلعم فشكوا اليه ذلك فصعد المنبر فآستسقى فما لبث ان جاء من المطر ما اتاه اهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلعم اللهم حَوالَيْنا ولا علينا فآنجاب السحابُ عن المدينة فصار حواليها كالاكليل فقال رسول الله صلعم لو ادرك ابو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كانك يا رسول الله أردت قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
قال أجَلْ

قال ابن اسحاق فلما انتشر أمر رسول الله صلعم في العرب وبلغ البلدان ذُكر بالمدينة ولم يكن حيٌّ من العرب أعلم برسول الله صلعم حين ذُكر وقبل ان يُذْكَر من الاوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم في بلادهم فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال ابو قيس بن الاسلت الاوسي وكان يحب قريشاً وكان يقيم فيهم السنين بامرأته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصيّ قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشاً عن الحرب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويأمرهم بالكفّ بعضهم عن بعض وعن رسول الله صلعم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه الفيل عنهم فقال

يا راكباً إما عرضت فبلِّغَنْ * مغلغلة عني لُؤَيّ بن غالب
رسول آمرءٍ قد راعه ذاتُ بينكم * على النأي محزون بذلك ناصب
وقد كان عندي للهموم معرّس * ولم أقض منها حاجتي ومآربي
أعيذكمُ بالله من شرّ صُنْعكم * وشر تباغيكم ودَسّ العقارب
وإظهارِ اخلاقٍ ونجوى سقيمة * كوَخْز الاشافي وَقْعها حقّ صائب

فذكّرهمُ بالله أول وهلة * وإحلال إحرام الظباء الشوازب
وقل لهمُ والله يحكم حُكْمه * ذَرُوا الحرب تذهبْ عنكم في المراحب
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * هي الغول للاقصَيْن او للاقارب
تُقطّع أرحاما وتُهلك امة * وتبري السديف من سنام وغارب
وإياكم والحرب لا تُعْلِقَنّكم * وحوضاً وخيم الماء مُرّ المشارب
تزيّن للاقوام ثم يرونها * بعاقبة اذ بيّنت أمّ صاحب
تُحرّق لا تُشْوِي ضعيفاً وتنتحي * ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب
ألَمْ تعلموا ما كان في حرب داحس * فتعتبروا او كان في حرب حاطب
وكم قد أصابت من شريف مسوّدٍ * طويل العماد ضيفه غير خائب
وماءٍ هُريق في الضلال كأنما * اذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبّركم عنها آمرؤٌ حقّ عالم * بأيامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب ملمحارب وآذكروا * حسابكمُ الله خير محاسب
وليّ آمرئ فاختار دينا فلا يكن * عليكم رقيبا غير رب الثواقب
أقيموا لنا دينا حنيفا فانتم * لنا غاية قد يُهتدى بالذوائب
وانتم لهذا الناس نور وعصمة * تؤمّون والاحلام غير عوازب

يصونون أحساباً كراماً عتيقةً * مهذّبة الانساب غير أشائب

يرى طالبي الحاجات نحو بيوتكم * عصائبَ هَلْكَى تهتدي بعصائب

لقد علِم الاقوام ان سراتكم * على كل حال خير اهل الجباجب

فقوموا فصلّوا ربكم وتمسّحوا * بأركان هذا البيت بين الاخاشب

فعندكمُ منه بلاءٌ ومَصْدَقٌ * غداة ابي يكسوم هادي الكتائب

كتيبته بالسهل تمسي ورَجْله * على القاذفات في رؤوس المناقب

فلما أتاكم نصر ذي العرش ردّهم * جنود إلاه بين ساف وحاصب

فولّوا سراعاً هاربين ولم يؤُبْ * الى قومه ملحبش غير عصائب

فان تهلكوا نهلك ويهلك عصائبٌ * يُعاش بها قول امرئ غير كاذب

ثم ان قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلعم ومن أسلم معه منهم فأغروا برسول الله سفهاءهم فكذّبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلعم مُظهر لأمر الله لا يستخفي به مُبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم

فحدث عروة بن الزبير انه قال لعبد الله بن عمرو بن العاصي ما أكثر ما رايت قريشاً أصابوا من رسول الله صلعم فيما كانوا يظهرون من عداوته قال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً فى الحجر فذكروا رسول الله صلعم فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط سفّه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم اوكما قالوا فبينا هم فى ذلك طلع رسول الله صلعم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلعم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلعم ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كانما على رأسه طائر واقع حتى ان أشدّهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلعم حتى اذا

كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله صلعم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فأحاطوه به يقولون انت الذى تقول كذا وكذا للذى يقول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله نعم انا الذى أقول ذلك فلقد رابت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه فقام ابوبكر دونه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشدّ ما رايت قريشاً نالوا منه قط

***

ذكر اسلام حمزة بن عبد المطلب رضه

قال ابن اسحاق وحدثني رجل من أَسْلَمَ كان واعيةً ان ابا جهل مرّ برسول الله صلعم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لامره فلم يكلّمه رسول الله صلعم ومولاة لعبد الله بن جُدْعان في مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد الى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب ان أقبل متوشّحا سيفه راجعا من قنص له وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان اذا رجع من قنصه لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان اذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريش الا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعزّ فتى في قريش وأشده شكيمة فلما مرّ بالمولاة وقد رجع رسول الله صلعم الى بيته قالت له يا ابا عُمارة لو رأيت ما لقي ابن اخيك محمد آنفا من ابي الحكم بن هشام وَجده هاهنا جالسا فآذاه وسبّه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم

يكلمه محمد واحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد معدًّا لابي جهل اذا لقيه ان يقع به فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى اذا قام على راسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه وأنا على دينه أقول كما يقول فرُدَّ ذلك عليَّ ان استطعت فقامت رجالٌ من بني مخزوم الى حمزة لينصروا ابا جهل فقال ابو جهل دعوا ابا عمارة فاني والله قد سببت ابن اخيه سبا قبيحا وتمّ حمزة على اسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله صلعم قد عزّ وامتنع وان حمزة سيمنعه فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه

وعن محمد بن كعب القُرظيّ قال حُدّثتُ ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش والنبي صلعم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم

حمزة ورأوا ان أصحاب رسول الله صلعم يزيدون و يكثرون فقالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه فكلّمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلعم فقال يا ابن اخي انك مما حيث قد علمت من السِّطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعِبْت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرضْ عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال له رسول الله صلعم قل ابا الوليد أسمعْ قال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد مُلكا ملّكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطِبّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوَى منه او كما قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلعم يستمع منه قال أفقد

فرغ يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل قال (١) بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حٰمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ومضى رسول الله صلعم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة انصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلعم الى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوا فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ

---

(١) س ٤١ آ ١-٤

وان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان تظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك الله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم

قال ابن اسحاق ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم ان أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه فجاءهم رسول الله صلعم سريعا وهو يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد قد بعثنا اليك لنكلمك وأنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسببت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك اوكما قالوا له فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا

مالاً وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رِئيّاً تراه قد غلب عليك وكانوا يُسمّون التابع من الجنّ رَئِيا فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه او نُعْذر فيك فقال لهم رسول الله صلعم ما بي ما تقولون ما جئت بما جئت به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل عليّ كتاباً وأمرني ان أكون لكم بشيرا ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم وان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لحُكْم الله حتى يحكم الله بيني وبينكم او كما قال صلعم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس أحد اضيق بلداً ولا أقلّ ماءً ولا أشدّ عيشا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليُسيّرْ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسُطْ لنا بلادنا وليخرق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا مَنْ مضى من آبائنا وليكن لنا ومن يبعث لنا منهم قُصيّ بن كلاب فانه كان

شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا الينا كما تقول فقال لهم رسول الله صلعم ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك سل ربك ان يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلعم ما انا بفاعل وما انا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا او كما قال فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فانا لا نؤمن

ربك الا ان يفعل فقال رسول الله صلعم ذلك الى الله ان شاء ان يفعله بكم فعل قالوا يا محمد فما علم ربك انا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك ما نراجعنا به و يخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا اذا لم نقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمان ابدأ فقد اعذرنا اليك يا محمد وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلعم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجّل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب فلم

يفعل اوكما قال له فوالله لا أومن لك ابداً حتى تتخذ الى السماء
سُلَّماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصكّ معك
أربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وَايْمُ الله لو فعلت
ذلك ما ظننت اني اصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلعم
وانصرف رسول الله صلعم الى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان
يطمع به من قومه حين دعوه ولما راى من مباعدتهم اياه فلما قام
عنهم قال ابو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون من
عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا واني أعاهدُ الله
لاجلسن له غداً بحجرٍ ما اطيق حمْلهُ اوكما قال فاذا سجد في
صلاته فضختُ به راسه فأسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع
بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء
ابدا فامض لما تريد فلما أصبح ابو جهل أخذ حجرا كما وصف
ثم جلس لرسول الله صلعم ينتظره وغدا رسول الله كما كان يغدو
وكان بمكة وقبلته الى الشام وكان اذا صلى صلى بين الركنين
الركن اليماني والحجر الاسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام

رسول الله صلعم يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلعم احتمل ابو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت اليه رجال قريش فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهمّ بي ان يأكلني

قال ابن اسحاق فذُكر لي ان رسول الله صلعم قال ذلك جبريل لو دنا لاخذه

فلما قال ذلك لهم ابو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ فقال يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في صُدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعُقدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو

بكاهن قد راينا الكهنة تخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر لقد راينا الشعر وسمعنا أصنافه كله هزجه و رجزه وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد راينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا في شانكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن ابى مُعَيْط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصِفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلعم و وصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما أحبار يهود سلوه عن ثلاث فأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقوّل فروْا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فانه

نبى وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن ابى مُعَيْط حتى قدما مكة فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد أمرنا أحبار يهود ان نساله عن أشياء فإن أخبركم عنها فهو نبى وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم فجاءوا رسول الله صلعم فسألوه عن تلك الاشياء فقال لهم أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يستثنِ فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلعم فيما يذكرون خمسة عشرة ليلة لا يُحْدِث الله اليه فى ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل حتى أرجف اهل مكة وقالوا وَعَدَنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله مكث الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف والروح

— فذكر لى ان رسول الله صلعم قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سُؤتَ ظنّا فقال له جبريل وما نتنزّل الا بأمر

ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًّا فلما جاءهم رسول الله صلعم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث ووقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمره عيانًا ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم لا تسمعوا لهذا القرآن وآلغوا فيه لعلكم تغلبون اى اجعلوه لغواً وباطلا واتخذوه هزؤا لعلكم تغلبونه بذلك فانكم ان ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم فقال ابو جهل يوماً وهو يهزأ برسول الله صلعم وما جاء به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد انما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم أعظم الناس عددا وكثرة أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم فأنزل الله في ذلك من قوله (١) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا

---

(١) من ٧٤ : ٣١

إلى آخر القصة فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا اذا جهر رسول الله صلعم بالقران وهو يصلى يتفرقون عنه و يأبون ان يستمعوا له فكان الرجل منهم إذا أراد ان يستمع من رسول الله صلعم بعض ما يتلو من القران وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقا منهم فان رأى انهم قد عرفوا انه يستمع ذهب خشية اذاهم فلم يستمع وإن خفض رسول الله صلعم صوته فظن الذى يستمع انهم لا يسمعون شيئا من قراءته وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه

قال عبد الله بن عباس رضه انما نزلت هذه الآية (١) وَلَا تَجْهَرْ بصلاتك ولا تُخافت بها وَٱبْتَغِ بَيْن ذلك سبيلًا من أجل اولائك يقول لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب ان يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى الى بعض ما يسمع فينتفع به

وكان اول من جهر بالقران بعد رسول الله صلعم بمكة عبد الله بن

---

(١) س ١٧ آ ١١

مسعود فمما حدّث به عروة بن الزبير قال اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلعم فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القران يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه فقال عبد الله بن مسعود رضة انا قالوا انا نخشاهم عليك انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه قال دعونى فان الله سيمنعنى قال فغدا ابن مسعود رضة حتى أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً بها صوته (١) الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ثم قالوا استقبلها يقراها وتأملوه فجعلوا يقولون ما قال ابن ام عبد ثم قالوا انه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا اليه فجعلوا يضربون فى وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ ثم انصرف الى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا هذا الذى خشينا عليك فقال ما كان أعداء الله أهون علىّ منهم كالان ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها قالوا لا حسبُك قد اسمعتهم ما يكرهون

---

(١) س ٥٥ آ ١

وذكر الزهري ان ابا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلعم وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الاخنس بن شريق اخذ عصاه ثم خرج حتى أتى ابا سفيان في بيته فقال أخبرني يا ابا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها واعرف ما يراد بها وسمعت

أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس وأنا والذي حلفت
به كذلك ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته
فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت
تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا
وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسَيْ رهان قالوا
منا نبيّ يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به
أبدا ولا نصدقه فقام عنه الأخنس وتركه

قال ابن إسحاق وكان رسول الله صلعم إذا تلا عليهم القرآن ودعاهم
إلى الله قالوا يهزؤون به قلوبنا في أكنة لا نفقه ما تقول وفي
آذاننا وقرٌ لا نسمع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب قد حال بيننا
وبينك فاعمل بما أنت عليه إنا عاملون بما نحن عليه إنا لا نفقه
عنك شيئا فأنزل الله عليه في ذلك من قولهم (١) وإذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا إلى

---

(١) س ١٧ آ ٤٧

قوله (١) وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً
اى كيف فهموا توحيدك ربك ان كنت جعلت على قلوبهم أكنة
وفى آذانهم وقراً وبينك وبينهم حجاباً بزعمهم اى انى لم أفعل (٢)
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ
يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً اى ذلك ما تواصوا به
من ترك ما بعثتك به اليهم (٣) أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ
فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً اى اخطؤوا المثل الذى ضربوا لك فلا
يصيبون به هدى ولا يعتدل بهم فيه قول (٤) وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً
وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً اى قد جئت تخبرنا انا سنبعث بعد
موتنا اذا كنا عظاماً ورفاتاً وذلك ما لا يكون (٥) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً

---

(١) س ١٧ آ ٤٩

(٢) س ١٧ آ ٥٠

(٣) س ١٧ آ ٥١

(٤) س ١٧ آ ٥٢

(٥) س ١٧ آ ٥٣

أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اى الذى خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب بأعجز من ذلك عليه

وسئل ابن عباس رضه عن قول الله عز وجل او خلقاً مما يكبر فى صدوركم ما الذى أراد به فقال الموت

قال ابن اسحاق ثم انهم عدوا على من أسلم واتّبع رسول الله صلعم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرَمْضاء مكة اذا اشتد الحرّ من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبه ومنهم من يَصْلُب لهم ويَعصمه الله منهم فكان بلال بن رباح وهو ابن حمامة لبعض بنى جمح مولّدا من مولّديهم وكان صادق الاسلام طاهر القلب فكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرةُ فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك البلاء أحدٌ

أحدٌ وكان ورقه بن نوفل يمر به وهو يُعذّب بذلك وهو يقول احد
احد فيقول احد احد والله يا بلال ثم يقبل على أمية ومن يصنع ذلك
به من بني جمح فيقول أحلفُ بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه
حناناً اى لاتخذن قبره منسكا ومتمرحما والحنان الرحمه حتى مر
به ابو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون ذلك به فقال لامية
ألا تتقي الله في هذا المسكين حتى متى قال انت أفسدته فأنقذه
فقال ابو بكر أفعلُ عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك
اعطيكه به قال قد قبلتُ قال هو لك فأعطاه ابو بكر غلامه ذلك
وأخذ بلالا فأعتقه وأعتق معه على الاسلام قبل ان يهاجر الى المدينه
ستّ رقاب بلال سابعهم عامر بن فُهيرة وأم عُبيس وزنّيرة فاصيب
بصرها حين اعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات
والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضرّ اللاتُ والعزى ولا
تنفعان فردّ الله اليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا
لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين
لها وهي تقول والله لا أعتقكما ابدا فقال ابو بكر حلّ يا ام فلان

فقالت هلّ انت أقصدتهما فأصدقهما قال ومن هما قالت بكذا وكذا
قال قد أصدقتهما وهما حُرّتان ارجعا اليها طحينهما قالتا او نفرغ منه
يا ابا بكر ثم نرده اليها قال او ذلك ان شئتما ومرّ بجارية بني
مُؤمّل حي من بني عدي وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام
وهو يومئذ مشرك فابتاعها ابو بكر فأعتقها وقال له ابوه ابو قُحافة
يا بُنيّ أراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك اذا فعلت ما فعلت
اعتقت رجالا جُلداً يمنعونك ويقومون دونك فقال ابو بكر يا ابت
اني انما أريد ما أريد فتُحدّث ما نزل هؤلاء الآيات الا فيه وفيما
قال له ابوه (١) فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتّقَى وَصَدّقَ بالحُسْنَى فسنُيَسّره
لليُسْرَى الى آخر السورة وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر
وبأبيه وأمه وكانوا اهل بيت الاسلام اذا حميت الظهيرةُ يعذّبونهم
برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلعم فيقول فيما بلغني صبرا آل
ياسر موعدكم الجنة فأما أمّه فقتلوها وهي تأبى الا الاسلام وكان ابو

(١) س ٩٢ آ ٥ ٧

جهل الفاسق الذي يُغرِي بهم في رجال من قريش اذا سمع بالرجل له شرفٌ ومنعةٌ قد أسلم أنَّبَهُ وخزاه فقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنُسَفِّهَنّ حلمك ولنفيّلنّ رأيك ولنضعنّ شرفك وإن كان تاجراً قال والله لنكسدنّ تجارتك ولنُهْلِكنّ مالك وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به * وقال سعيد بن جبير لعبد الله بن عباس أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلعم من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم قال نعم والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجوّعونه ويعطّشونه حتى ما يقدر ان يستوي جالسا من شدة الضرّ الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له اللاتُ والعزى إلهك من دون الله فيقول نعم حتى ان الجعل ليمرّ بهم فيقولون له لا هذا الجعلُ إلهك من دون الله فيقول نعم افتداءً منهم مما يبلغون من جهده

***

ذكر الهجرة الى ارض الحبشة

قال ابن اسحاق فلما رأى رسول الله صلعم ما يصيب اصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه ابي طالب وانه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله صلعم الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفرارًا بدينهم الى الله فكانت اول هجرة كانت في الاسلام وكان اول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان معه امراته رُقيّة بنت رسول الله صلعم وأبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة معه امراته سهلة بنت سُهيل والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وأبو سلمة بن عبد الاسد المخزومي معه امراته ام سلمة وعثمان بن

مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح وعامر بن ربيعه حليف آل الخطاب بن نفيل معه امراته ليلى بنت ابى حثمه وسهيل بن بيضاء من بنى الحارث بن فهر وابو سبرة بن ابى رهم ويقال بل ابو حاطب بن عمرو ويقال هو كان اول من قدمها وكان هولاء العشرة اول من خرج من المسلمين ثم خرج جعفر بن ابى طالب وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشه منهم من خرج باهله ومنهم من خرج بنفسه وكان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً او ولدوا بها ثلاثه وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه وكان مما قيل من الشعر فى الحبشه ان عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم حين امنوا بأرض الحبشه وحمدوا جوار النجاشى وعبدوا الله لا يخافون على ذلك احدا قال

يا راكبا بلّغن عنى مغلغلة * من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد * ببطن مكة مقهور ومفتون
انا وجدنا بلاد الله واسعة * تنجى من الذل والمخزاة والهون

فلا تقيموا على ذل الحياة وخزي * في الممات وعيب غير مأمون
إنا تبعنا رسول الله واطّرحوا * قول النبي وعالوا في الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا * وعائذاً بك أن يعلوا فيطغوني

وقال عبد الله بن الحارث أيضا يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومه في ذلك

أبَتْ كبدي لا أكذبنّك قتالهم * عليّ وتأباه عليّ أنامل لي
وكيف قتالي معشرا أدّبوكمُ * على الحق أن لا تأشبوه بباطل
نفتهم عباد الجنّ من حرّ أرضهم * فأصبحوا على أمر شديد البلابل
فإن تك كانت في عديّ أمانة * عديّ بن سعد عن تقى أو تواصل
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكمُ * بحمد الذي لا يُطّبَى بالجعائل
وبُدّلت شبلا شبل كل خبيثة * بذي فجر مأوى الضعاف الأرامل

وقال عبد الله بن الحارث أيضا

وتلك قريش تجحد الله حقه * كما جحدت عاد ومدين والحجْرُ
فإن أنا لم أبرق فلا يسعنّني * من الأرض برٌّ ذو فضاء ولا بحْر
بأرض بها عبد الإله محمد * أبيّن ما في النفس إذ بلغ النقْر

فسُمّي عبد الله المُبرِق ببيته الذي قال

وقال عثمان بن مظعون يعاتب امية بن خلف وهو ابن عمه وكان يؤذيه في اسلامه وكان امية شريف قومه في زمانه ذلك

أتيمَ بن عمرو للذي جاء بغضة * ومن دونه الشرمان والبركُ أكتعُ
أأخرجتني من بطن مكة آمنا * وأسكنتني في صرح بيضاء تُقذعُ
تريش نبالا لا يواتيك ريشها * وتبري نبالا ريشها لك اجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة * واهلكت اقواماً بهم كنت تفزع
ستعلم ان نابتك يوما ملمةٌ * واسلمك الاوباش ما كنت تصنع

وتيم بن عمرو الذي يدعو عثمان هو جمح بن عمرو كان اسمه تيماً

قال ابن اسحاق فلما رأت قريش ان اصحاب رسول الله صلعم قد امنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وانهم قد اصابوا بها دارا وقرارا ائتمروا بينهم ان يبعثوا فيهم رجلين من قريش جلدين الى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وامنوا فيها فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاصي وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ثم بعثوهما اليه فقال ابو طالب حين رأى

ذلك أسابا بحض النجاشي على حُسن جوارهم والدفع عنهم

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر * وعمرو وأعداء العدو الأقارب
فهل نال أفعال النجاشي جعفرا * وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلّمْ أبيت اللعن أنك ماجد * كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلّم بأن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب
وإنك فيض ذو سجال غزيرة * ينال الأعادي نفعها والأقارب

وذكر ابن إسحاق من حديث أم سلمة زوج النبي صلعم قالت لما نزلنا أرض الحبشة تعني مع زوجها الأول أبي سلمة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنّا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين منهم جلدين وأن يهدوا النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم وجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاصي وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدّما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه

ان يسلمهم اليهما قبل ان يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل ان يكلماه وقالا لكل بطريق انه قد ضوى الى بلاد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم ليردهم اليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بأن يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم اعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم ثم انهما قربا هداياهما الى النجاشي فقبلها ثم قالا له ايها الملك انه ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من ابائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم اعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه قالت ولم يكن شيء ابغض الى عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص من ان يسمع كلامهم النجاشي فقالت بطارقته صدقوا ايها الملك قومهم اعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم

فأسلمهم اليهما فايرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي ثم قال
لاها الله اذاً لا أسلمهم اليهما ولا يُكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي
واختاروني على من سواي حتى أدعُوهم فأسئلهم عما يقول هذان في
امرهم فإن كانوا كما يقولان لاسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وإن
كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني ثم
ارسل الى اصحاب رسول الله صلعم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم
قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا
وما امرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن فلما جاءوا وقد دعا
النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا
الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين
احد من هذه الملل قالت فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب
فقال له ايها الملك كنا قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة
ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونُسيء الجوارّ ويأكل القوي الضعيف
فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه
وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد

نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قالت فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم الله علينا وأحللنا ما أحلّ لنا فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء فقال له جعفر نعم قال فاقرأه عليّ فقرأ عليه صدراً من كهيعص (١) فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته

(١) س ١٩

وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم
قال له النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة
واحدة انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما ابدا ولا يكاد فلما خرجا من عنده
قال عمرو بن العاصي والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم
قالت فقال له عبد الله بن ابي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا
تفعل فان لهم أرحاما وان كانوا قد خالفونا قال والله لاخبرنه انهم
يزعمون ان عيسى بن مريم عبدٌ ثم غدا عليه فقال ايها الملك انهم
يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فسلهم عما يقولون فيه قالت
فأرسل اليهم ليسئلهم عنه ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم ثم قال
بعضهم لبعض ما ذا تقولون في عيسى بن مريم اذا سألكم عنه
فقالوا نقول والله ما قال الله وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما هو
كائن قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى
بن مريم قالت فقال جعفر بن ابي طالب نقول فيه الذي جاء
به نبينا يقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم
العذراء البتول فضرب النجاشي بيده الى الارض فأخذ منها عودا ثم

قال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود قالت فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي آمنون مَنْ سبّكم غُرِّم من سبّكم غرم من سبكم غرم فما احب ان لي دبرا من ذهب واني اذيت رجلا منكم ويقال دبرا وهو الجبل بلسان الحبشة فيما قال ابن هشام ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في مُلكه قالت فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد علينا من حزن حزنّاه عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقّنا ما كان النجاشيّ يعرف منه وسار اليه النجاشي وبينهما عُرْض النيل فقال أصحاب رسول الله صلعم من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير بن العوّام انا قالوا فأنت وكان من أحدث القوم سنّا فنفخوا

له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده قالت فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن اذ طلع علينا الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه وهو يقول ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه قالت فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها قالت ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلعم

قال الزهري فحدثت عروة بن الزبير هذا الحديث فقال هل تدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه قال قلت لا قال فإن عائشة أم المؤمنين حدثتني ان أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد الا النجاشي وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بينها لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام وإن

لاخيه من صلبه اثني عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه فمكثوا على ذلك حينا ونشأ النجاشي مع عمه وكان لبيبا حازما من الرجال فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة مكانه قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه وإنا لنتخوف ان يملكه علينا ولئن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين لقد عرف انا نحن قتلنا أباه فمشوا الى عمه فقالوا إما أن تقتل هذا الفتى وإما أن تخرجه من بين أظهرنا فانا قد خفناه على أنفسنا قال ويلكم قتلت أباه بالامس واقتله اليوم بل اخرجه من بلادكم قالت فخرجوا به الى السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم فقذفه في سفينة فانطلق به حتى اذا كان العشيّ من ذلك اليوم هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته قالت ففزعت الحبشة الى ولده فاذا هو مُحمق ليس في ولده خير فمرج على الحبشة أمرهم فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض تعلموا والله ان ملككم

الذى لا يفهم أمركم عمرُه للذى سمعنا م عدوة مان كان لكيم بأمر الجملة
حاجة فأدركوه قالت فخرجوا فى طلبه وطلب الرجل الذى باعوه
منه حتى أدركوه فاخذوه منه ثم جاؤا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه
على سرير الملك وملّكوه فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه فقال امّا
أن تعطونى مالى واما أن أكلّمه فى ذاك قالوا لا نعطيك شيئا قال اذن
والله أكلّمه قالوا فدونك قالت فجاءه فجلس بين يديه فقال
أيها الملك ابتعتُ غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم فاسلموا الىّ
غلامى وأخذوا دراهمى حتى اذا سرت بغلامى أدركونى فاخذوا غلامى
ومنعونى دراهمى قالت فقال لهم النجاشى لتُعطنّه دراهمه أو ليضعنّ
غلامه يده فى يده فليذهبن به حيث شاء قالوا بل نعطيه دراهمه
وانا لك نقول ما أخذ الله منى رشوة حين ردّ علىّ ملكى فآخذ
الرشوة فيه وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه قالت وكان ذلك
أول ما خُبر من صلابته فى دينه وعدله فى حكمه ومن عائشة قالت
لما مات النجاشى كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور وذكر
ابن اسحق انصارى جعفر بن محمد عن أبيه ان الحبشة اجتمعت

فقالوا للنجاشي انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه فارسل الى جعفر واصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما انتم فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب وكتب فيه وهو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن وخرج الى الحبشة وصفوا له فقال يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم قالوا خير سيرة قال فما بالكم قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد قال فما تقولون أنتم في عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه هو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا شيئا وانما يعني ما كتب فرضوا وانصرفوا فبلغ ذلك النبي صلعم فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له

تم الجزء الاول بعون الله وحسن توفيقه

﴿ جدول الخطاء والصواب ﴾

صواب	خطاء	سطر	صفحة
وسمّاه	واسماه	٥	٦
هاتفين	هاتبين	١٥	٦
ونكته الامثال ونفثته السحر الحلال	ونكته ونفثته * والسحر الحلال	٢١	٩
من ذي الحجه	من ذي حجه	١٣	١
ونكته الامثال	ونكته الامثال	٩	١٢
سويه	دويه	١١	٢٣
للموالمد	للمولد	٧	٢٤
بالرضي	بالرضى	٩	٢٨
لذي الحجه	لذي حجه	١٣	«
سويّة	دويه	١٢	٢٩
وتعرف	وتعرف	٧	٣٣
ابي العلاء المعرّى	ابى على المعرى	٥	٣٥
ابى العلاء المعرّى	ابى المعرى	٣	٤٥
تهذيبه	تهذيبه	١	٤٩
سمويه	سمويه	١	٥
اردب	اردب	٤	٥١
احمص	احمص		
عثم	عثم	١ و ١	٦٣
مشمس من	مسمس دن	٥	٦٣
مصر	مصرا	١٤	

﴿ تابع جدول الخطأ والصواب ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٥	١٥	قل	قال
٦٨	٨	وطابخه	وطاد حجة
٦٩	٨	خربًا	حربًا
»	١٤	لا حب	لاحب
٧٢	٥	العذل	العذل
»	١٣	يخبطّ	يحبطّ
٧٣	٥	محسنى ء	م حسنّى
»	٨	قول بن اسحاق	قول ابن اسحاق
»	١١	أحمملته	أحم لته
٧٤	١١	وصعب	وصعبعب
٧٦	١	الم واخات	المواخاه
٧٩	١٣	أحدارًا	أحجارًا
٨	١٥	الحدرة	الحدرة
٨١	٥	كلاب	كلاب
٩	٦	كلاّ	كلاّ
»	١٢	لحسدق	لخندق
٩٢	١٢	لمالى	لمالى
٩٣	١٤	المارد	المارد
١٠٣	١	الحلف	الحلف
١٠٧	٣	سلمًا	سلمّاً
»	٩	وهارب	فاروب

« تابع لجدول الخطاء والصواب »

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
١١٣	٧	ذكور	ذكور
١١٦	٢	الهمّ	اللهمّ
«	١٣	يتوكا	يتوكّا
١١٨	٦	يلمى	يلتّى
١٢٢	١٢	مستهزيئاً	مستهزئاً
١٢٥	٨	حرمّ	حرّم
١٣٣	٦	بالمحارة	بالحجارة
١٣٥	٩	حمنى	حمى
١٣٦	٣	يفرْج	يفرَج
١٣٧	١	خُزُهم	خُزهُم
١٤٥	١٣	الفصول	الفصول
١٤٨	١	لو أُدّعى	لو ادّعى
١٥٢	٢	يعقلون	يعقلون (سورة ٥ آية ١٠٣)
«	١٣	كطوّافهم	كطوافهم
١٥٤	٧	فأحد	فاحد
١٥٥	١٢	طوعت	طواعت
١٥٩	٧	يسطيهره	يسط يهره
١٦١	١	الهمداني	الهمداني
١٦١	١	ما زُلت	ما زلت
«	٢	يسرح	يشرح

﴿ تابع جدول الخطاء والصواب ﴾

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٦٧	٧	وحُلِّيَ النساء	وحُلِيّ النساء
١٦٩	٧	كذا وكذا	قال هو كذا وكذا
»	١٤	الطيل	الطويل
١٧	٥	بعضُى	بعضاً
١٧٤	١	أخذذ	أخذود
١٧٥	٧	بتّان	بِيان
١٧٩	٦	الحضْر نخلهُ	الحَضَّر نخله
١١٢	٣	بلّقه	بلقّه
١٨٣	١	بتّان	بِيان
١٨٧	٣	فحاص به وصحصاح البحر	فحاص به صحصاح البحر
١٨٨	١	أُسرى	أسرى
١٩٠	١	وأُجِد	وأُجد
١٩٤*	٨	بره‍ه	أبَرهه
١٩٤	٤	وعتّا	وعتّى
١٩٧	٤	دؤبوا	دؤودوا
١٩٩	٩	حشمه	حشمه
٢ ٣	٧	فلعلا	فلعالا
٢ ٦	٤	بدا عسر	دا معشر
٢ ٧	٤	فمعجل	فبجعل
٢١٢	٦	من احداث	باحداث (؟)

(تابع جدول الخطأ والصواب)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣١٤	٧	وأخبرهم وخبره	وأخبرهم بخبره
٣١٩	٩	البرواء	البروا
٣٢٥	١٦	رُئيكم	رئيكم
٣٣٥	١٤	فوالله . نب	فوالله ما رأيت
٣٤٠	٤	حيفرٌ	جبيرٌ
٣٤٣	٨	بهتشوذه	بهيئة وبه
٣٤٨	٦	لمُنيتك	لتُشكي
٣٤٩	٢	سَلوا	مُلئوا
٣٥	١٥	نُحلّته	بُحلّته
٣٥٦	١٠	مرؤوه	مروؤة
٣٦٤	١٣	حوجا	لحوجاً
٣٦٥	١	بان	بأنّ
٣٧	٢	بدوا	بدروا
"	٥	أحشائها	أحشاءها
٣٧١	١٣	نُكسى	نُكّسى
٣٧٨	٧	للرمىّ	للرّشى
٣٨٧	١٥	بطمسه	ر طمسه
٣٩	١٣	مطمس	مطتمس
٣ ٣	١٥	بليغ مى	بلعمى
٣ ٥	٨	بعرب	بعرب
٣٥٤	٦	بالا مائل	بالأمائل
٣٥٦	٨	أوحطّ	أقحط

فهرسة الأبواب

٥ — كلمة المصحح .

٨ — ترجمة الكلاعي .

٤٩ — كتاب الاكتفاء ، كلمة المؤلف .

٥٧ — ذكر نسب رسول الله صلعم .

٩٦ — ذكر أولية بيت الله المحرم وركنه المستلم ومن تولّى بناءه من ملائكته وأنبيائه صلّى الله على جميعهم وسلّم .

١٨٦ — ذكر دخول الحبشة ارض اليمن واستيلائهم على ملكهم وذكر السبب في ذلك مع ما يتصل به من أمر الفيل .

٢١٦ — ذكر حفر عبد المطلب زمزم وما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله صلعم .

٢٦٧ — ذكر بنيان قريش الكعبة مع ذكر ما أحدثوه في المناسك .

فهرسة الابواب

٢٧٦ — ذكر ما حفظ عن الاحبار والرهبان والكهان من امر رسول الله
صلعم قبل مبعثه سوى ما تقدم من ذلك مع ذكر شيء
مما سمع من ذلك عند الأصنام او هتفت به الهواتف

٣٢٦ — ذكر المبعث

٣٦٢ — ذكر اسلام حمزة بن عبد المطلب رضه

٣٨٤ — ذكر الهجرة الى أرض الحبشة

٣٩١ — جدول الخطاء والصواب

BIBLIOTHECA ARABICA
PUBLIÉE PAR LA FACULTÉ DES LETTRES D'ALGER
VI

AL-KALÂ'Î

KITÂB AL-IKTIFÂ'

(1re PARTIE)

Édité par

HENRI MASSÉ
PROFESSEUR À LA FACULTÉ DES LETTRES D'ALGER

ALGER
JULES CARBONEL
IMPRIMEUR ÉDITEUR

PARIS
PAUL GEUTHNER
13, RUE JACOB

1931

'AL-KALÂ'Î

KITÂB AL-IKTIFÂ'

I

-:RULES:-

1. The book must be returned on the date stamped above.
2. A fine of Re. 1/- per volume per day shall be charged for textbooks and 10 P. per vol. per day for general books kept overdue